

المكتبة العربية

www.tipsclub.net

Rajol

منتديات
المكتبة العربية

حصرياً

محمد واليهود

نظرة جديدة

تأليف : د. بركات أحمد

ترجمة : محمود على مراد



الهيئة المصرية العامة للكتاب



محمّد واليهود

نظرة جديدة

الألف كتاب الثانى

الإشراف العام

د سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

عزت عبدالعزيز

الإخراج الفنى

محسنة عطية

محمد واليهود

نظرة جديدة

بقلم : الكاتب الهندي

د . بركات أحمد

ترجمة

محمود على مراد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٦

إهداء

إلى روح عبد العزيز

كليفورنيا ترينيداد

«وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ»
(سورة المائدة - الآية ٩)

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٩	شكر
١١	تقديم
١٥	تصدير
١٧	مقدمة
	الفصل الأول :
٥٩	يهود الجزيرة العربية عشية الهجرة
	الفصل الثاني :
٧٩	أهل الصحيفه
	الفصل الثالث :
١٠١	تأييد اليهود للمعارضة فى المدينة
	الفصل الرابع :
١٢٥	فشل الأحزاب
	الفصل الخامس :
١٦٩	الصدام الأخير
	الفصل السادس :
١٨١	طبيعة النزاع ونطاقه
٢١٩	تعقيب
٢٢١	ببليوغرافيا

الخرائط

٦٥	١ - المدينة فى السنة الأولى من الهجرة
١٢٧	٢ - المدينة فى زمن معركة الأحزاب
١٧٣	٣ - خبير وموقع القبائل المعادية

شكر

أدين بالشكر لدور النشر التالية لترخيصها لي بالاقتباس من الكتب الآتية :

مطبعة جامعة برنستون لكتاب «التاريخ: تذكره واستعادته واصطناعه» لبرنارد لويس ، ومطبعة جامعة كولومبيا لكتاب « تاريخ اجتماعي وديني لليهود » لسالو ويتمايربارون ، ومطبعة جامعة أوكسفورد لكتابي « محمد في المدينة » ، و « محمد في مكة » لمونتجمري واط ، وكتابي « حياة محمد » و « سنة الاسلام » : مقدمة لدراسة أدب الحديث النبوي « لغلوم » ، ومطبعة كاليفورنيا لكتاب « من مجتمعات البحر المتوسط » لجويتاين ، وشركة كتب شوكن لكتاب « اليهود والعرب » لجويتاين ، وشركة أولاد شارل سكريبنر لكتاب « تشكيل التاريخ اليهودي » لاليس ريفكين ، وكتب هينمان التعليمية لكتاب « المؤرخ الناقد » لكتسون كلارك ، وشركة مارلين بريس ليتمد لكتاب « التاريخ والنظرية الاجتماعية » لغوردون ليف ، وكتب بانثيون وهي فرع لشركة راندوم هاوس ، وألن لين ، شركة بنجوين للنشر ليتمد لكتاب « محمد » لمكسيم رودنسون ، ترجمة : آن كارتير ، وشركة ماكميلان للنشر لكتاب افرسلي بلفيلد « تحدى وتحمل » ، وشركة سيمون وشوستر لكتاب « كومونولث الله » ل ف . ا . بترز ، و ا . ج بريل لدائرة معارف الاسلام -

كذلك فأننى أزجى الشكر لناشرى مجلات « العالم الاسلامى » ، و « الثقافة الاسلامية » ، و « جريدة علم

الاجتماع الدولية « (اليونسكو) ، و « نشرة مكتبة
جون ريلاند » لاذنهم لى بنشر مقتطفات من صحفهم .

هذا وقد نقلت التصدير من كتاب « التاريخ : تذكره
واستعادته واصطناعه » لبرنارد لويس ، صفحات ٥٤ - ٥٥ ،
كما نقلت التعقيب من كتاب « تشكيل التاريخ اليهودى »
لأليس ريفكين ، الصفحات ١٠٦ - ١٠٧ و ١١٨ - ١١٩ .
وقد نقلت أيضا المقتطفات الاستهلاكية التى صدرت بها
مختلف الفصول من الكتب الآتية : الفصل الأول ، من كتاب
« تاريخ اجتماعى ودينى لليهود » لسول ويطماير بارون ،
الجزء الثالث ، ص ٦٥ ، الفصل الثانى ، من كتاب
« كومونولث الله » لـ ف ١٠ . بترز ، ص ٦٣ ، الفصل
الثالث والفصل الخامس من كتاب « محمد » لمكسيم رودنسون ،
ص ١٦٠ و ٢١٤ ، والفصل الرابع من كتاب « المؤرخ
الناقد » لكتسون كلارك ، ص ٥١ ، والفصل السادس من
كتاب « الفكر التاريخى عند الاغريق » لأرنولد ج توينبى ،
ص ١٠٣ .

تقديم

العلاقات بين مجموعات الناس ، لا سيما حين يكون للدين دخل فيها ، علاقات يكثر فيها النزاع وتكثر المعاناة . وقصص من استشهدوا في سبيل دينهم تغذى الخرافات ، كما أن التعامل على الآخرين يضيف مرارة للأساطير . والاعتبارات السياسية وكتابات العلماء المتحيزين تخلع على الأساطير ثوب التاريخ . وما روى عن علاقات محمد بيهود الحجاز لم يكن الا أسطورة من هذه الأساطير . وقد قمت بتحليل هذه الفترة المبكرة من فترات التاريخ الاسلامى الذى قبل المؤرخون ، المسلمون منهم وغير المسلمين ، ما ورد فيه على علاته دون تمحيص .

واذا نجحت نظرتى الجديدة فى اثاره شكوك وجهية بشأن الشواهد التى تستند اليها الروايات المذكورة فسأعتبر أن محاولتى كانت تستحق أن تبذل .

وأود أن أخص بالذكر ، من بين الأصدقاء العديدين الذين مدوا لى يد المساعدة فى المراحل المختلفة المتوالية لهذه الدراسة ، البروفسور برنارد لويس ، والبروفسور نيقولا زيادة ، والبروفسور حسين محمد جفرى . وقد أعاننى البروفسور نيقولا زيادة على صياغة أفكارى حين لم يكن هذا

الكتاب يزيد كثيرا عن مجرد مادة فى حديث ، ولولا تشجيعه لما قدر لهذا الكتاب أن يظهر الى حيز الوجود . وقد نقد البروفسور حسين محمد جفرى كل فصل من فصول هذا الكتاب فى مسودته الأولى نقدا تفصيليا . وقرأ البروفسور برنارد لويس مخطوط الكتاب كلمة كلمة وقدم لى مقترحات عملية قيمة تأثر بها كل فصل من فصول هذا الكتاب تقريبا .

وأنا أغبط نفسى كثيرا لأنى تنبعت بفضل تحذيراته للمزائق العديدة التى يتعرض لها بالضرورة مثل هذا الكتاب . وقد أضفت تعليقاته السديدة ، وما أسداه الى من نصيح بشأن قيمة المصادر الاسلامية واليهودية أعظم الفائدة للكتاب . ودينى لهؤلاء الأصدقاء ، الذين لم ييخلوا على بوقت أو نصيح ، دين لا يقدر .

على أن مسؤولية ما تضمنه هذا الكتاب من آراء وأفكار لا تقع على أى منهم . والواقع أن آراءهم بشأن عديد من النقاط التى أثرت فيه متباينة .

وعزائى الوحيد هو أن نقدهم فى معظم الحالات لم يلتق فى نقطة واحدة . وقد أخذت بوجهة نظرهم متى اتفق ثلاثتهم على نقد . وكل أخطاء تضمنها هذا الكتاب هى - وأقولها أسفا - أخطائى وحدى .

كما أقدم جزيل شكرى للدكتور م . أ . عزيز ، أمين مؤسسة عبد العزيز (بترينيداد) ، وللسيد محمود د . عزيز ، القنصل العام لـ بترينيداد وتوباجو فى نيويورك ، اللذين قدما لى عوناً لا يقدر بثمن فى المراحل الأخيرة من هذا العمل .

ولا أرغب صدور هذا الكتاب دون أن أعبر عن اعترافى بتجميل البروفسور آرثر ديلبرج ، الأستاذ بجامعة مكارى رباسترياليا ، لما قدمه لى من مساعدة فى قراءة وتصحيح مخطوط هذا الكتاب .

ومدين بالشكر لابنتى سارة لمساعدتها لى فى تحرير الكتاب • فقد أمدتنى بالمراجع والمذكرات ، خاصة ما يتعلق بالنصوص الألمانية والعبرية • وأزالت انتقاداتها لى ما شاب النص من غموض فى التعبير أو فى التدليل •

وأخيرا أزجى الشكر للبروفسورة لويس أ • جيفن التى أمضت وقتا طويلا فاق تحملها - أولا فى اكتشاف التناقضات فى المخطوط ، ثم فى تصحيح تجارب طبع الكتاب •

كما أعترف بالجميل للبروفسور جون س • بادو والبروفسور هوارد ريجنز اللذين أتاحا لى فرصة العمل فى جامعة كولومبيا بجوها السار ، المثير أحيانا ، والملائم ، مع ذلك ، فى جميع الأحيان •

بركات أحمد

نيويورك ، مايو ١٩٧٥

تصدير

المؤرخ باحث لا يسعى لاثبات نظرية أو لاختيار مادة يدلل بها على نقطة معينة ، انما يسير وراء الشواهد التي تعرض له الى حيث تقوم . وليس هناك انسان معصوم من الزلل ، فان من الزلل أن يستسلم المؤرخ لمشاعر الولاء أو التحامل التي قد يتلون بها فهمه للتاريخ وعرضه له . ومن سمات المؤرخ العالم المدقق ادراك هذه الحقيقة بدلا من الانسياق لأفكاره المسبقة والعمل على تحديد هذه الأفكار وتصحيحها .

ان الذين يحاولون استرجاع التاريخ يبدأون بطبيعة الحال بما وقر في ذاكرة الناس ، وما تناقلوه على مر السنين . على أنهم ، بخلاف من سبقوهم ، لا يكتفون بمجرد ترديد ذكريات الماضي وابلاغها للناس ، بل يحاولون أن يسدوا ما فيها من ثغرات ويصححوا ما فيها من أخطاء ، لا يبتغون من وراء ذلك سوى تحقيق شيئين : الدقة والفهم . وكثيرا ما يحدث أن تكون نتيجة جهودهم ، أو حتى أن يكون غرضهم ، هو قتل الماضي عن طريق تحليله ، وقد يتضح لهم من دراسة الذكريات التي يكتنزاها الناس دراسة نقدية دقيقة

أنها ذكريات زائفة ومضللة • وحين يصبح ما انتتهوا اليه
فى هذا الشأن معروفا للجميع فان هذا الجزء من الماضى
يفقد قوته • ولهذا السبب فان العلماء الذين يسترجعون
الماضى قد يكون تأثيرهم مدمرا للغاية • على أن باستطاعتهم
فى مقابل ذلك أن يأتوا بكثير مما هو جديد وأن يثروا
الذاكرة الجماعية وينقوها مما يكون قد علق بها من
شوائب •

برنارد لويس

مقدمة

« كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين
وأئمة النقل المغالط في الحكايات
والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد
النقل غثا أو سمينا ، لم يعرضوها
على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها ،
ولا سبروها بمعيار الحكمة ،
والوقوف على طبائع الكائنات ،
وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار .
فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء
الوهم والغلط » .

(ابن خلدون)

في سنة ١٨٢٣ كتب الحاخام اليهودي «أبراهام جايجر»
حاخام مدينة « ويزبادن » بألمانيا بحثا نال عليه جائزة ،
عنوانه « ما الذي اقتبسه محمد من اليهودية ؟ » (١) . وقد
وصف « رودولف ليزنسكي » الذي ألف هو الآخر كتابا ،
في موضوع مشابه (٢) لهذا البحث ، بأنه حدث تاريخي هام .
ومن يومها ألفت كتب ومقالات عديدة في موضوع العلاقات
بين المسلمين واليهود تناولته من مختلف نواحيه . ولعل آخر
ما كتب في هذا الصدد هو كتاب « جويتاين » بعنوان « اليهود
والعرب » (٣) . وكان منشأ الإسلام ، وكذا أصل القرآن ،
بصفة خاصة ، دائما من الموضوعات التي أثارت اهتمام
علماء الغرب . وقد تساءل جويتاين : « على يد من تلقى
النبي العلم ، ومن كان معلموه ؟ » (٤) . ولاحظ هذا المؤلف
أن « كتابات كثيرة من مستويات مختلفة دارت حول هذا

الموضوع « (٥) ، ثم خلص الى ان « للمرء أن يفترض بقدر معقول من الصواب أن محمدا كان في سنواته المبكرة على صلة وثيقة بنفر من اليهود لم يكونوا يختلفون كثيرا عن أولئك الذين تصورهم الكتابات التلمودية » (٦) . ومؤدى هذا أن معتقدات من كانوا يجاورون الرسول من اليهود ، وطبيعة اتصاله بهم ، كان لها تأثير مباشر على جوهر ما أخذه الرسول ﷺ من الديانة اليهودية . ووقف علم علماء الغرب أساسا عند هذه العوامل . وقد ساعدتنا بحوث هؤلاء العلماء على فهم علاقات الرسول ﷺ بيهود الحجاز ويهود يثرب على وجه الخصوص . غير ان الملاحظ أن بعض الاخبار السي اعتمدت عليها هذه البحوث لم تخضع لدراسة نقدية . كذلك فان علماء الغرب لم يقيموا وزنا كافيا للنواحي الاجتماعية - السياسية في العلاقات التي كانت قائمة بين مجموعات الناس في الجزيرة العربية .

ولم تكن تحت يد الحاخام « جايجر » ، الذي لا يزال كتابه في رأى « جويتاين » « كتابا ثمينيا » (٧) ، مراجع عربية في وفرة المراجع المتاحة للمستشرقين في وقتنا الحاضر (٨) . وكان هذا من حسن التوفيق ، ولكنه كان أيضا أمرا يؤسف له . ومع ذلك كان باستطاعة « جايجر » أن يرجع الى كتاب « المختصر في تاريخ البشر » (٩) لأبى الفدا (١٢٧٣ / ٦٧٢ - ١٣٣١ / ٧٣٢) من خلال كتابات « ج . جانييه » J. Gagnier صاحب كتاب « حياة محمد » De Vita Mohammedis (أوكسفورد ، ١٧٢٣) ، و « ج . ج . رايسكى » J. J. Reiske و « ج . ج . كر . أدلر » J. G. Chr Adler « صاحب كتابي : « حويليات الاسلام Annales Moslemici » (لايبزيغ ، ١٧٥٤ وكوبنهاجن ، ١٧٨٩ - ١٧٩٤ ، و « تاريخ ما قبل الاسلام Historia Anteislamica » . كذلك كان « جايجر » على علم بتفسير البيضاوى للقرآن الكريم

وبتفسير الضراء «وهو تفسير ممتاز لم ينشر» (*) يبدأ بالسورة السابعة «(١٠)» ، وقد تناول «جايجر» موضوعه بقدر غير قليل من التوسع * وكان يرى - من وجهه نظره - ان علاقته الرسول ﷺ بيهود يثرب لم تكن وثيقة * وأشار «جايجر» اشارة عابرة الى بنى فينفاع ، والى بنى النضير ، وكذا الى يهود خيبر ، ولكنه لم يتحدث عن بنى قريظة الذين قرأ عنهم على الأرجح في كتاب أبى الفدا وفي تفسير القرآن * ولو ان «جايجر» رأى ضرورة للتعرض للصراع الذى يقول انه «فرض فرضا على اليهود والمسلمين» والذى يقول «جويتاين» انه «ترك أثره على كتاب : الاسلام المقدس» لما أعوزته المادة (١١) *

وخلال الفترة التى تفصل بين «جايجر» و«ليزنسكى» ، وبينما كان «موير» (١٢) و«جرىم» (١٣) و«كايتانى» (١٤) و«جراتز» (١٥) وغيرهم يدرسون الموضوع فى اطار بحوثهم الأوسع ، كتب «وينسينك» رسالة دكتوراه فى موضوع «محمد ويهود المدينة» (١٦) * وبعد «ليزنسكى» تناول «لامانس» (١٧) و«ولفنسون» (١٨) و«هوروفتزن» (١٩) و«تورى» (٢٠) و«هيرشبرج» (٢١) و«بارون» (٢٢) و«جويتاين» المادة نفسها بالدراسة * كذلك خصص «مونتيجرى واط» فى كتابه «محمد فى المدينة» (٢٣) فصلا كاملا لليهود يثرب *

ولم يول أحد المسلمين - بقدر علمى - هذا الموضوع من الأهمية ما يجعله يفرد له دراسة أو بحثا * ومعظم البحاث من غير المسلمين تنصب بحوثهم فى المقام الأول على موضوع تأثير الاسلام باليهودية ، وأسف الرسول ﷺ لأن اليهود لم يعترفوا به وما ترتب على ذلك من اجلاء اليهود ثم «ابادتهم» * ولم يحدث أن عولج هذا الموضوع فى اطاره الاجتماعى - السياسى الصحيح *

(*) محقق ومنشور - (المترجم) *

لقد تبلور عدد من المواقف الفكرية المألوفة عند المسلمين
 ازاء غير المسلمين فى أنماط معينة من التفكير ، وتكررت
 هذه المواقف على مدى قرون من الزمان ، وتداولتها أقلام
 أجيال عديدة من فقهاء المسلمين ومؤرخيهم قتلتها بحثا .
 واستند المؤلفون فى الغرب بالدرجة الأولى الى كتابات فقهاء
 المسلمين وما جاء فيها من اساءة الظن بأهل الذمة وتمييز
 المسلمين عليهم كمقدمة لا تتغير لتاريخ العلاقات بين المسلمين
 واليهود . وقد جعلهم ما جروا عليه من تسليط الأضواء على
 الجوانب الفقهية ، للأسف ، يضربون صفحا فى حالات كثيرة
 عن التاريخ ويتجاهلون الحقائق التاريخية ويقفون بدلا
 منها عند أساطير خلع عليها الزمن صبغة دينية .

ان اعادة بناء الماضى بالصورة التى حدث بها شىء
 لا يسمح به قصور ما بين أيدينا من مراجع . ولم يكن
 المؤرخون المسلمون يعنون بمصير اليهود ، كما أن اليهود
 أنفسهم لم يتركوا أى أثر مكتوب عن وقائع لقاءهم الاول
 بالاسلام . وبالرغم من ضالة المادة المتاحة فى هذا الصدد
 ومن كون هذه المادة جزئية ، بل ومتناقضة فى بعض الأحيان ،
 فلا مندوحة عن اعادة النظر فى هذه المادة ودراسة دراسة
 ناقدة . وقد استندنا فى دراستنا لهذا الموضوع الى المصادر
 الآتية :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - كتاب « سيرة رسول الله » (٢٤) وهو تهذيب ابن هشام
 لكتاب ابن اسحاق (المتوفى سنة ١٥١ / ٧٦٨) .
- ٣ - الجامع الصحيح (٢٥) للإمام البخارى (المتوفى سنة
 ٢٥٦ / ٨٦٩) .
- ٤ - صحيح (٢٦) مسلم بن الحجاج (المتوفى سنة
 ٢٦١ / ٨٧٤) .

وقد رجعنا بطبيعة الحال فى هذه الدراسة كلها الى كتاب
المغازى (٢٧) للواقدي (المتوفى سنة ٢٠٧/٨٢٢) ، وكتاب
الطبقات الكبير (٢٨) لابن سعد (المتوفى سنة ٢٣٠/٨٤٥) .
ولكن جل اعتمادنا كان على المصادر الأربعة المذكورة .

.. ان المصدر الأساسى لتاريخ الاسلام الأول هو القرآن
الكريم بطبيعة الحال . والقرآن كتاب معاصر لحياة الرسول
ﷺ ، وقد حوى تعليقا جاريا على جميع الأحداث المهمة التى
وقعت فى حياته . على أن القرآن ليس كتاب تاريخ ،
فالتاريخ يعتمد على وقائع محددة تحديدا زمنيا دقيقا ،
والقرآن الكريم لا يعطى فكرة حقيقية عن التواريخ أو عن
تسلسل الأحداث . ومع ذلك فان للقرآن أهمية كبرى للتحقق
من صحة عديد من الوقائع التى حدثت فى عصر الرسول ﷺ .
لقد كتب واضعو المعاجم التى تروى سير أصحاب
الرسول ، كما كتب المؤرخون المسلمون المتأخرون وعلماء
الغرب والمؤرخون المسلمون المحدثون ، كتابات ضافية فى
نقد ابن اسحاق والواقدي وابن سعد . ولن نعود هنا الى
هذا البحث من جديد . على أن فهم التاريخ هو اعادة مستمرة
للتفكير فى الماضى . والمعرفة التاريخية لا تنفصل عن المعرفة
الشخصية ، والمعرفة الشخصية ترتبط الى حد كبير بالمشكلات
المعاصرة . وقد قال « جون لوكاكس » : « بحق ان التاريخ
كله يعتبر أيضا ، على هذا النحو ، معاصرا بمعنى من
المعانى » (٢٩) فالمؤرخ ، بعبارة أخرى ، أيا كان التاريخ
الماضى الذى يريد أن يستكشفه ، انما يفعل ذلك مستهديا
بالوعى التاريخى لعصره . ويقول « غوردون ليف » فى هذا
الصدد : « ليس فى التاريخ جزء موضوعى - هو الوقائع -
وجزاء آخر شخصى هو تفسير المؤرخ أو أحكامه . ان اصدار
الأحكام والتفسير أمران يدخلان بنفس الدرجة فى تقرير
ماهية الحقائق وتحديد ما يتصل منها بالموضوع فى سياق
معين ، وتوضيح مدى دلالتها » (٣٠) . لقد محصت كتابات

ابن اسحاق والواقدي وابن سعد ، الذين ألفوا مصنفاتهم في بدايه العصر العباسي ، تمحيصا شديدا للوقوف على ميول اصحابها الشيعية أو السنية أو على انحيازهم لصف بنى امية او بنى العباس . وشغل موضوع « اشتعال الفتنة » (٣١) . وانقسام المسلمين الأوائل على أنفسهم أذهان المؤرخين المسلمين والمستشرقين بصورة جعلتهم لا يتنبهون الى الظروف والملابسات العامة التي كان كتاب السير والمغازي في القرنين الثامن والتاسع من الميلاد يعملون في ظلها .

لقد سجل المؤرخون المسلمون والمستشرقون ما كان لدى المؤرخين الأوائل من نزعات شيعية أو سنية وتحدثوا عن تحيزهم للأُمويين أو للعباسيين وعن موقفهم من الخلافات المذهبية التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، الا أن هذه لم تكن العوامل الوحيدة التي تأثر بها الوعي التاريخي عند ابن اسحاق وغيره . وقد قال « بترسين » بحق : « لا يستبعد أن تكون الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في العصر العباسي قد أثرت على تغير مواقف كتاب التاريخ من فترة الاسلام الأولى » (٣٢) . بيد أن هذه الأوضاع لم تتعلق فحسب بدخول الحكام الجدد ، بماضيهم الثوري ، في حلف مع الشيعة لمحاربة الخلافة السورية (٣٣) .

لقد كان فتح الأمصار ودخول أقوام متزايدة العدد من غير العرب وغير المسلمين عالم الاسلام بثقافات ولغات وديانات جديدة جاريين على قدم وساق .

وقد جاء هؤلاء الأقوام بأفكار جديدة ومشكلات جديدة . وكان لكل هذه العناصر الجديدة أثر على تفكير المؤلفين الأوائل . وفي رأينا أن موقف هؤلاء المؤلفين من اليهود الذين كانوا يعيشون تحت الحكم العباسي عامل حيوى لا يجوز اغفاله لدى الحكم على ما ساقوه من معلومات عن علاقة اليهود بالرسول ﷺ .

ان أقدم وأهم مصدر تحت يدنا للأحداث التي وقعت في عصر الرسول ﷺ هو محمد بن اسحق بن يسار بن خيسار الذي ولد في المدينة حوالي عام ٨٥/٧٠٤ ، في السنة الأخيرة من خلافة عبد الملك . وكان جده يسار ممن أسروا في عين التمر . وقد أصبح عبدا لقيس بن مكرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي ، وأصبح مولى له بعد أن اعتنق الاسلام . وقد حدث حصار مكة وتحطيم الكعبة خلال حكم عبد الملك ولكن عبد الملك كان أيضا الخليفة الذي وطد دعائم الحكم العربى وترك وراءه امبراطورية عظيمة الشأن . وعلى مدى ما يقرب من ثلاثين سنة عاش ابن اسحاق في المدينة ، وكان الامام مالك وسعيد بن المسيب (٣٤) من معاصريه . وقد تلقى العلم على يد عديد من أبناء الصحابة . وكان الزهرى ، المحدث الكبير ، ممن أخذ عنهم . ولم يكن ابن اسحاق ، الرجل الذى أثار خصومة الامام مالك وأعجاب الزهرى ، ولا غرابة فى ذلك ، شخصا كسائر الأشخاص ، كما أن العصر الذى عاش فيه لم يكن كسائر العصور . وقد فتحت أسبانيا وكشغر Kashgar وملتان Multan وابن اسحاق لا يزال فى المدينة . وشهد ابن اسحاق كذلك سقوط بنى أمية وتولى بنى العباسى الخلافة ، وتوفى فى بغداد بين سنة ١٥٠/٧٦٧ وسنة ١٥٤/٧٧٠ فى خلافة المنصور .

وقد كتب الكثير عن حياة هذا المؤرخ ، كما أن كتابه كان من جميع نواحيه موضع دراسة شاملة (٣٥) . غير أن الدراسات التى اضطلع بها البحاثة المسلمون وغير المسلمين لم تعر التفاتا للأحداث التى شهدها ابن اسحاق والتى أثرت على آرائه بشأن اليهود الذين كانوا يعيشون فى ظل الحكم الاسلامى . وأغلب الظن أن ابن اسحاق لاحظ لدى وصوله الى عاصمة الخلافة العباسية أن الجالية اليهودية « التى كان لها فى هذه العاصمة مظهر الدولة ، كان لها دستور خاص » .

وكان رئيس الجالية اليهودية فى بابل يطلق عليه اسم « رأس الجالوت » ، وكان عميد الأكاديمية الدينية اليهودية يطلق عليه اسم « الجاعون » ، والاثنان يتساويان فى المرتبة * . كان منصب « رأس الجالوت » منصبا سياسيا ، وشاغله يمثل اليهودية البابلية - الفارسية تحت الخلافة ، وكان يجنبى الخراج من مختلف الملل ويدفعه للخزانة * وشاغلو هذا المنصب أمراء فى تصرفهم ، أمراء فى أسلوب حياتهم ، يتنقلون فى عربات فارهة ، فى مواكب يتقدمها حجاب يمتطون صهوات الجياد ، وكان يحف بهم رجال أشبه بالحرس ويلقون فروض الولاء والتوقير التى تقدم للأمراء * .

ولأن « رأس الجالوت » كان يقابل فى كل مكان بمظاهر الاجلال التى كان يقابل بها الأمراء كان تنصيبه فى مركزه يتم فى احتفال مهيب وأبهة * . فى ساحة كبيرة مكشوفة وسط الزينات الباهرة ، كرسى له وكرسى لكل من رئيسى الأكاديميتين اليهوديتين * وكان جاعون « سورا » Sora (★) يلقى خطابا أمام من كان سيعين « كراس الجالوت » يذكره فيه بواجبات منصبه * . وكان كلا الرئيسين يضع يده على رأس المرشح للمنصب ويهتف وسط نفي الأبقاق : « يحيا سيدنا أمير المنفى » (٣٦) * .

لقد اتهم « ليون نموى » « جراتز » بالتحيز للمسلمين ، وقال : « ان جراتز مسئول الى حد كبير عن الوهم الشائع الذى مفاده أن حياة اليهود فى ظل الهلال كانت على نحو ما أيسر بكثير من حياتهم فى ظل الصليب » (٣٧) * والحاصل أن ما كتبه « جراتز » عن « رأس الجالوت » يصور الواقع تصويرا صحيحا يؤيده ما كتبه « مارجوليس وماركس » (٣٨) و « هرشبرج » (٣٩) و « باشان » (٤٠) ، لكن « جراتز »

(★) سورا : موضع بالعراق من ارض بابل ، مدينة السريانيين ، وهى قريبة من الوقف والحلة المزيديّة - معجم البلدان - (المترجم) *

كتب تاريخه عام ١٨٩٤ ايام قضية دريفوس (★) ، بينما يكتب « نموى » نقده لجراتز عام ١٩٥٦ ، ومن المحتمل أن يكون قد كتبه عشية الاحتلال الاسرائيلى لغزة وسيناء . لم تكن الوقائع هى التى تغيرت وانما كان الذى تغير هو الطريقة التى كان كل من المؤلفين ينظر بها اليها . وكان « جراتز » سابقا على « هرتزل » (مؤسس الصهيونية) ، وقد عقد أول مؤتمر صهيونى فى « بازل » بسويسرا عام ١٨٩٧ (أى بعد صدور كتاب « جراتز » بثلاث سنوات) . أما « نموى » فقد كتب ما كتبه بعد قيام دولة اسرائيل . ولكن « جويتاين » ذاته ، الذى كان « نموى » يعلق على كتابه ، اعترف ، بعد تحفظات حذرة ، بأن : « رأس الجالوت » كان تحت الخلافة العباسية يشغل منصبا رفيعا باعتباره الممثل العام للجالية اليهودية . ويستفاد من أحد المصادر المسيحية أنه كان يتمتع فى بلاط الخليفة بمرتبة أعلى من مرتبة أعيان النصارى ، ولكنه لم يكن يضطلع كقاعدة عامة بأية وظيفة ادارية فى الدولة الاسلامية . وكان المسلمون حين يخاطبونه يلقبونه بـ « سيدنا ابن داود » . ولما كان القرآن يعتبر داود واحدا من أعظم الأنبياء كان طبيعيا أن يحاط منصبه بهالة من التبجيل . . .

وكان هناك منصب دينى آخر لليهود أعظم أهمية بكثير من منصب « رأس الجالوت » هو منصب « الجاعون » الذى بلغ من مقامه فى حياة اليهود خلال القرون الخمسة الأولى من الاسلام أن وصفت هذه الفترة فى التاريخ اليهودى « بالفترة

(★) قضية دريفوس : هى قضية اتهم فيها ضابط مخابرات يهودى فى الجيش الفرنسى بتسليم معلومات عسكرية الى الملحق العسكرى الألمانى فى باريس ، وقضى عليه وحوكم امام مجلس عسكرى وحكم عليه بالتجريد من رتبته العسكرية وبالنفى بناء على أوراق مزيفة ، فثارت عاصفة كبيرة فى الرأى العام الفرنسى وبين الكتاب والمفكرين ورجال السياسة . وقد نقض الحكم الصادر فى القضية عام ١٩٠٦ وأعيد دريفوس الى الخدمة فى وظيفته ورتبته السابقتين - (المترجم) .

الجماعونية « . وكان لقب الجاعون هو اللقب الذى كان يحمله رئيسنا الأكاديميتين اليهوديتين الكبريين أى أكاديمتى بابل - العراق (وكان رئيس احدى الأكاديميتين فى الأصل ينفرد بحمله) اللتين كان اليهود فى جميع أنحاء العالم يعتبرونهما السلطة العليا فى جميع ما يتعلق بالدين من مسائل ، بما فى ذلك ، على التحقيق ، القانون المدنى الذى كان مطبقاً فى ذلك الوقت (٤١) .

وكان ابن اسحاق لا يزال فى المدينة حين ادعى سورى اسمه « سيرين » Serenus (٤٢) أنه المسيح المنتظر ، وتنبأ بمعجزة تعود بها فلسطين الى اليهود . وادعى « سيرين » أنه نبي لا لليهود وحدهم بل للمسلمين . كذلك ألغى القوانين الدينية التى تحرم أطعمة بعينها ، وسمح بالزواج دون عقد ، و « سجل التحلل من الأحكام التلمودية » على رايته (٤٣) . وذاعت شهرة « سيرين » حتى وصلت الى أسبانيا التى كانت فى ذلك الوقت تحت الحكم الاسلامى . ويقول « جراتز » : « ان يهود ذلك البلد قرروا النزول عن ممتلكاتهم ووضعوا أنفسهم تحت قيادة هذا الشخص الذى كانوا يشبهونه بالمسيح » (٤٤) . وقد قبض على هذا الشخص فى النهاية وسبق أمام الخليفة يزيد الثانى (١٠١/٧٢٠ - ١٠٥/٧٢٥) فسلمه الى اليهود وحكمت عليه محكمة ، تضم قضاة يهودا ومسلمين ، بالاعدام (٤٥) .

وبعد أقل من ربع قرن من هذه الأحداث رفع أبو مسلم راية الثورة السوداء فى مرو Merv ، كما نصب أبو العباس نفسه خليفة فى سنة ٧٤٩/١٣٢ بعد أن تم له القضاء على الأمويين . واغتال خلفه المنصور أبا مسلم غدرا فى سنة ٧٥٥/١٣٧ ، وأصبحت بلاد فارس ، وخاصة خراسان ، التى كانت توالى أبا مسلم ، من جديد مركزا للقلق والثورات . وتوالى بعد ذلك القلاقل . ونهض سنباذ Sinbad (٧٥٧/١٤٠) وأستاذسيس Ustadhsis (٧٦٦/١٤٩) -

(٧٦٨/١٥١) (٤٧) والمقتنع (٧٧٧/١٦١ - ١٦٤ / ٧٨٠) (٤٨) للثأر لمقتل أبى مسلم ولكن المنصور سحقهم جميعا .

وفى وقت ما خلال هذه الفترة ، ولكن قبل أن تكتب السيرة ، طهر يهودى تان ادعى انه المسيح فى المرحز اليهودى باصفهان الذى كان مركزا قويا . وادعى هذا الشخص الذى كان اسمه ابن عيسى عباديا (عوفيد) (٤٩) أن فلسطين يجب ان تعود لليهود لا بمعجزة ولكن بالقوة ، ودعا اليهود الى الالتفاف حول رايته وتجمع منهم نحو عشرة آلاف تحت قيادته كانوا يهتفون بأنه المسيح (٥٠) . وقد اختار ابن عيسى لشورته الوقت المناسب فان الخلافة العباسية لم تكن أركانها قد توطدت بعد . « وكانت شئون الخلافة فى ذلك الوقت فى حالة سيئة من الفوضى ، وكان أمام أية حركة عسكرية - وسرعان ما أصبحت الحركة التى تزعمها ابن عيسى حركة عسكرية - فرصة طيبة للنجاح » (٥١) وقرر ابن عيسى أن يتحالف مع زعيم فارسى رفع راية العصيان على الخليفة ولكن المنصور هزمه فى الرى وقتل ابن عيسى فى المعركة (٥٢) .

ويلاحظ « جرايزل » أن « هذه الثورات المسيانية (★) كانت تقوم على مزيج غريب من الأفكار ، وأن رغبة عدد كبير نسبيا من اليهود فى التخلص من حكم سادتهم المسلمين الجدد كانت تقترن بصورة ما ، بثورتهم على السلطة اليهودية » (٥٣) .

انه من الصعب تصور رد فعل كاتب السيرة على هذه الأحداث . لقد كان بوسع ابن اسحاق ، كفرد واثق من نفسه من أفراد الصفوة المسيطرة ، أن يتجاهل ما يقوم من ثورات ، وأن ينظر باستعلاء الى ازدهار أحوال اليهود وما يتمتعون به من حرية تحت الحكم الاسلامى ، وأن يبحث تاريخ اليهود فى

(★) بالانجليزية Messianic نسبة الى المسيح المنتظر عند اليهود Messiah وقد فضلنا كلمة « المسيانية » على المسيحانية « للتخفيف - (المترجم) .

الحجاز في حياة الرسول بحثا غير منتزم - والاحتمال الثاني هو ان تانيير الحركات المسيانية ، بالاضافة الى ما كان يحاط به « رأس الجالوت » من مظاهر العظمة والأبهة اوقعت في روعه ان اليهود قوم ملحدون ناكرون للجميل * وللمرء ان يتساءل : وما بال الذين كانوا يزودونه بالمعلومات (أى أبناء اليهود الذين أسلموا) (٥٤) ، هل كانوا على علم بهذه الأحداث ؟ ألم تكن حالتهم النفسية تجعلهم يحاولون التفوق في الولاء على من أسلموا من العرب بتنميق ما يذكرونه عن يهود المدينة ؟ ان هناك من الأسباب ما يغرى بافتراض أن قصص بنى قينقاع وبنى النضير ، وكذلك بنى قريظة أولا وقبل كل شيء ، لم تكن جزءا من مغازى الرسول ﷺ بقدر ما أريد لها أن تكون انذارا موجهها لليهود الامبراطورية العباسية « بأنه اذا جاء ابن عيسى آخر فستستأصل شأفتكم كما استؤصلت شأفة بنى قريظة » * ومن العبث أن يتساءل المرء عما اذا لم يكن ابن اسحاق يسمع صدى الأبواق التي كان ينفخ فيها لدى تنصيب « رأس الجالوت » في مركزه وهو يستحضر في مخيلته صورة قافلة الجمال التي كانت تشق طريقها من المدينة الى خيبر وهي تحمل قوما عاثرى الحظ هم بنو النضير * لقد قال « نولدكة » في مثل هذه المناسبة ببساطة : « من الجائز أن الأمر كان كذلك (أى كما ذكر كاتب السيرة) ، ولكن من الجائز أيضا أنه كان مختلفا تماما » (٥٥) *

على أن الذى لا شك فيه هو أن ابن اسحاق ، كما سنرى فيما بعد عند بحثنا لرواياته ، كان متحاملا دائما على يهود الحجاز *

لقد أثنى علماء الرجال المسلمون الأوائل والعلماء المحدثون ، مسلمين كانوا أو غير مسلمين ، على ابن اسحاق ومدحوه * ورغم أن « بعض النقاد المسلمين الأوائل - كما هو معتاد في كتابات الجرح والتعديل - أبدوا في ابن اسحاق

آراء تتناقض على خط مستقيم » (٥٦) مع آراء من زكوه ،
فان أغليبيتهم تجله وتحترمه * وقد قال عنه الزهرى : « من
أراد المغازى فعليه بابن اسحاق » (٥٧) ، وقال عاصم بن عمر
ابن قتادة : « لا يزال فى الناس علم ما عاش محمد بن
اسحاق » (٥٨) ، ووصفه شعبة بن الحجاج (٧٠٤/٨٥ -
٧٧٦/١٦٠) بأنه « أمير المحدثين لحفظه (★) » (٥٩) ،
وقال سفيان بن عيينة (٧٢٥/١٠٧ - ٨١٣/١٩٨) : « ما
أدركت أحدا يتهم ابن اسحاق فى حديثه » (٦٠) وقال الامام
الشافعى : « من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على ابن
اسحاق » (٦١) . وكان يحيى بن معين والامام أحمد بن
حنبل يوثقانه (٦٢) .

على أن مالك بن أنس ، من الجهة الأخرى ، وصفه بأنه
دجال من الدجاجة (٦٣) . كذلك يستفاد من عدة روايات
أن هشام بن عروة لم يكن يعتبر ابن اسحاق من الثقات (٦٤) .
وأصح المآخذ التى أخذت على ابن اسحاق ، من وجهة
نظرنا ، هو ذلك الذى يتعلق بما درج عليه من « تتبع غزوات
النبي ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة
خيبر وغيرها » (٦٥) . ويختتم ابن سيد الناس حديثه عن هذا
الاتهام وما شجر من خلاف بين ابن اسحاق والمحدث الكبير
مالك بن أنس بقوله انهما تصالعا فى النهاية ، وأن مالكا
أهدى ابن اسحاق حين غادر المدينة الى العراق خمسين ديناراً
ونصف محصوله من التمر فى ذلك العام . ولم يكن مالك
يقدر فى ابن اسحاق من أجل الحديث ، انما كان ينكر عليه
تتبعه خيبر وقريظة والنضير ، وما أشبه ذلك من الغرائب
التي لم يقيم عليها دليل ، من أولاد اليهود الذين أسلموا .
وكان ابن اسحاق يأخذ برواياتهم فى مغازيه على علاتها دون
أن يتحرى صدق ما ينقل اليه من أخبار ، بخلاف مالك الذى
لم يكن يرى الرواية الا عن متقن صدوق (٦٦) .

(★) فى ابن خلكان ٣٦٧/٤ ، وعيون الاثر ١/المقدمة « ابن اسحاق امير المؤمنين .

يعنى فى الحديث » - (المترجم) .

وهذا الاتهام - كما سترى حين نتعرض لمختلف الروايات التى أوردها ابن اسحاق - لم يكن بغير أساس * وإذا كان صحيحا أن من يتحولون من دين الى دين ليسوا بالضرورة محل شبهة ، فان من واجب المؤرخ أن يتحرى ما يجىء على لسانهم تحرياً دقيقاً * وحقيقة تحولهم الى الدين الجديد وحدها تعنى أنهم - ان كان ايمانهم بالدين الجديد صادقا - كانوا لا يقرون موقف أبناء ملتهم الأول ولا سياستهم ولا عملهم * أما اذا كانوا قد أجبروا على اعتناق الدين الجديد اجبارا فقد كان من حسن السياسة أن يتبرءوا مما صدر عنهم من أعمال *

ومهما يكن من أمر فان منحاهم فى تذكر ونقل أحداث ماضيهم أو ماضى أسلافهم الذين كان لهم دور مباشر فى النزاعات التى قامت بينهم وبين اخوتهم فى الدين الجديد يعقد بصورة غير مقصودة - وأحيانا عن قصد - مهمة التحقق من صحة الوقائع * على أن للمرء مع ذلك أن يتساءل بهذه المناسبة عما اذا كان مالك بن أنس محقا فى اتهامه فان هذا الاتهام يشى بتعامل عصر لاحق على من دخلوا الاسلام من اليهود * فما الذى يجعل هؤلاء المسلمين أقل جدارة بالثقة من أبناء من اعتنقوا الاسلام من كفار العرب * أيتورع أبناء مشركى مكة الذين قاتلوا الرسول ﷺ ثم اعتنقوا الاسلام عن تشويه دور آبائهم كما فعل أبناء من أسلم من اليهود اذا كان فى هذا التشويه ما يسهل قبولهم فى رحاب الدين الجديد ؟ ورأينا أن رواياتهم يجب أن تمحص بالدقة نفسها التى تمحص بها روايات من أسلم من اليهود *

هذا ويقول « هوروفتز » بصدده المنهج الذى نهجه ابن اسحاق فى رواية أحداث المدينة :

« الاسناد هنا هو القاعدة * ورواة ابن اسحاق هم أساتذته الذين تلقى عليهم العلم فى المدينة وفى مقدمتهم الزهرى وعاصم بن عمر وعبد الله بن أبى بكر * وهو يدين

لهم أيضا بالترتيب الزمنى الذى اتبعه فى ذكر الوقائع *
وابن اسحاق يستخدم طريقة ثابتة لا تتغير فى وصف
الغزوات ، فهو يصدر روايته ببيان مقتضب وشامل للمحتويات
يقضى عليه برواية جماعية تتحصل فى أقوال معلميه الاجلاء ،
ثم يستكمل روايته الأصلية بأقوال فردية جمعها من مصادر
أخرى » (٦٧) *

وملاحظات « هوروفنز » وان كانت صحيحة الى حد كبير
فيما ينعلق بمنهج ابن اسحاق فى السرد العام فالملاحظ ان
منهج ابن اسحاق فى رواية وقائع الغزوات اليهودية الاربع
يختلف عن منهجه العام * ان عاصم بن عمر بن قتادة هو
المصدر الأساسى لأنباء الأحداث المهمة التى وقعت فى شأن
بنى قينقاع وليس لأى مصدر يهودى دور فى هذا الشأن *
وقد اتبع ابن اسحاق النمط ذاته فى الرواية المتعلقة بنفى
بنى النضير * والقصة الأساسية هنا تبدأ بيزيد بن رومان
الذى نقلها رأسا الى ابن اسحاق *

أما قصة بنى قريظة فان النمط فيها يبدو غير النمط ،
ومعظم أحداثها الرئيسية ، كما سنرى ، غير مسبوق باسناد *
وقد جاء ذكر عديد من الرواة المعتمدين مثل الزهري وقتادة
خلال السرد ولكن النظرة المدققة تظهر أن ما يذكره هؤلاء
الرواة انما هو تفاصيل صغيرة لا الأحداث ذات الشأن *
وفى قصة غزوة خيبر نجد خليطا مماثلا من الروايات التى
يقترن بعضها باسناد ويخلو بعضها الآخر منه * وهنا أيضا
يصادف المرء أسماء هامة تسبق بعض الأنباء لكن معظمها
يتعلق اما بمسائل فقهية أو بتفاصيل غير مهمة *

وقد لا يكون من التجنى أن نقول ان ابن اسحاق ، بوجه
عام ، لا يورد اسنادا فى المسائل الحيوية المتعلقة ببنى قريظة
أو بيهود خيبر * ويتفق « روبسون » Robson فيما كتبه
عن استخدام ابن اسحاق للاسناد مع ملاحظات « هوروفنز »
التي ذكرناها ، ويستطرد قائلا :

« هو عموما يبدأ تناوله للواقعة ببيان عام عما حدث دون أن يسوق أى اسناد ولكن هذه هى طريقته فى عرض الموضوع وهو يستطرد عادة ويعطى اسنادا من أنواع مختلفة ، كتفاصيل الواقعة ، أو ليقدم روايات مختلفة لما حدث » (٦٨) .

ويبدى روبرسون كذلك الملاحظة الآتية :

« . . وابن اسحاق صريح تماما بشأن طريقته ، فهو لا يدعى أن كل ما يعطيه من معلومات كامل الاسناد ، كما أنه لا يحاول أن يرجع كل شئ الى الرسول .

لذلك ، فاننا نميل دون تخرج الى تصديقه حين يذكر اسنادا مباشرا ، وحين يكون اسناده متصلا » (٦٩) .

والحالات التى لم يكن ابن اسحاق يورد فيها اسنادا هى أولا الحالات التى تتعلق بمادة « معروفة وثابتة بصورة تغنيه عن تقديم اسناد » (٧٠) وهى ثانيا الحالات التى «ان يستمد فيها معلوماته من القص الشائع والمادة التقليدية التى كان كتاب السيرة والمغازى يطوعونها لمفاهيمهم الخاصة والتى كانوا يضيفون اليها نتائج بحوثهم الخاصة » (٧١) . لذلك فلنا أن نفترض أن عدم وجود اسناد بالنسبة لبعض الأحداث الكبرى المتعلقة ببني قريظة ومعظم الأحداث المهمة فى خيبر يفيد أن ابن اسحاق استمد مادته بشأنها من « القص الشائع » . ويعق لنا أن نتذكر هنا اتهام الامام مالك لابن اسحاق بأنه يروى غزوات الرسول نقلا عن أبناء اليهود الذين أسلموا والذين حفظوا قصص بني النضير وبني قريظة وخيبر . ويتضح من بحث اسناد ابن اسحاق أن الأشخاص البالغ عددهم ثلاثمائة وأربعة الذين تضمنهم اسناده فى السيرة لم يكن من بينهم أكثر من تسعة من اليهود الذين اعتنقوا الاسلام أو الذين بقوا على دينهم (٧٢) .

وفيما يلي أسماء الرواة اليهود وموضوعات رواياتهم (٧٣) :

١ - أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي الذي روى أن حمير قبلت اليهودية بعد أن سار الحبران ، بمصاحفهما في عنقيهما متقلديها ، في النار لم تضرهما (٧٤) .

٢ - محمد بن كعب القرظي الذي روى :
(١٠) دخول أهل نجران في النصرانية على يد عبد الله بن الثامر (٧٥) .

(٢) أن عتبة بن ربيعة عرض على الرسول المال والشرف . . الخ ان هو كف عن عيب آلهتهم (٧٦) .

(٣) أن ثقيف أساءت معاملة الرسول في الطائف (٧٧) .

(٤) قصة خروج الرسول ﷺ من داره في مكة في طريقه الى المدينة (٧٨) .

(٥) غزوة العشرة (٦٢٣/٢) (٧٩) .

(٦) مناسبة نزول الآية ١٢٧ من سورة الأنفال (٨٠) .

(٧) أن أبا سفيان امر قوات قريش بالارتحال بعد معركة الأحزاب (٨١) .

(٨) موت أبي ذر (٨٢) .

٣ - شيخ من بنى قريظة روى نبوءة يهودى سورى اسمه ابن الهيبان بهجرة نبي الى المدينة (٨٣) .

٤ - أحبار اليهود بشأن تحقق نبوءة ابن الهيبان (٨٤) .

٥ - واحد من أهل عبد الله بن سلام روى قصة اسلام عبد الله بن سلام (٨٥) .

٦ - صفية بنت حيى بن أخطب روت اصرار حيى بن أخطب على عداوة الرسول ﷺ (٨٦) .

٧. واحد من بنى قريظة روى شهادة عبد الله بن صوريا بأن اليهود كانوا يعرفون أن محمدا نبى مرسل (٨٧) .

٨ - واحد من اهل يامين روى ان يامين اعطى مالا لرجل ليقتل عمرو بن جحاش الذى حاول ان يغتال الرسول ﷺ (٨٨) .

٩ - عطية القرظى الذى قال انه لم يقتل مع من قتل من رجال بنى قريظة لانه كان صبيا لم ينبت (٨٦) .

ان روايه من الروايات المذكورة لا تشير الى خبير ، والروايتان الاخيرتان وحدهما تتضمن كل منهما ذكرا لتفصيل صغير يتعلق أحدهما بغزوة بنى النضير والناسى بغزوة بنى قريظة . والظاهر أن اتهام الامام مالك لابن اسحاق لا ينصرف الى الروايات السابقة . وأقرب من ذلك الى الصواب أن يقال ان الامام مالك كان أعلم من ابن اسحاق بمادة القصة التى كانت شائعة فى ذلك الوقت ، وأنه كان فى مركز يسمح له بتحديد الحكايات التى نقلت عن أبناء يهود أسلموا . ويبدو أن ابن اسحاق لم يكن يرى بأسا فى ادراج هذه المادة فى سيرته دونما تحقيق أو اسناد وكان الامام مالك يعترض على ذلك . وتؤيد ملاحظات « ليفى دلا فيدا » رأينا فى هذا الخصوص حيث يقول :

« كان من وفرة وتنوع المادة التى جمعها ابن اسحاق أن اضطر هذا الكاتب الى توسيع دائرة مصادره ، والى قبول عدد من الروايات التى لم يقيم عليها دليل كاف . وكان يهتم بذلك مصدر بعض المعلومات التى يدلى بها ، ولو أن هذا المصدر لم يكن دائما شديد الوضوح ، لا سيما اذا كان يهوديا أو مسيحيا ، كما كان الحال فى كثير من الأحيان » (٩٠) .

ان ابن اسحاق لم تكن لديه معرفة مباشرة بالأحداث ، وكان من المنتظر ازاء تناقض الروايات التى وقعت له اما أن يشفع كلامه بتحفظ أو أن يخلى نفسه من مسئولية الاخبار

عن شيء لم تكن له به معرفة مباشرة ، أو كان يرى أنه محل شبهة . وكان في جميع الحالات الأخرى التي تبعت على الشك يستخدم عبارات مثل «فيما بلغني» (٩١) ، أو «ذكر لي» (٩٢) أو يختم روايته بقوله : « والله أعلم أي ذلك كان » . على أن الملاحظ أن ابن إسحاق لا يبدى مثل هذا التحرز فيما يرويهِ عن بنى قريظة .

لقد شجع الأمويون جمع وحفظ الأحاديث والحكايات والأخبار المعطفة بالمعازي ، واستترك كثير من التابعين شي هذه الجهود ، ودون علماء مثل موسى بن عقبة أخبار المعاري ، بينما جمع محدث مثل مالك بن أنس ما يتصل بها من الأحاديث . لكن ابن إسحاق كان الكاتب الذي أعطى شي سيرته تاريخاً كاملاً تضمن الحديث عن الخلفية الجاهلية والصراع الذي كان دائراً في المدينة قبل الهجرة وانتشار الإسلام بعد صلح الحديبية وخيبر مع سيرة الرسول وما تخللها من معجزات لا تقل شأنًا عن معجزات أية سيرة من سير القديسين النصاري . ولا يعني هذا أن ابن إسحاق كانت تحركه بواعث خاصة ، أو أن جهده كان جهداً واعياً لا صطناع المعجزات أو للانتقاء من مادة القص أخباراً رواها أبناء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام . وليس هناك ما يدعو إلى مخالفة ما ذهب إليه « غليوم » من أن سيرة الرسول التي كتبها ابن إسحاق « قد سجلت بأمانة وصدق وبحيطة نادرة في مثل هذه الكتابات » (٩٣) لكن أي مؤرخ إنما هو إلى حد كبير جزء من عصره وهو لا يستطيع أن يعزل نفسه عن المناخ الفكري الذي يتنفسه ، فالناس كما يقول « ماكاولي » Macaulay ، لا يستطيعون أن يفعلوا إلا ما تسمح به مقتضيات عصرهم . (٩٤) .

ويقول « ليفي ديلا فيدا » :

« وباختصار ، فإن فطرة ابن إسحاق إنما هي ، إذا قورنت بفطرة من سبقه من المؤلفين ، فطرة المؤرخ الحقيقي ،

ونحن نجد عنده المزيج النهائى بين السيرة الدينية كما يراها
المحدثون والسيرة الملحمية الأسطورية التى يجدها المرء فى
القصص .

وهذا الطابع الأصيل والشخصى الذى يميز عمل ابن
اسحاق يفسر عداء مدرسة المحدثين له ، ويعمل فى الوقت
ذاته ما حظى به عمله على مر القرون من نجاح بز ما سبقه
من أعمال مشابهة ، كما بز بعض الأعمال التى كتبت بعده
بقليل . وقد جعل هذا النجاح لكتابه تأثيرا حاسما على مستقبل
الكتابة فى موضوع السيرة النبوية .

وقد هذب ابن هشام سيرة ابن اسحاق ، كما نقل الطبرى
جانبا كبيرا منها فى مصنفيه الكبيرين ، التاريخ والتفسير ،
وأصبحت سيرة ابن اسحاق عن طريق هذين الكاتبين المصدر
الأول لما تلاها من توارىخ لحياة الرسول » (٩٥) .

وحين أنجز الواقدي (٧٤٧/١٣٠ - ٨٢٣/٢٠٧)
وابن سعد (٧٨٤/١٦٨ - ٨٤٥/٢٣٠) عمليهما كانت
أركان الخلافة العباسية ورئاسة الطائفة اليهودية المتمثلة فى
منصب « رأس الجالوت » ، قد توطدت تماما . وكانت ثورة
ابن عيسى الأصفهاني قد نسيت وعفى عنها ، وكان العميدان
الذنان يرأسان الأكاديميتين اليهوديتين الكبيرتين فى سورا
Sura وبومباديثا Pumbaditha قد خلعا على نفسيهما
لقبا جديدا هو لقب « جاعون » أى صاحب الفخامة ، وقد
اعترف بهما الخلفاء باعتبارهما سلطة اليهود القضائية داخل
الامبراطورية الاسلامية . وساعد « يهودى بن نحام » خلال
الفترة القصيرة التى شغل فيها هذا المنصب (٧٦٠ - ٧٦٤)
على ارساء دعائم ما يمكن وصفه بالحكومة اليهودية الخفية
فى المنفى . وكان حكم اليهود فى الشتات يتم عن طريق
مقر الجاعون .

وقد ولد أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي فى
المدينة ، وسمى بالواقدي نسبة الى جده الواقد ، الذى كان

مولى عبد الله بن بريده الذى كان ينتمى الى أسرة فى المدينة •
والكتاب الوحيد الذى وصلنا من مؤلفاته هو كتاب المغازى •
وقد جمع فى اطاره المحدود معلومات مفيدة للغاية عن حياة
الرسول ﷺ فى المدينة • وكتاب « الطبقات الكبير » لابن
سعد ، الذى كان تلميذا وكاتبا للواقدي ، يستند فى معظمه
الى كتاب أستاذه ، لكنه مصنف جليل الفائدة • وهو فى
الواقع معجم ضاف يحوى سيرة الرسول ﷺ وسيرة صحابته
والتابعين ، أى من جاء بعدهم من المسلمين ، مرتبين على
طبقات •

والواقدي وابن سعد ، كلاهما ، مؤرخان للأحداث
وجامعان للروايات ومسجلان لذكرىات الماضى ، ولكنهما
يفتقران الى الوعى التاريخى الذى كان جليا عند ابن اسحاق
وابن هشام • لذلك فاننا سنستمع بهما ، بالقدر الذى يمكن
معه الاطمئنان الى صحة رواياتهما ، لمراجعة ما رواه ابن
اسحاق من أحداث تعيننا ولتقييمها ، ولاستكمال معلوماتنا
عن هذه الأحداث •

ان علماء الرجال لا يركنون الى ما كتبه الواقدي ،
والامام أحمد بن حنبل يرميه بالكذب (٩٦) ، والذهبي
يقول انه لم يسق ترجمته « لاتفاقهم على ترك حديثه » (٩٧) ،
وابن خلكان يقول : « انهم ضعفوه فى الحديث وتكلموا
فيه » (٩٨) • ومن الجهة الأخرى ينقل علماء الغرب آراء أخرى
تفيد أنه ممن يوثق بهم (٩٩) • على أن « بترسين » ، الذى
عالج باستفاضة نمو الكتابة التاريخية فى الفترة المبكرة
للاسلام ، يقول محذرا ان مادة الحديث عند الواقدي يجب
أن « تؤخذ بتحفظ أكبر من ذلك الذى تؤخذ به الأحاديث
التي أوردها غيره من العلماء » (١٠٠) •

وكان أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصرى
الهاشمى كاتب الواقدي مولى لبنى هاشم ، وكان جده عتيقا
لحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس (١٠١) • وبالرغم

من انه يتضح من « المقارنه مع بص مغاري الواقدي ان ابن سعد يعتمد قبل كل شيء على الواقدي » (١٠٢) فان علماء الرجال يعتبرون ان ابن سعد من الثقات (١٠٣) . وكان ابن سعد ، كما سنرى ، يورد قائمة شاملة بأسماء اهم رواته قبل أن يتحدث عن المغازي ، ولكنه كان نادرا ما يسوق بعد ذلك اسنادا للوقائع والحوادث كل على حده ، وان كانت هناك استثناءات على ذلك كما في حالة بدر الخ . لهذا فمن المتعذر ، رغم كونه عموما ممن يطمأن اليهم ، افراد أية رواية من الروايات التي تهمنا عنده ثم تحديد مصدر معلوماته عنها .

وبهذه الاعمال الثلاثة ، التي كتبت او جمعت كلها بعد هجرته قرن ونصف او اكثر من وقوع الاحداث موصع ودراسه ، ننتهي اقدم سجلاتنا عن فترة الاسلام المبكرة دما بشرها الذاكرون . وما تذكره مخبرونا من الرواة الاوائل والناقلون ، كذلك ، وقبل كل شيء ، ما سجله ابن اسحاق والواقدي وابن سعد ، يصور مدى الأهمية التي كانوا يعلقونها على الأحداث التي بقي أثرها محفوظا . ونحن اذا اعتمدنا على شيء فانما نعتمد على وعيهم التاريخي . ومن المقطوع به ان هذا الوعي لا يقارن بفهمنا نحن للتاريخ ، وقد ضاعت الى الأبد تفاصيل كان يمكن أن تكون ذات أهمية بالنسبة لنا ، لأن متابعي ذلك التاريخ لم يكونوا يعيرونها نفس الأهمية . من ذلك أن ابن اسحاق يبدأ سرده بشأن يهود بنى قريظة بهذه الكلمات التالية :

« ان رسول الله ﷺ جمع يهود في سوق بنى قينقاع ، فقال : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة ، وأسلموا . » (١٠٤) ولكنه لا يخبرنا عن السبب الذي جمع الرسول بنى قينقاع من أجله لينذرهم ، رغم أنه يستطرد فيقول انهم كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد (١٠٥) . ماذا

كان ذلك الاتفاق البدى حان بينهم وبين الرسول ﷺ ومثلى لهم توقيعه وكيف نقضوه ؟ ليس تمه معلومات عن هذا - وبعد زهاء مائة عام لاحظ ابن هشام (المتوفى سنة ٢١٨ / ٨١١) عند تهذيبه للسيرة ان هذه القصة يتقصها بيان مهم قاضاف ان بنى قينقاع كانوا قد اهانوا امرأة مسلمة فى سوقهم (١٠٦) هل كان هذا هو السبب الوحيد ؟ هل كان عملا حربيا ؟ هل كان معناه نقض اتفاق عقده بنو قينقاع مع الرسول ؟ كل ما نستطيع أن نفعله هو أن نتكهن ونعيد بناء الحادثة وأن نحاول الوقوف على الأسباب التى جعلت الرسول ﷺ يجمع بنى قينقاع ويوجه اليهم انذاره . ولم يكن هذا البيان مهما عند ابن اسحاق الذى لم يكن يغفل أبدا بيانا يتصل بموضوع يعالجه . ولو كان يعلمه لما اهتم بتسجيله . أما اذا لم يكن يعلمه فانه لم يكن يرى داعيا للحصول عليه . كذلك فان ابن اسحاق يقول قبل أن يتحدث عن معركة أحد ان الرسول قال : « من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه » وأن محيصة بن مسعود وثب لدى سماعه ذلك القول على ابن سنيينة - وهو رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله (١٠٧) .

هذا الأمر ، كما هو ظاهر ، أمر خطير . فهل يعقل ان ينفذه الرسول ﷺ فى ثالث سنة من الهجرة ؟ ثم ماذا كانت مناسبة هذا الأمر ؟ وبالرغم من أن صيغة الأمر تنصرف الى كل اليهود فكيف حدث أن كان ابن سنيينة اليهودى الوحيد الذى شاء حفظه العاشر أن يقع فى أيدي المسلمين ؟ من الواضح أن ابن اسحاق أورد هذا الخبر دون سياق . وهناك حلقة ناقصة هى حلقة مهمة رغم أن ابن اسحاق لم يكن يعتبرها كذلك ، وهى حلقة يستحيل علينا استردادها . كذلك ينقل ابن اسحاق رسالة استرضاء كتبها الرسول ﷺ الى يهود خيبر (١٠٨) ، ولكنه لم يحدثنا عن حمل الرسالة ، ولا عن الطريقة التى عومل بها الشخص الذى حملها ، ولا عن رد فعل اليهود ازاءها ، ولا عما اذا كانوا قد ردوا عليها ، واذا

كانوا قد فعلوا فماذا كانت اجابتهم - كل هذه معلومات
لا نملك الوسيلة للحصول عليها -

ان للمرم أن يقر في هذا السياق ما خلص اليه اللورد
« راجلان » بعد دراسة متمعنة من أن « أى حقيقة عن شخص
ما لم تسجل خلال مائة سنة من وفاته حقيقة ضائعة » (١٠٩)،
وهناك حقيقة أخرى هي أن « كل حدث من الأحداث يبدأ في
التبدد مجرد حدوثه » (١١٠) .

لقد قام « جولدزيهر » (١١١) و « مارجوليوت » (١١٢)
و « لامانس » (١١٣) و « روبسون » (١١٤) و « شاخت » (١١٥)
بدراسات نقدية ضافية عن صحة الأحاديث النبوية -
والصحيحان ، أى صحيح محمد بن اسماعيل البخارى
(١٩٤/٨١٠ - ٢٥٦/٨٧٠) ، وصحيح مسلم بن الحجاج
(٢١٠/٨١٦ - ٢٦١/٧٨٥) هما أول مجموعتين من الستة
الصحيح للسنة المعتمدة ، وهما « يمثلان لأول مرة فى مادة
الحديث نقداً للاسناد أدق مما كان معتاداً فى الفترة
السابقة » (١١٦) وكان لكل من هذين المحدثين شروط ان لم
تتوافر فى حديث من الأحاديث رفض ادراجه فى مجموعته -
وقد ذكر « روبسون » بصدده مناقشة درجات صحة الأحاديث
أن فقهاء المسلمين مثل محمد بن عبد الله النيسابورى كانوا
يعطون مركز الصدارة للبخارى ومسلم (١١٧) وهذا ، فى
الواقع ، رأى عام لا يقتصر على النيسابورى .

على أن نقد الحديث لا ينطبق على الأحاديث النبوية
التي سقناها فى دراستنا الراهنة - فنحن لم نورد أحاديث
تتعلق بموضوعات قانونية أو شرعية - ولا يتصل ببحثنا هذا
أيضا الأحاديث التي يحتمل أن تكون قد وضعت تحت تأثير
بنى أمية أو بنى العباس - كذلك فإن الأحاديث التي تتعلق
بالخلافاً بين أهل السنة والشيعة أحاديث مشكوك فى أمرها
وهي لا تعيننا ، ومعظم المطاعن التي أبداها العلماء
التقليديون وعلماء الغرب تنصب على مثل هذه الأحاديث -

فموقفنا بشأن تناول مادة الحديث اذن مطابق لموقف
« مونتجرى واط » حين يقول :

« من الجائز أن بعض الأحاديث فى المجال الشرعى قد
انتقلت انتحالا • أما فى المجال التاريخى ، بالقدر الذى
يمكن به الفصل بين المجالين ، وبصرف النظر عن بعض
الحالات الاستثنائية ، فالظاهر أن أقرب شىء الى مثل هذا
الانتحال لدى خيرة المؤرخين الأوائل كان تشكيل المادة
التاريخية تشكيلا متميزا • • ولما كان عدد كبير من المسائل
التي اهتم بها المؤرخون فى منتصف القرن العشرين لا يتأثر
بعملية التشكيل ، فلن تكون هناك صعوبة كبرى فى الحصول
على اجابات عن الأسئلة من المصادر (١١٨) •

وفى جميع الحالات التى لا يحتمل أن يكون الحديث
فيها موضوعا لخدمة غرض من الأغراض ، وفى الحالات التى
لا يكون فيها لحديث من الأحاديث دور مباشر فى خلاف حول
الموضوع المطروح ، أثرنا أن يكون اعتمادنا عليه أكثر من
اعتمادنا على مصادر المغازى الثلاثة ، ولغليوم فى هذا
الموضوع ملاحظات لا تغلو من وجهة ، فهو يقول :

« ان رجلا (مثل البخارى) أمضى ستة عشر عاما فى
تجميع مادة مصنفه ، وكان يستعين بالصلاة قبل أن تخط يده
حديثا من الأحاديث ، ورجع الى أكثر من ألف شيخ كانوا
يعيشون فى أماكن بينها من المسافات ما بين بلخ ومرو
ونيسابور ومدن ما بين النهرين المهمة والحجاز ومصر
وسوريا يستحق من أبناء دينه كل تقدير • • وكان البخارى
عند جمهرة الناس أعظم بكثير من مسلم ، وكان الناس ينحون
الى تفضيل عمل الأول على عمل الثانى ، ويتميز صحيح
البخارى بشموله مجال الفقه بأكمله وبتشدد صاحبه فى
الشروط التى كان يشترطها فى الرواة ، أما صحيح مسلم
فيمتيز بدقة معالجته لمادة الحديث • وللمجموعتين معا حجية
لا مطمئن عليها تقريبا وان كانتا قابلتين للنقد فى بعض
التفاصيل • • » (١١٩) •

وتفضيلنا للصحيحين لا يعدو دراسة البيانات التاريخية المتعلقة باليهود في عهد الرسول ﷺ ، وهذا لا ينطبق بالضرورة على مناقشة موضوعات أخرى ولا ، بصورة خاصة ، على أصل التشيع والخلافات التي نشأت عن دعاوى الأمويين والعباسيين ، وهو لا ينطبق بالتأكيد على مسائل الفقه المتعلقة بغير المسلمين .

ان القرآن الكريم والمصنفات الخمسة المذكورة هي دل مصادرنا الأولية . وقد استعنا بالاضافة اليها بسنن ابى داود ، وكتاب « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » للسهمودى .

وكان أبو داود (٢٠٢ / ٨١٧ - ٢٧٥ / ٨٨٨) معاصرا للبخارى ، كما كان تلميذا لأحمد بن حنبل ، وأبو داود اقل تشددا في شروطه من غيره ، وحين كان فقيه غير متشدد يحكم بصحة حديث من الأحاديث « فانه كان يقبل الحديث بالرغم من وزن النقد المخالف » (١٢٠) . غير أن هذا لا يعنى أنه لم يكن يراعى ما يلزم من احتياط . « لقد دون نصف مليون حديث انتقى منها ٨٠٠ رء أربعة آلاف وثمانمائة حديث ، وهو يسمى هذه الأحاديث بالصحيحة ، وتلك التى تشبهها وتقاربها » (١٢١) .

وقد تلقى نور الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن أحمد السهمودى (٨٤٤ / ١٤٤٠ - ٩١١ / ١٥٠٥) العلم فى القاهرة على أشهر رجال عصره ، الورع الصوفى العراقى . وفى سنة ٨٦٠ / ١٤٥٥ أدى فريضة الحج وأقام فى المدينة زهاء ست سنوات ، وقام خلال هذه الفترة ببحوث مستفيضة عن مسجد الرسول ﷺ فى صورته الأصلية . وفى سنة ٨٨٦ / ١٤٦١ حج من جديد ثم عاد الى مصر وقبل فى معية السلطان الأشرف قايتباى . بعدها رجع الى المدينة فى سنة ٨٩٠ / ١٤٨٥ وبقي فيها الى أن توفى ، وأهم مؤلفات السهمودى هو « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » (١٢٢) .

وقد رجعنا اليه ، وهو المصدر الرئيسى للمعلومات المتعلقة بتاريخ المدينة ووضفها (١٢٣) .

وقد رجعنا لهذين العاملين لمزيد من المعلومات والشواهد ، لا باعتبارهما مرجعين قائمين بذاتهما ، ان أبا داود يزود بمعلومات اضافية أو بشرح للأحداث حين تصمت عنها مصادرونا الأولية أو حين تعطينا عنها بيانات مبهمه .

والسمهودى هو أول من تحدث عن المدينة بعد ظهور الاسلام ، وقد تصورنا خلال بحثنا عددا من المصادر الأخرى المهمة عن تاريخ الاسلام كتبت من منظور مختلف وتحرت أغراضا مختلفة مثل كتاب « الخراج » ليعبى بن آدم ، وكتاب « الأغاني » لأبى الفرج الأصبهاني ، وذلك التماسا لمادة تتصل بموضوعنا ، وان كنا لم نعتمد على هذه المصادر فيما أوردناه من وقائع أو حجج أساسية ، كما لم نعتمد ما كتبه الواقدي وابن سعد ، ولن تتأثر دراستنا هذه اذا حذفت منها الإشارة الى هذه الأعمال .

لقد قال اللورد « اکتون » ذات مرة ان المنهج النقدى ، حين يكتشف بيان ذو أهمية ، « يبدأ بالشك فى هذا البيان » وان اول واجبات المؤرخ « لا يتحصل فى فن تجميع المواد ، بل فى فن آخر أسمى هو فن تحقيقها أى تمييز ما فيها من صحة أو زيف » ان انزال العقاب ببنى قريظة شئ ليس له متيل فى حياة الرسول ﷺ . وقد جاء فى الروايات أن عدد من أعدموا لدى استسلام بنى قريظة يتراوح بين ستمائة وتسعمائة ، علما بأن مجموع من قتلوا من المسلمين وغير المسلمين فى جميع السرايا والغزوات التى تمت فى حياة الرسول ﷺ كان أقل من خمسمائة من الطرفين ، وأن عدد من قتل من غير المسلمين يقل عن ثلاثمائة . ويقول « فرانشيكو جابريلي » فى هذا الصدد : « لقد أثارت هذه الحلقة السوداء ، التى يلاحظ أن كتاب المسلمين يأخذونها مأخذاً هادئاً ، مناقشات حامية بين كتاب السيرة المحمدية فى الغرب

وجهت فيها اتهامات لاذعة للرسول من جانب وابديت فيها معاذير ذات طابع قانونى من جانب آخر (١٢٤) . على ان الذى حدث فى هذه المناقشة الحامية هو أن كلا الطرفين لم يهتما كثيرا ببحث الشواهد المتعلقة بالموضوع بحثا نقديا ، لقد استند الباحث الغربى فى اتهامه الى ابن اسحاق والواقدى وابن سعد فرد عليه الباحث المسلم فى دفاعه بحجج استند فيها الى ما جاء فى سفر التثنية (١٢٥) وسفر صموئيل الثانى (١٢٦) (★) .

ان من سمات قصص المذابح والقتل الجماعى أنها تترك انطبعا قويا فى مخيلة الناس . وهى اذا ذاعت وانتشرت فمن الصعب محوها من ذاكرة الناس الجماعية . وحتى اذا انهار أساسها التاريخى فانها تصبح جزءا من الأساطير الشعبية . وقد حلل « جورج و . هارتمان » George W. Hartman فى مجلة علم النفس الاجتماعى Journal of Social Psychology (١٢٧) العوامل الانفعالية التى تؤدى الى استمرار تصديق مثل هذه الخرافات التى لا يقوم عليها دليل موضوعى يمكن الركون اليه .

(★) تنص الآيات من ١٠ - ١٤ من الاصحاح ٢٠ من سفر التثنية من الكتاب المقدس على ما يأتى :

« حين تقرب من مدينة كى تحاربها استدعها الى الصلح . فان أجابتك وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وان لم تسالك بل عملت معك حربا فحاصرها . واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاهما الرب الهك » . (المترجم) .

وتنص الآيات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ من الاصحاح ١٢ من سفر صموئيل الثانى من الكتاب المقدس على ما يأتى :

« فجمع داود كل الشعب وذهب الى ربة وحاربها وأخذها . وأخذ تاج ملكهم عن رأسه ووزنه من الذهب مع حجر كريم وكان على رأس داود . وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جدا . وأخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونواجر حديد وفؤوس حديد وأمرهم فى اتون الأجر وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمون . ثم رجع داود وجمع الشعب الى اورشليم » . (المترجم) .

وقصص المذابح والقتل الجماعي والاغتيال هي ، من بين جميع « الحقائق » التاريخية ، أكبر القصص مدعاة للشك ، ومعظمها يكون محض اختلاق أو تنطوى على مبالغات جسيمة فيها أكثر منها في غيرها . كان ابن اسحاق ، والواقدي ، وان يكن بدرجة أقل ، وابن سعد ، وقبلهما الزهري وموسى بن عقبة يتذكرون ويسجلون وينقلون ما كانوا يعتبرون أنه وقائع مهمة . والأحداث والتفاصيل التي نعتبرها نحن مهمة لم تكن أغلب الظن ، في نظرهم ، بذات أهمية (١٢٨) . كذلك فان هذه الأحداث والتفاصيل لم تكن بذات أهمية عند اليهود . ولم يكن هناك من المؤرخين أو الكتاب أو المراسلين أو الرحالة اليهود من روى قصصا عن المعنة التي أصابت يهود الحجاز بوقوع أحداث مأسوية من هذا النوع . ومن غير المحتمل ، بل ومن الصعب على المرء أن يتصور أن العلماء والأخبار في أكاديميتي « الجاعون » اليهوديتين وفي مقر « رئاسة الجالوت » في بابل في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، حين كان ابن اسحاق وابن سعد يجمعان مادتهما ، عجزوا عن الحصول على الرواية اليهودية لأحداث مثل هذه كان لها تأثير عميق على حياة المجتمع اليهودي في الحجاز في زمن الرسول ﷺ ، لا سيما وأن المعروف عن اليهود أنهم حريصون على تسجيل ما يصيبهم من محن ونكبات . وقد أقام يهود خيبر ، الذين يقال ان عمر طردهم ، في الكوفة التي لم تكن بعيدة عن مقر « الجاعونية » (١٢٩) وكانوا من سلالة بنى النضير وبنى قريظة ، وكان في مقدور علماء اليهود أن يجمعوا منهم مادتهم . ان كتاب « صمويل أوسكوى » بعنوان « عزاء لبلايا اسرائيل - الحوار الثالث » (١٣٠) مرجع كلاسيكي عن شهداء اليهود يرجع الى القرن السادس عشر . وهذا الكاتب الذي قيل انه صور معاناة اليهود أبلغ تصوير ، وأنه « جعل مراحل التاريخ اليهودي الطويلة تمر أمام معاصريه بكل ما فيها من عظمة

مجيدة ومأساة سحيقة تستدر الدموع من مآقيهم » (١٣١)
لا يتحدث لا عن اجلاء بنى قينقاع وبنى النضير ولا عن اعدام
بنى قريظة • والظاهر أن تاريخ اليهود حتى زمن
« جايجز » (١٨٣٣) كان خاليا من هذه القصص •

واذا كان اليهود قد فقدوا هيمنتهم في يثرب وخبير
فما ذلك الا لأنهم لم يتمكنوا من التكيف مع الوضع الجديد
كما تكيفت قريش مكة، وذلك رغم أن الشروط التي عرضت
عليهم كانت مختلفة وأقل وطأة بكثير من تلك التي فرضت
على قريش وعلى غيرها من قبائل العرب الوثنية •

مراجع المقدمة

(١) ترجم « ف . م . يونج F. M. Young كتاب « جايجر »
Abraham Geiger الى الانجليزية ، وظهرت الترجمة فى الهند سنة
١٩٨٦ بعنوان « Judaism and Islam » اليهودية والاسلام » ، وقد
اعادت دار Ktav Publishing House بنيويورك نشر الترجمة فى سنة
١٩٧٠ .

(٢) Rudolf Leszynsky, *Die Juden in Arabien zur Zeit Moham-*
meds (Berlin, 1910).

رودولف ليزنسكى « اليهود فى الجزيرة العربية فى زمن محمد »
(برلين ١٩١٠) .

(٣) S. D. Goitein, *Jews and Arabs : Their Contacts Through*
the Ages (New York 1955).

س . د . جويتاين « اليهود والعرب : اتصالاتهم عبر العصور »
(نيويورك ١٩٥٥) .

(٤) المرجع نفسه .

(٥) المرجع نفسه .

(٦) س . د . جويتاين « اليهود والعرب » ، ص ٥٦ .

(٧) المرجع نفسه ، ص ٢٣٧ .

(٨) لم تكن كتب مثل « سيرة » ابن هشام ، أو « مغازى » الواقدي ،
أو « طبقات » ابن سعد قد نشرت فى ذلك الوقت ، كما أن من المحتمل أنها
لم تكن معروفة لديه .

(٩) هو تاريخ عالمى يتناول فترة الجاهلية والتاريخ الاسلامى
حتى سنة ١٢٢٩/٧٢٩ .

(١٠) « جايجر » الصفحة السابعة من المقدمة ، وقد كتب يحيى بن
زياد بن عبد الله بن منظور (٧٦١/٢٤٤ - ٨٢٢/٢٠٧) المعروف بالفراء
تعليقا على القرآن الكريم بعنوان « معانى القرآن » . (حقق ، ومطبوع
الآن - « المترجم ») .

(١١) « جويتاين » ص ٦٤ .

Sir William Muir, *The Life of Muhammad* (London, ١٢) 1861).

السير وليام موير « حياة محمد » (لندن ، ١٨٦١) .

H. Grimme, *Mohammed* (Munster, 1892-1895) (١٣)

هـ جريم « محمد » (مونستر ، ١٨٩٢ - ١٨٩٥) .

Leone Caetani, *Annali dell' Islam* (Milan, 1905 ff). (١٤)

ليون كايثاني ، حوليات الاسلام « (ميلانو ، ١٩٠٥ وبعدها) .

H Graetz, *History of the Jews* (Philadelphia 1894) Vol. (١٥)

III.

جراتز ، « تاريخ اليهود » (فيلادلفيا ، ١٨٩٤) الجزء الثالث .

A. J. Wensinck, *Mohammed on de jodan te Medina* (١٦) (Leiden, 1908).

« ج. أ. وينسينك » محمد ويهود المدينة « (لايدن ، ١٩٠٨) وقد

Klaus Schwarz, *Freiburg in Breisgau* « كلاوس شوارتز »

ترجمة انجليزية لهذا الكتاب في ١٩٧٥ .

Henri Lammens, « Les Juifs à la Mecque à la veille de (١٧)

l'Hègre », *L'Arabie occidentale avant l'Hègre* (Beyrouth, 1928).

« هنري لامانس » « اليهود في مكة عشية الهجرة » عرب الجزيرة

العربية قبل الهجرة (بيروت ، ١٩٢٨) .

Israel Wolfenson, « اسرائيل ولفنسون » (١٨)

« تاريخ اليهود في بلاد العرب » (القاهرة ، ١٩٢٧) .

Joseph Horowitz, « *Judaeo Arabic Relations in Pre-Islamic Times* » (١٩)

Islamic Culture, Vol. III (1929).

جوزيف هوروفيتز « العلاقات بين اليهود والعرب أيام الجاهلية »

الثقافة الاسلامية ، المجلد الثالث (١٩٢٩) .

Charles Cutler Torrey, *The Jewish Foundation of Islam* (٢٠)

(New York, 1967, first published in 1933).

« تشارلز كتلر تورى » الأساس اليهودي للإسلام (نيويورك ،

١٩٦٧ ، نشر لأول مرة في ١٩٣٣) .

Joachim Wilhelm, (Haim Zeev) Hirschberg, *Israel in* (٢١)

Arabia (Tel Aviv, 1946). in Hebrew.

« يواكيم ويلهلم (حاييم زيئيف) هيرشبرج » ، « اسرائيل في الجزيرة

العربية » ، (تل أبيب ، ١٩٤٦) ، بالعبرية .

Salo Wittmayer Baron, *A Social and Religious History of The Jews* (New York, 1957), Vol. III. (٢٢)

« سالو ويتماير بارون » ، تاريخ اليهود الاجتماعى والدينى (نيويورك ، ١٩٥٧) الجزء الثالث .

Watt, W. Montgomery, *Muhammad at Medina* (Oxford, 1962, First Published in 1956). (٢٣)

« مونتجمرى واط » ، محمد فى المدينة ، (أوكسفورد ١٩٦٢ ، نشر لأول مرة فى ١٩٥٦) .

Ed. by F. Wustenfeld (2 vol. Gottingen, 1856-60). (٢٤)

نشره وستنفلد (جزءان ، جوتنجن ، ١٨٥٦ - ٦٠) .

(٢٥) (٣ أجزاء ، القاهرة : مطابع الشعب ، بدون تاريخ) .

(2 vols. Lahore : Ghulam Ali & Sons, 1958-62. (٢٦)

(جزءان ، لاهور ، ١٩٥٨ - ٦٢) .

Ed. by Marsden Jones (2 vols. London, 1966). (٢٧)

نشره « مارسدين جونز » (جزءان ، لندن ، ١٩٦٦) .

(٢٨) (٨ أجزاء ، بيروت ، ١٩٥٧ وبعدها) .

John Lukacs, *Historical Consciousness ; or, The Remembered Past* (New York, 1968), p. 35. (٢٩)

« جون لوكاكس » « الرعى التاريخى ؛ أو تذكر الماضى » (نيويورك ، ١٩٦٨) ، ص ٣٥ .

Gordon Leff, *History and Social Theory* (University, : Ala : The University of Alabama Press, 1969), p. 124. (٣٠)

« غوردون ليف » « التاريخ والنظرية الاجتماعية » ١٩٦٩ ، ص ١٢٤ .

Erling Ladewig Petersen, *Ali and Muawiya in Early Arabic Tradition* (Copenhagen, 1964), p. 18. (٣١)

« ارلينج لادويج پترسين » على ومعاوية فى الكتابات العربية الاولى (كوبنهاجن ، ١٩٦٤) ، ص ١٨ . وقد صدرت طبعة جديدة من هذا الكتاب فى ١٩٧٤ .

(٣٢) « پترسين » ، ص ١٩ .

(٣٣) المرجع نفسه ، ص ١٧٨ .

(٣٤) ولد أبو محمد سعيد بن المسيب (٦٣٦/١٥ - ٧١٢/٩٤) فى خلافة عمر . وكان فقيها مفتيا ، كان عمر الثانى يجله . وكان الزهرى ومكحول وقتاده يعتبرونه من أجل الفقهاء .

(٣٥) انظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى (بيروت ، ١٩٥٨) ، الجزء السابع ، صص ٣٢ وما بعده ، البخاري ، كتاب التاريخ الكبير (حيدر آباد ، ١٣٦١) ، الجزء الأول ، ص ٤٠ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ (حيدر آباد ، ١٩٥٦) ، الجزء الأول ، صص ١٧٢-٧٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب (حيدر آباد ، ١٣٢٦) ، الجزء التاسع ، صص ٣٨-٤٥ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد (القاهرة ، ١٩٣١) ، صص ٢١٤-٣٤ ؛ ابن خلكان ، كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس (بيروت ، بدون تاريخ) ، الجزء الرابع ، صص ٢٧٦-٧ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير (القاهرة ، ١٣٥٦) الجزء الأول ، صص ٨ - ١٧ ؛

Johann Fuck, **Muhammad Ibn Ishaq** (Frankfurt am Main, 1925).

• « جوهان فوك » ، محمد بن اسحاق ١٩٢٥ .

J. Horovitz, « **The Earliest Biographies of The Prophet and Their Authors** », Islamic Culture (1928), pp. 169-80.

« ج • هوروفت » ، سير الرسول الأولى ومؤلفوها « الثقافة الإسلامية » (١٩٢٨) ، صص ١٦٩ - ٨٠ .

A. Guillaume, **The Life of Muhammad** (London 1955), Introduction.

• « غليوم » ، حياة محمد (لندن ١٩٥٥) ، المقدمة .

Muhammed Hamidullah, **Muhammed Ibn Ishaq** (Karachi, 1967).

• محمد حميد الله « محمد بن اسحاق » (كراتشي ، ١٩٦٧) .

(٣٦) « جراتز » ، الجزء الثالث ، صص ٩٣ - ٩٤ .

Review of S.D. Goitein's book, **Jews and Arabs, The Jewish Quarterly Review**. Vol. XLVI, No 4, 1959, p. 386.

عرض كتاب س • د • جويتاين « اليهود والعرب » ، المجلة اليهودية ، ربيع السنوية ، المجلد السادس والأربعون ، رقم ٤ ، ١٩٥٦ ، ص ٣٨٦ .

Max L. Margolis and Alexander Marx, **A History of The Jewish People**, (New York, 1965), pp. 254-57.

« ماكس ل • مارجوليس » و « الكسندر ماركس » ، تاريخ الشعب اليهودي (نيويورك ، ١٩٦٥) ، صص ٢٥٤-٥٧ .

Haim Z'ew Hirschberg, « **Abbasidis** » **Encyclopaedia Judaica** (Jerusalem 1971), vol. II. Cols. 42-3.

« حاييم زئيو هيرشبرج » ، « العباسيون » ، دائرة معارف جودايقا (القدس ، ١٩٧١) ، الجزء الثاني ، العامودان ٤٢ - ٣ .

Eliezer Bashan « **Exilarch** ». **Encyclopaedia Judaica**, (٤٠) Vol. VI. Cols 1023-34.

«اليزر باشان» رأس الجبالوت « دائرة معارف جودايكا ، الجزء السادس الأعمدة ١٠٢٣ - ٣٤ .

(٤١) « جويتاين » ، ص ص ١٢٠-١٢١ وكان الجاعون أو رئيس أكاديمية أورشليم خلال السنوات المائة الأولى من خلافة الفاطميين يمثل مركزا مماثلا فيما يتعلق بيهود الامبراطورية الفاطمية . انظر :

Goitein, A. *Mediterranean Society*, Vol. II pp. 5-18, 519-524.

« جويتاين » « مجتمع من مجتمعات البحر المتوسط » الجزء الثاني ص ص ٥ - ١٨ و ٥١٩ - ٥٢٤ .

(٤٢) يبدو أن هناك خلافا كبيرا بشأن اسمه .

(٤٣) « جراتز » الجزء الثالث ، ص ١٢٠ .

(٤٤) المرجع نفسه ، ص ١٢١ .

(٤٥) « مارجوليس وماركس » ، ص ٢٥٩ .

Edward G. Browne, *A Literary History of Persia* (London, (٤٦) 1928), Vol. I, p. 313.

« ادوارد ج براون » « تاريخ الأدب الفارسي » (لندن ، ١٩٢٨)
الجزء الأول ، ص ٣١٣ .

(٤٧) المرجع نفسه ، ص ٣١٧ .

(٤٨) المرجع نفسه ، ص ٣١٨ .

(٤٩) ليس هناك اتفاق على كتابة الاسم . وقد اتبعت في كتابته صيغة دائرة معارف « جودايكا » . وهيامسون Hyamson « (انظر الحاشية ٥١) ، يكتبه على أنه اسحق بن يعقوب عبليديا أبو عيسى الأصفهاني . والشهرستاني يسميه اسحاق بن يعقوب (انظر الحاشية رقم ٥٠) .

Maimonides Iggeret Teman, vide Israel Friedlander, (٥٠)

« Jewish Arabic Studies », The Jewish Quarterly Review, Vol. I (1910-11) p. 206.

ايجرت تيمان « ميمونيد » ، انظر : « اسرائيل فريدلاندر » المجلة اليهودية ربع السنوية ، الجزء الأول (١٩١٠ - ١١) ص ٢٠٦ .
والشهرستاني يقول في كتابه الملل والنحل (القاهرة ، ١٩٦٨) الجزء الأول ، ص ١٨٠ : « ان بشرا كثيرا من اليهود اتبعوه » .

(٥١) Albert M. Hyamson, « Messiahs (Pseudo-) » *Encyclopaedia of Religion and Ethics* (New York 1916) Vol. III, p. 582

« البرت م * هيامسون » « من ادعوا لأنفسهم صفة المسيح » دائرة معارف الديانات وفلسفة الأخلاق (نيويورك ، ١٩١٦) ، الجزء الثالث ، ص ٥٨٢ .

(٥٢) بالاضافة الى الشهرستاني وميمونيد انظر « جراتز » ، الجزء الثالث ، ص ص ١٢٤ - ٥ ، « مارجوليس وماركس » ، ص ٢٥٩ .

Solomon Grayzel, *A History of The Jews* (New York, (٥٣) 1968), p. 245

« سلومون جرايزل » تاريخ اليهود (نيويورك ١٩٦٨) ص ٢٤٥ .

(٥٤) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، الجزء التاسع ص ٤٥ .

(٥٥) قول ذكره (فرانز روزنتال » Franz Rosenthal فى مقدمته لكتاب « تشارلز كتلر تورى » « الأساس اليهودى للإسلام » ، ص ٧ .

J.M.B Jones, « Ibn Ishak », *Encyclopaedia of Islams*, (٥٦) New ed. Vol. III, pp. 810-811.

ج.م.ب. جونز . « ابن اسحاق » ، دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الجديدة ، الجز الثالث ، صص ٨١٠-٨١١ .

(٥٧) ابن سيد الناس ، عيون الأثر فى فنون المغازى والتسمائل والسير (القاهرة ، ١٣٥٦) ، الجزء الأول ، ص ٨ . وبالرغم من أن ابن سيد الناس كان من الكتاب المتأخرين ، (فقد توفى سنة ٧٣٤/١٣٤٤) ، إلا أنه جمع كل ما كان متاحاً من إشارات إلى ابن اسحاق ، سواء أكانت بتزكية أم بالقدح فيه ، ثم حاول أن يدافع عنه ضد نقاده . وقد أورد ابن سيد الناس فى مقدمته لعيون الأثر أكمل ملخص معروف لرأى المسلمين فى ابن اسحاق . (قول الزهرى هو : من أراد المغازى فعليه بمولى قيس بن مخزومة هذا ، وهو وارد فى التاريخ الكبير للبخارى لا فى عيون الأثر - (المترجم)

(٥٨) المرجع نفسه ، ص ٩ : تهذيب ، الجزء التاسع ، ص ٤٠ .

(٥٩) البخارى ، كتاب التاريخ الكبير ، الجزء الأول ، ص ٤٠ .

(٦٠) المرجع نفسه ، ابن خلكان ، الجزء الرابع ص ٢٧٦ .

(٦١) ابن خلكان ، الجزء الرابع ، ص ٢٧٦ .

(٦٢) المرجع نفسه ، صص ٢٧٦-٧ : ابن سيد الناس ، صص ١٠ - ١١ .

(٦٣) ياقوت ، معجم الأدباء ، (القاهرة ١٩٣٥ - ٣٨) ، الجزء الثانى ، ص ٤٠٠ .

(٦٤) انظر لمناقشة اكمل :

Joseph Horowitz, « The Earliest Biographies of the Prophet and their Authors », *Islamic Culture*, April 1918, pp. 169-80. Hamidullah (1967).

« جوزيف هوروفتس » سير الرسول الأولى ومؤلفوها « الثقافة الاسلامية أبريل ١٩٢٨ ، صص ١٦٩٠ - ٨٠ ، وحيد الله (١٩٦٧) .

(٦٥) تهذيب ، الجزء التاسع ، ص ٤٥ .

(٦٦) ابن سيد الناس ، الجزء الأول ، ص ١٧ .

- (٦٧) « هوروفتز » الثقافة الاسلامية ، ١٩٢٨ ، ص ١٧٦ .
- (٦٨) James Robson « Ibn Ishaq's Use of the Isnad », Bulletin of the John Rylands Library, Vol. 38, 1955-56, p. 451.
- « جيمس روبسون » استعمال ابن اسحاق للاسناد ، نشرة مكتبة جون رايلاندين ، المجلد ٣٨ ، ١٩٥٥ - ٥٦ ، ص ٤٥١ .
- (٦٩) المرجع نفسه ، ص ٤٥٧ .
- (٧٠) « جيمس روبسون » ، استعمال ابن اسحاق للاسناد ، نشرة مكتبة جون رايلاندين المجلد ٣٨ ، ١٩٥٥ - ٥٦ ، ص ٤٥٢ .
- (٧١) J. M. B. Jones, « Ibn Ishaq and Al Waqidi », Bulletin of the school of Oriental and African Studies, Vol. XXII, 1959, p. 51.
- « ج.م.ب. جونز » « ابن اسحاق والواقدي » نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ، المجلد الثاني والعشرون ، ١٩٥٩ ، ص ٥١ .
- (٧٢) احصاء الأسماء التي تضمنها الاسناد يستند الى القسائم الواردة في كتاب سيرة رسول الله لابن هشام الذي حققه الدكتور « فرديناند وستنفيلد » . « Dr. Ferdinand Wustenfled » .
- (جزآن ، جوتنجن Gottingen ، ١٨٦٠) ، صص ٥٨-٦٩ . وهذا العدد لا يتضمن اسناد ابن هشام .
- (٧٣) حاولت أن اتبع بقدر الامكان الترتيب الذي يظهر به الراوية اليهودي في « السيرة » .
- (٧٤) ابن هشام ، ص ١٧ .
- (٧٥) المرجع نفسه ، صص ٢٣ و ٢٤ .
- (٧٦) المرجع نفسه ، صص ١٨٥ - ٨٧ .
- (٧٧) المرجع نفسه ، صص ٢٧٩ - ٨٠ .
- (٧٨) ابن هشام ، ص ٣٢٦ .
- (٧٩) المرجع نفسه ، ص ٤٢٢ .
- (٨٠) المرجع نفسه ، صص ٥٨٤ - ٨٥ .
- (٨١) المرجع نفسه ، صص ٦٨٣ - ٨٤ .
- (٨٢) المرجع نفسه ، ص ٩٠١ .
- (٨٣) المرجع نفسه ، صص ١٣٥ - ١٣٦ .
- (٨٤) المرجع نفسه ، ص ١٣٦ .
- (٨٥) المرجع نفسه ، صص ٣٥٣ - ٥٤ .
- (٨٦) المرجع نفسه ، صص ٣٥٤ - ٥٥ .
- (٨٧) المرجع نفسه ، صص ٣٩٤ - ٩٥ .

- (٨٨) المرجع نفسه ، ص ٦٥٤ .
- (٨٩) المرجع نفسه ، ص ٦٩٢ .
- (٩٠) G. Levi Della Vida « *Sira* », El (1), Vol. IV., p. 441.
- « ج . ليفي ديلافيديا » السيرة » ، دائرة المعارف الاسلامية (١) ، الجزء الرابع ، ص ٤٤٢ .
- (٩١) عبارة « فيما بلغني » العربية واردة في الأصل بالحروف اللاتينية .
- (٩٢) عبارة « ذكر لي » واردة في الأصل بالحروف اللاتينية .
- (٩٣) « غليوم » . ص ٢٤ من المقدمة .
- (٩٤) قول نقله « ملفين مادوكس » « Melvin Maddocks » في عرض لكتاب عنه بقلم « جون كلايف » Macaulay : « John Clive »
- The Shaping of The Hisorian* (New York. 1974), in Time, April 22, 1974, p. 90.
- ماكولي ، « تشكيل المؤرخ (نيويورك ١٩٧٤) في « تايم » ٢٢ أبريل ، ١٩٧٤ ، ص ٩٠ .
- (٩٥) « ج . ليفي ديلافيديا » السيرة » ، دائرة المعارف الاسلامية (١) الجزء الرابع ، ص ٤٤٢ .
- (٩٦) ميزان الاعتدال (القاهرة ١٣٨٢ / ١٩٦٣) الجزء الثالث ص ٦٦٣ .
- (٩٧) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، الجزء الأول ، ص ٣٤٨ .
- (٩٨) ابن خلكان ، وفيات ، ترجمة « م . دي سلين » « M. De Slane » (أعيد طبعه في كراتشي ، ١٩٦٤) ، الجزء الرابع ، ص ٣٢٦ .
- (٩٩) « جوزيف هوروفت » « الثقافية الاسلامية » (١٩٢٨) ، ص ٥١٨ ، ودائرة المعارف الاسلامية (١) الجزء الرابع ، ص ١١٠٤ - ٥ ، « مونجمري واط » « محمد في مكة » (أوكسفورد ، ١٩٥٣) ، ص ١٢ .
- (١٠٠) « بترسين » ، ص ٨٣ .
- (١٠١) تهذيب ، الجزء الثاني ، ص ٣٤٤ .
- (١٠٢) « هوروفت » (١٩٢٨) ، ص ٥٢٤ .
- (١٠٣) J. W. Fuck, « *Ibn Saad* » E. I. (2) Vol. III, p. 922.
- « ج . ووفوك » ، « ابن سعد » دائرة المعارف الاسلامية (٢) الجزء الثالث ، ص ٩٢٢ .
- (١٠٤) ابن هشام ، ص ٥٤٥ .
- (١٠٥) المرجع نفسه .
- (١٠٦) المرجع نفسه .
- (١٠٧) ابن هشام ، ص ٥٥٣ .
- (١٠٨) المرجع نفسه ، ص ٣٧٦ - ٧ .

Lord Raglan, **The Hero : A Study in Tradition, Myth and Drama** (New York 1956), p. 13.

اللورد راجلان ، « البطل : دراسة فى المأثور والخرافة والدراما » ،
(نيويورك ١٩٥٦) ، ص ١٣ .
(١١٠) المرجع نفسه ، ص ١٤ .

Ignaz Goldziher, **Muslim Studies** (The Original Was First (١١١)
Published in 1890) Trans. by C. R. Barber and S. M. Stern
(London, 1971), Vol. II.

« اجناز جولدزيهر » دراسات اسلامية « (نشر الاصل لأول مرة فى
١٨٩٠) ، ترجمه الى الانجليزية « ك . ر . باربر ، و ، س . م . سترن ،
(لندن ، ١٩٧١) ، الجزء الثانى .

D. S. Margoliouth, **The Early Development of Moham- (١١٢)
medanism** (London, 1914).

« د . س . مارجوليوث » تطور الاسلام فى فترته الاولى (لندن ،
١٩١٤) .

Henri Lammens, **Islam, Beliefs and institutions**, trans. (١١٣)
by Sir E.D. Ross (London, 1929).

« هنرى لامانس » « الاسلام ، معتقداته ومؤسساته » ترجمة السير
د . س . روس (لندن ، ١٩٢٩) .

James Robson, « Tradition », « The Muslim World, Vol. (١١٤)
XLI 1957 January, pp. 22-23 April, pp. 98-112 and July, pp. 166-
180.

« جيمس روبسون » ، « الحديث » ، العالم الاسلامى ، المجلد
الواحد والأربعون ١٩٥٧ ، يناير ، صص ٢٢ - ٢٣ ، أبريل ، صص ٩٨ -
١١٢ ويوليو ، صص ١٦٦ - ١٨٠ .

J Schacht, **The Origins of Muhammadan Jurisprudence** (١١٥)
(Oxford, 1959).

« شاخت » « أصول الفقه الاسلامى » (أوكسفورد ، ١٩٥٩) .
وقد ظهرت مؤخرا كتابات عديدة بلغة الأردو بقلم علماء مسلمين ، لاسيما
فى الهند وباكستان ، للرد على نقد علماء الغرب ، وعلى « شاخت »
بصفة خاصة . وقد قام « فؤاد سيزجين » « Fuad Sezgin » كذلك بعمل
قيم فى هذا المجال ومما يؤسف له أن معظم هذه الأعمال لم تترجم
لا الى العربية ولا الى الانجليزية .

(١١٦) « جولدزيهر » « دراسات اسلامية » ، المجلد الثانى ،
ص ٢٢٧ .

(١١٧) « روبسون » « العالم الاسلامى » المجلد الواحد والأربعون ،
ص ٣٢ .

- (١١٨) « مونتهجرى واط » « محمد فى مكة » (أوكسفورد ، ١٩٦٨) ، ص ١٣ .
- (١١٩) Alfred Guillaume, *The Tradition of Islam : An Introduction to the Study of the Hadith Literature* (Oxford, 1924). pp. 30-32.
- « الفريد غليوم » « السنة فى الاسلام » : مقدمة لدراسة مادة الحديث (أوكسفورد) ١٩٢٤ ، ص ص ٣٠-٣٢ .
- (١٢٠) « غليوم » ص ٣٤ .
- (١٢١) المرجع نفسه ، ص ٣٤ .
- (١٢٢) نشر فى القاهرة فى أربعة أجزاء فى سنة ١٩٥٥ .
- (١٢٣) انظر لمزيد من التفاصيل ، حاجى خليفة ، كشف الظنون ، Brockelmann, *Geschichte Der Arabischen Literatur*, Vol. G. II, 173.
- روبروكلمان ، « تاريخ الأدب العربى » ، المجلد « II » « الثانى » ، ص ١٧٣ ، ومقدمة الناشر لطبعة « وفاء الوفا » سنة ١٩٥٥ المذكورة سابقا .
- (١٢٤) Francesco Gabrieli, *Muhammad and the Conquests of Islam*, trans. by Virginia Luling and Rosamund Linell, (London, 1968), p. 73.
- « فرانثيسكو جابريللى » « محمد والفتوح الاسلامية » ، ترجمة « فرجينيا لولنج » « روزاموند لينيل » ، (لندن ١٩٦٨) ، ص ٧٣ .
- (١٢٥) Deuteronomy 20, 13-14 Quoted By Muhammad Ali, *Muhammad The Prophet* (Lahor, 1924), p. 163.
- التثنية ٣٠ : ١٣ - ١٤ ، ذكره محمد على « محمد النبى » (لاهور ١٩٢٤) ، ص ١٦٣ .
- (١٢٦) 2 Samuel XII, 31, quoted by Syed Ameer Ali, *The Spirit of Islam*, (London, 1964), p. 82.
- صمويل الثانى ، ثانى عشر ، ٣١ ، ذكره سيد أمير على ، « روح الاسلام » (لندن ، ١٩٦٤) ، ص ٨٢ .
- (١٢٧) المجلد الثانى والعشرون ، نوفمبر ١٩٤٥ ، ص ص ٢٢١-٢٣٦ .

(١٢٨) للامثلة انظر ، صص ٣٨ و ٣٩ من هذه الطبعة •

(١٢٩) « جراتز » الجزء الثالث ، ص ٨٥ ، « بارون » ، الجزء الثالث ، ص ٨٩ •

Samuel Usque, A Consolation for The Tribulations of (١٣٠)

Israel — Third Dialogue, translated by Gershon I. Gelbert (New York, 1964).

«صمويل أوسكوي» ، عزاء عن بلايا اسرائيل - الحوار الثالث ،
ترجمة « جرشون ١٩ » جلبارت « (نيويورك ، ١٩٦٤) •
(١٣١) المرجع نفسه ، ص ١٦ •

الفصل الأول

يهود الجزيرة العربية عشية الهجرة

« أرست شدة قبائل عربية بالتسلل
البطء إلى المدينة وما يجاورها ،
وأسبقهم المزارعون اليهود
بترحيب . وانتهى الأمر بهؤلاء
الوافدين الجدد ، الذين تزايدت
أعدادهم بصفة مستمرة بوافدين من
الجنوب والذين توحدوا تحت قيادة
زعيم قدير هو مالك بن عجلان ، أن
أصبحت لهم الغلبة على مضيفيهم
بحلول القرن السادس . ومع ذلك
فإن القبائل اليهودية التي وجدها
محمد داخل ذلك المركز الواقع في
شمال الجزيرة العربية وحوله كانت
لا تزال قوية ، ومن المحتمل أنها كانت
تشكل أغلبية السكان المقيمين » .

« سألو ويتماير بارون »

إن تاريخ نشوء المستوطنات اليهودية في الجزيرة العربية
كما يقول « جراتز » : « تاريخ يغشاه ضباب الأساطير » (١) ،
وليست هناك شواهد تاريخية يمكن الاعتماد عليها لتحديد
تاريخ تقريبي لوصولهم . كانت مدينة تيماء معروفة للأنبياء
اليهود ، ومن الجائز أنها كانت أول مدينة في الجزيرة
العربية وجد فيها شيء يشبه المجتمع اليهودي في الأزمان
الغابرة التي ورد ذكرها في الكتاب المقدس (٢) . والظاهر
أن نفرا من بحارة بنى إسرائيل ومن اليهود الفارين من
تنكيل نبختنصر ثم من تنكيل الرومان أقاموا لأنفسهم

مستوطننا فى شبه الجزيرة العربية - وفى جنوب الجزيرة (اليمن) كان اليهود شيعا « لا يجمع بينهم وفاق اجتماعى او سياسى » (٣) . على انهم فى حوالى بداية القرن الخامس استقروا فى الارض بفضل دأبهم ومهارتهم فى ضروب الكسب والربح . وقد بلغ من نفوذهم على قبائل اليمن العربية أن ذا نواس أحد ملوك حمير اعتنق اليهودية واتخذ لنفسه اسم يوسف (٤) .

وترجع الأساطير العربية تاريخ اقامة أول مجموعة من اليهود فى الحجاز الى زمن موسى عليه السلام الذى أمر بعض تابعيه بمقاتلة العماليق وهو شعب من أصل ادومى يوصف فى كتب أحبار اليهود بأنه « أكبر عدو دائم لبني اسرائيل » (٥) ويقول أبو الفرج الأصبهاني (٢٨٤ / ٨٩٧ - ٣٥٦ / ٩٦٧) ان هؤلاء اليهود أرسلوا للقضاء على العماليق فى الحجاز ولكنهم لم ينفذوا الأمر الصادر اليهم بقتلهم أجمعين وأخذتهم الشفقة بابن لمليكم كان غلاما جميلا وغادوا به حيا بدلا من أن يقتلوه . وقد عوقب هؤلاء اليهود على فعلتهم بالنفى فأقاموا فى يثرب التى كان قد سبق لهم الاستيلاء عليها . وكان من اليهود الذين استقروا فى الحجاز بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع (٦) . وبالرغم من عدم وجود عيب أساسى فى هذه الأسطورة فان الشواهد التاريخية لا ترجع بنا الا الى القرن الأول الميلادى . والكتابات التى خطت على شاهد قبر شخص من الشبث اسم « يهوديا » نصب فى الحجر سنة ٤٢ ميلادية (أو ٤٥ قبل الميلاد) وتلك الخاصة بشخص آخر اسمه «سيمون» فى سنة ٣٠٧ (وهذه ، بالمناسبة ، هى آخر كتابة معروفة للنبطيين اكتشفت حتى الآن) هى بعض المخلفات القليلة الموجودة عن حياة اليهود - العرب فى الجزيرة العربية قبل الاسلام . ويعتبر « ورنر كاسكيل » بمناسبة هاتين الكتابتين أن اليهود كانوا أهم ممثلى ثقافة النبطيين فى الحجاز بعد عام ٣٠٠ الميلادى ، وهو يقول فى

ذلك : « هذه هي بدايات السكان اليهود الذين احتلوا فيما بعد جميع الواحات الواقعة في الشمال الغربي بما في ذلك المدينة » (٧) .

وكانت يترتب ، الواقعة على طريق القوافل التي سسير من الشمال الى الجنوب ، واحة غنية بموارد المياه الجوفية والينابيع والمياه المنبتقة ، وقد وجد فيها اليهود ارضا يستغلونها بخبرتهم في مجال الزراعة وزرعوا فيها النخيل وأشجار الفاكهة والأرز . « ويبدو أنهم كانوا من الرواد فاستحدثوا طرقا متقدمة للرعى ونظم تعهد التربة ، وأدخلوا كذلك فنونا وحرفا جديدة في صناعة المعادن والصباغة وصنع المصوغات الدقيقة ، وعلموا القبائل التي كانت تجاورهم طرقا متقدمة في تبادل السلع والنقود » (٨) .

ورغم أن دين هؤلاء اليهود كان يميزهم عن سائر العرب الا أنهم استعربوا الى درجة جعلت قبائلهم تتخذ لنفسها أسماء عربية . ويبدو أن بنى زاعورا كانوا الاستثناء الوحيد على ذلك . « وكانت الأسماء اليهودية مثل عادياء والسموأل وسارا نادرة نسبيا بينهم » (٩) . ومن الصعب تحديد نسبة امتزاج العنصر العربي باليهود ، لكن من غير المستبعد أن تكون بعض القبائل العربية القح قد اعتنقت اليهودية (١٠) . ويقول « جراتز » في هذا الشأن :

« وكان من أثر التزاوج بين الأمتين أن زاد تشابه طباعهما . وقد اشتغل يهود جنوب الجزيرة العربية بوجه خاص - شأن الحميريين - بالتجارة فيما بين الهند والامبراطورية البيزنطية وبلاد فارس . أما يهود شمال الجزيرة فقد عاشوا على العكس من ذلك معيشة البدو واشتغلوا بالزراعة وتربية المواشي ونقل تجارة القوافل من السلاح ، ومن المحتمل أن يكون بعضهم قد احترف المصوذية » (١١) .

ويبدو أن ما يقوله « جراتز » من أن يهود شمال الجزيرة لم يشتغلوا بالتجارة يستند الى سكوت المصادر اليهودية عن هذا الموضوع * على أن يشرب كانت تقع على طريق تجارة القوافل ومن غير المحتمل الا يكون أثرياء اليهود في المنطقة، بمنتجاتهم الزراعية وصناعة المصوغات والأسلحة التي كان لهم فيها باع طويل ، وكذلك - وقبل كل شيء - برؤوس أموالهم ، قد اشتغلوا بالتجارة مع الشام * وقد أشار « ولفنسون » الى احتمال وجود اتصالات تجارية واسعة النطاق بين يهود يثرب وقبائل غسان المسيحية التي كانت من أعوان الامبراطورية البيزنطية في الشام (١٢) * ويوافق م* أشعبان على هذا الرأي حيث يقول :

« ان لنا ، نظرا للعلاقات الوثيقة التي كانت قائمة بين يهود المدينة وغيرهم من المجتمعات اليهودية في الجزيرة العربية ، أن نتصور وجود شبكة تجارية يهودية في تلك الجزيرة في ذلك الوقت (١٣) »

وهو يضيف الى ذلك قوله : « وقد امتدت هذه العلاقات شمالا حتى أذرعات في سوريا ، كما امتدت جنوبا على الأقل حتى نجران » (١٤) *

وكان يهود الجزيرة العربية يتمتعون ، كما يلاحظ « جراتز » ، بحرية كاملة وكانوا يعقدون الأحلاف الهجومية والدفاعية ، وكانت تنشأ بينهم أحيانا خصومات دامية * ولم يكونوا ممنوعين من مسالك الشرف ولا محرومين من الامتيازات بل كان مسموحا لهم ، بغير قيود ، بزيادة قوتهم وسط شعب حر بسيط وموهوب ، لاظهار شجاعتهم ورجولتهم ، وللتنافس على عطايا الشهرة وبمبارزة خصومهم بيد مدربة على استخدام السلاح * ولم يخضع اليهود لنير غيرهم ولم يكن من النادر أن يكون زعماء القبائل العربية من اليهود (١٥) * ولم يكن يهود الحجاز ، بخلاف الحال في المجتمعات اليهودية الأخرى ، يهتمون فيما يبدو بالعلم والأدب * وقد

شكك « مارجوليوث » وعيره سى صحة ما نسب اليهم من أشعار (١٦) ولم يكن السموأل سوى أسطورة ، وكان كعب ابن الأشرف ابنا لعربى ولو أنه كان « يتصرف وكأنه ينتمى لقبيلة بنى النضير، قبيلة أمه » (١٧) . ويسلم « بارون » بأن :

« الصورة الفكرية لليهود العرب لم تتجاوز بعض صفحات القانون الموسوى وبعض كتب الصلاة العبرية وبعض مستلزمات العبادة والدراسة الأخرى ، ومن المشكوك فيه جدا أن تكون ترجمات الكتاب المقدس العربية التى كانت موجودة فى ذلك الوقت أكثر من ترجمة جزئية » (١٨) .

ومعرفة الكتاب المقدس التى كان يملكها اليهود العرب ، حسب رأى « جراتز » ، « لم تكن معرفة كبيرة » . ولم تتأت لهم تلك المعرفة الا من خلال التفسير الأجادى (★) الذى أصبح مألوفاً لهم فى الأسفار التى كانوا يقومون بها ، أو الذى جاءهم به بعض من هاجروا اليهم . وكان تاريخ الماضى المجيد بالنسبة اليهم مختلطا بالاضافات الأجادية بدرجة جعلتهم عاجزين عن تمييز الذهب من الغثاء » (١٩) .

وكانت لليهود العرب علاقات تجارية بيهود الشام (٢٠) . كما كانت لهم روابط دينية ببابل (٢١) « ولكن صلاتهم الفكرية بمراكز حياة اليهود فى هذين البلدين كانت قليلة » (٢٢) . ومن الصعب ، نظرا لانعدام الشواهد التاريخية ، الموافقة على رأى الرومانطيقى الذى يقول به « بارون » بأنه : « خلال الأجيال القليلة التى كانت الكلمة العليا فيها لليهود ارتقت المناطق الشمالية المهمة الى مستوى من الحضارة يكاد يماثل ذلك الذى بلغته الحضارة فى الجنوب وهو المستوى الذى جعل حمير وما حولها تستحق منذ زمن طويل الوصف الذى وصفها به الرومان حين أسموها بالبلد العربى السعيد » (٢٣) .

(★) التفسير الاجادى تفسير قديم للتوراة ، استعان فيه واضعوه بالنواذر والاساطير لتقريب احكام الشريعة الموسوية الى افهام عامة الشعب .

وواقع الأمر ان يهود الجزيرة العربية « لم يسهموا
بشيء أو اسهموا بالنزر اليسير فى نهضة اليهود الدينية
والثقافية بعد فترة الكتاب المقدس » (٢٤) .

وفى هذا يقول « مارجوليوث » انه « لم يظهر بينهم
— فيما يبدو — رجل واحد يستحق أن يحفظ اسمه » (٢٥) .
لقد أقام فى المدينة أكثر من عشرين قبيلة من القبائل
اليهودية (٢٦) . وكانت أعلى هذه القبائل قوما قبائل بنى
قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع وبنى ثعلبة وبنى هدل .
وكانت قبيلتا بنى النضير وبنى قريظة تزعمان أنهما من
أسلاف كهنة يهود ، وكلمة كاهن العربية تقابل كلمة كوهين
العبرية . على أن اليعقوبى يقول ، دون أن يذكر مصدر
معلوماته ، ان بنى النضير كانوا بطونا من بطون بنى جذام
الذين اعتنقوا اليهودية ، وان بنى قريظة كانوا اخوة لبنى
النضير ، يقال انهم اعتنقوا اليهودية فى أيام عادية ابن
السموأل (٢٧) ويستفاد مما قاله اليعقوبى أن بنى النضير
وبنى قريظة تسميا باسم التلال التى حلوا بها أول مرة .
و « مارجوليوث » لا يعتبرهم يهودا ، وهو يميل « الى اعتبار
أن وصف اليهود الذى توصف به هذه القبائل المدنية يشير
الى شكل من أشكال التوحيد » (٢٨) . و « ريسنر » بدوره
لا يعتبرهم يهودا . وهو يقول فى ذلك :

« كان التلمود قد اكتمل فى بابل قبل مولد محمد بأقل
من مائة عام . وكان هناك فى ذلك الوقت فى داخل المجال
اليهودى وخارجه اتفاق تام على تحديد من هو اليهودى وعلى
ما يعتبر جوهر الديانة اليهودية . فاليهودى هو من اتبع
القانون الموسوى كما يفسره مدرسو القانون وفقا للمبادئ
التي أرساها التلمود . ومن لم يلتزم بهذا . . كان يسقط
من الحساب . واذا كان اسرائيليا بالميلاد فلا يمكن حرمانه
من حق المولد ، أى من حقه فى أن يدعى ابنا لاسرائيل ، كما
فى الجزيرة العربية . . » (٢٩) .

« وفريد لا ثذر » لا يذهب مذهب « جراتز » و « ريسنر »
وقد أثبتت استنادا الى وثائق جاعونية اتصال اليهود العرب
بأكاديمية بابل الجاعونية . وهو يلاحظ : « أن من سمات
الوضع المركزى الذى كانت تتمتع به الأكاديمية الجاعونية
فى حياة اليهود أنها كانت ، حتى فى شخص آخر ممنليها ،
قادرة على ممارسة نفوذها على اليهود شبه الخرافيين الذين
كانوا يعيشون بعيدين فى الجزيرة العربية الحرة وعلى
تشكيل حياتهم المهنية والمدنية . ويتضح من هذا الوضع فى
الوقت ذاته أن اليهود العرب ، مهما بلغ من بعدهم عن مركز
التعليم اليهودى ، كانوا يعترفون بسلطان التلمود وكانوا
بريئين من المشاعر المعادية للتلمود التى ينحو « جراتز » الى
اسنادها لأسلافهم » . (٣٠) .

لقد كان بنو قريظة وبنو النضير يسمون أنفسهم
بالكهنة . لذلك فمن المرجح أنهم كانوا يدعون الانتماء الى
بيت هازون (٣١) . وكان بنو قينقاع - الذين اتخذوا
لأنفسهم صناعات كصياغة الذهب - يصنعون الأسلحة
ويدبرون سوقا تجارية ، ومن المحتمل أنهم كانوا « عربا
شماليين أو أدوميين أو شيئا من هذا القبيل » (٣٢) .

ولم يكن بنو قينقاع يملكون أراضى زراعية ولكن كانت
لهم مستوطنة كثيفة فى ضواحي المدينة (٣٣) . وكان بنو
قريظة وبنو النضير يملكون أراضى تعتبر من أجود الاراضى
الزراعية الى الجنوب من المدينة وتقع على هضبة مرتفعة .
وكانت القبائل اليهودية الأخرى متناثرة متفرقة . وكانت
القبائل اليهودية فى المدينة تملك فى المجموع ما يقرب من
ستين أطما (٣٤) . وهذه الآطام ، التى كانت من معالم يشرب
البارزة ، كانت فى واقع الأمر حصونا تخزن فيها المؤن
فيتوافر فيها الماء . وكانت منيعة منعة تسمح لها بصد
الهجمات العسكرية ، كما كانت كبيرة بدرجة تسمح لها
بمقاومة الحصار الطويل . وكانت فيها مدارس ومعابد
وقاعات للمجالس .

وكانت خيبر من حيت الاهيه تانى مستوطنات اليهود
فى الجزيرة العربية . وهى تبعد بمسافة تسعين ميلا تقريبا
عن يثرب ، وتقع على هضبة جبلية شديدة الارتفاع تتكون
كلها من رواسب الالاف وتغطيها مستنقعات تعيث فيها الملاريا .
وكانت الوديان التى تتخللها ، رغم كونها غير مأهولة ، فى
غاية الخصوبة . وكان اليهود يزرعون الكروم والخضر
والغلال ويربون الأغنام والماشية والابل والخيول والحمير .
وكانت لديهم كذلك حدائق من نخيل . وكانوا يتجرون مع
بلاد الشام ويستفيدون من تجارة القوافل بين الجزيرة العربية
والشام والعراق . كذلك كانوا يصنعون المعدات المعدنية
كآلات التى تستخدم لك أسوار المدن المحاصرة
والمنجنيق (٣٥) . وكانوا يملكون مجموعات من الحصون
كان العديد منها مشيدا على قمم التلال فى مواقع منيعة .
ويقول اليعقوبى ان هذه الحصون كان يعيش فيها عشرون
ألف مقاتل (٣٦) . وكانت هناك معاقل يهودية ثلاثة أخرى
فى فدك ووادى القرى وتيماء .

على أن ما يذهب اليه « تورى » من أنه كان فى مكة يهود
فى زمن الرسول ﷺ قول لا أساس له (٣٧) . ان الأزرقى
لا يشير الى وجود أى مستوطن لليهود فى مكة وان كان يشير
الى توقيرهم للكعبة ، ويقول انهم كانوا يخلعون نعالمهم حين
يصلون الى حدود الحرم (٣٨) . ويلاحظ « لامانس » أن
ارسال قريش وفدا الى المدينة للتشاور مع اليهود فى شأن
ما كان يقوله الرسول ﷺ دليل على أنه لم يكن فى مكة يهود
تتسنى استشارتهم (٣٩) .

وحين وصل بنو قيله الى يثرب من الجنوب سمح لهم
اليهود ، فيما يبدو ، بالاقامة فى الأراضى الواقعة فى المدينة
وما حولها التى لم تكن قد زرعت بعد . وقد قبل بنو قيله ،
الذين كانوا ينقسمون الى أوس وخزرج ثم انقسموا الى
بطون أخرى ، سيادة اليهود ودخلوا معهم فى علاقات جوار
أو حلف .

والحلف اتفاق ذو نطاق عام يعتمد بين قبائل منفصلة
تماما لاقامة حالة دائمة من السلم بينها . ولم يكن الحلف
يتمس استقلال القبائل ، لكنه كان يوحد بينها لأغراض
الدفاع المشترك وللإسهام فى دفع الدية للغير ، وللأخذ
بالتأثر ، وللاشتراك فى استخدام المرمى (٤٠) .

وفى حوالى منتصف القرن السادس الميلادى تغير الوضع ،
وكان تغيره راجعا الى حد كبير الى ثورة مالك بن العجلان
على الأمير اليهودى الفطيون من قبيلة زهرة « وكانت لا تهدى
عروس بيثرب من الحيين ، الأوس والخزرج ، حتى تدخل
عليه فيكون هو الذى يفتصبها قبل زوجها » . وكان مالك بن
العجلان من الخزرج ، ولكن كلا من الأوس والخزرج كانا
ينخضعان لسيادته . وقد حصل مالك على استقلاله ، ومن
المحتمل أن كل الخزرج ومعظم الأوس تحرروا معه من
سيطرة اليهود (٤٢) . ويقول ابن خرداذبه (المتوفى سنة
٩١١/٣٠٩) ان مرزبان البادية عين عاملا على المدينة وكان
يجبى الخراج . ويستطرد هذا المصدر قائلا ان بنى قريظة
وبنى النضير كانوا ملوكا عينوا لجمع هذا الخراج من الأوس
والخزرج (٤٣) . كذلك يقول ياقوت (المتوفى سنة
١٢٢٩/٦٢٦) ان قريظة والنضير كانوا ملوكا فى المدينة
حتى أخرجهم منها الأوس والخزرج الذين كانوا فى السابق
يؤدون خراجا لليهود (٤٤) . ويعتبر « التهائم وستيل » أن
ما ذكره خرداذبه معقول وهما يلاحظان أن مثل هذا الوضع
كان من الممكن أن يستمر طالما كانت القبائل اليهودية تسيطر
على الأوس والخزرج حتى منتصف القرن السادس (٤٥) .
ولعل الأقرب الى الصواب أن نفترض أن يهود المدينة فقدوا
مركزهم كمجموعة مهيمنة قبل ميلاد الرسول بفترة .

وقد حدثت بعد منتصف القرن السادس تطورات
تضعفت على اثرها قوة المجتمع اليهودى فى يثرب . ويستدل
من حقيقة أن بنى النضير وبنى قريظة قد أعطوا قبل معركة

بعث رهائن للخزرج رغم أنهم كانوا على علم تام بمدى ضعفهم ، لكن كلتا القبيلتين ساعدتا الأوس في غزوة بعث ضد الخزرج رغم انه ترتب على ذلك قتل بعض رهائئهما . وقد مكنت هذه المساعدة الأوس من الظفر بالخزرج في معركة بعث التي وقعت قبل الهجرة بسنوات قليلة (٤٦) .

وبحلول الربع الأول من القرن السابع الميلادي كان بنو قيلة ، أغلب الظن ، في طريقهم الى ان يصبحوا مجموعة مسيطرة في يثرب . ولم تكن يثرب في ذلك الوقت مدينة بمعنى الكلمة ، بل كانت مجموعة غير منظمة من الاحياء والدور ، والمزارع والأكواخ المحصنة موزعة في أنحاء غنية بموارد المياه الجوفية والينابيع والمياه المنبثقة . وعلى الرغم مما بدا من أن الأوس كانت لهم اليد العليا فان العلاقات بين مختلف المجموعات كانت قد ساءت كثيرا . وكانت هذه المجموعات منشقة على نفسها وكانت بعض المشاحنات التافهة فيما بينها تتخذ أحيانا أبعادا خطيرة . وكان التوازن الذي أسفرت عنه غزوة بعث هشا ، وكان هناك خطر كبير في أن تنشب الحرب بين القبيلتين من جديد . وكان هذا الجو الذي تسوده الفوضى والريبة وانعدام حكم القانون هو الذي جعل الأوس والخزرج يحاولون جمع صفوفهم تحت زعامة عبد الله ابن أبي بن سلول العوفي من بنى الحبلى (٤٧) .

على أن يثرب أضحت بالنسبة لليهود مركزا لمنطقة يسميها « بالوطن الصغير » يحكمها قانون التلمود (٤٨) . وكانت مجتمعات يهودية متماسكة ومزدهرة تحتل فلك وادى القرى وتيماء وخيبر .

ويتضح من دراسة المصادر العربية ونتائج البحث الحديث أن يهود الجزيرة العربية لم يكونوا شعبا يعيش في عزلة . ويعتبر عرفان شاهد - وهو آخر الدارسين الذين توفروا على بحث هذه الفترة - أن العلاقات بين يهود يثرب ويوسف ذي نواس « كانت بالضرورة علاقات وثيقة

للبغاية « (٤٩) . وقد دسح يهود دا نواس الى محاربة نجران (٥٠) . وكانت هناك كتيبة من اليهود في جيش المنذر الثالث (٥٠٥ - ٥٥٣) حاكم الحيرة الذي تزوج ابنة ، المنذر الرابع ، (٥٨٠ - ٥٨٣) يهودية هي سلمى بنت الصائغ ام النعمان الثالث (٥١) (٥٩٢ - ٦٠٤) الشهير ، الذي كان آخر اللخمين .

كانت هذه هي الأوضاع السائدة حين أتى الاسلام لابناء بنى قيلة المتناحرين بأمل في نهج جديد للحياة . وكان ستة رجال من الخزرج أول من دخل الاسلام بصورة نهائية . وكانوا قد ذهبوا الى مكة ، على الأرجح ، في سنة ٦٢٠ . وبعد ذلك بسنة عاد خمسة منهم مع أربعة آخرين من الخزرج وثلاثة من الأوس وبايعوا الرسول ﷺ . وفي يونية ٦٢٢ ذهب ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان الى مكة للحج وبايعوا الرسول ﷺ في هذه المناسبة سرا تحت جناح الظلام وتمهدوا ليس فقط بطاعة الرسول ، بل بالحرب من أجله ووصف كعب بن مالك ، الذي كان حاضرا في هذه المناسبة ، مغزى هذه البيعة في كلمات بسيطة قال فيها :

« فتكلم رسول الله ﷺ ، فتلا القرآن ، ودعا الى الله ، ورغب في الاسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . فأخذ البراء بن معمر بيده ، ثم قال : نعم ، والذي بعثك بالحق ، لنمنعك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحلقة ، ورثناها كابرا عن كابر . فاعترض القول ، والبراء يكلم رسول الله ﷺ ، أبو الهيثم التيهان فقال : يا رسول الله ، ان بيننا وبين الرجال حبالا ، وانا قاطعوها . يعنى اليهود - فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتكم وأسالم من سالمتم » (٥٢) .

وليس من الواضح ماذا كانت بالضبط طبيعة اتفاق
 الرسول ﷺ مع مسلمي المدينة قبل رحيله عن مكة . على ان
 هناك شيتين يبدو انهما مؤكدان ، أولهما أنه كان هناك
 قطعاً تعهد بالقتال ، والثاني هو أن يهود المدينة لم يكونوا
 طرفاً في أي اتفاق قبل الهجرة . وليس من المعروف على
 وجه الدقة ماذا كانت شروط تلك البيعة . وقبل أن يرتحل
 الرسول ﷺ عن المدينة لملاقاة قريش في بدر طلب المشورة
 وقال : « أشيروا علي أيها الناس » . ويقول ابن اسحاق انه
 انما كان يريد الأنصار . وذلك لأنهم كانوا الأغلبية ، وأنهم
 حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله انا برآء من ذمامك
 حتى تصل الى ديارنا ، فاذا وصلت الينا فانت في ذمتنا ،
 نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا . فكان رسول الله ﷺ
 يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه
 بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير الى عدو من
 بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ :
 والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال أجل ، قال : فقد آمنا
 بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك
 على ذلك عهدنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض
 يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك » (٥٣) .

وقد وقعت غزوة بدر في حوالى الجزء الأخير من السنة
 الثانية من الهجرة لذلك فمن المهم أن نلاحظ أنه لا الرسول
 ولا سعد بن معاذ أشارا حتى بصورة جانبية الى الوثيقة التي
 أسميت بالصحيفة . ولو أن هذه الصحيفة كانت قد وقعت
 بعد وصول الرسول الى المدينة مباشرة أو حتى خلال السنتين
 الأوليين من اقامته فيها لما أشير للاتفاق السابق عليها الذى
 تم فى العقبة والذى كان من شأن الصحيفة أن تجبه وتلغيه .

وفيما يتعلق باليهود فان مصادرنا يشوبها التناقض
 والغموض . وليس من الواضح البتة ما اذا كان قد تم اتفاق
 رسمى بين النبی واليهود على الاطلاق . وابن اسحاق يقول

ان الرسول ﷺ حين ذكر اليهود بما اخذ عليهم له من ميثاق قال اليهود - أى بنو النضير على ما هو محتمل : « والله ما عهد الينا فى محمد عهد وما أخذ له علينا من ميثاق » (٥٤) - . وقد وردت هذه الواقعة قبل أن يشجر الخلاف بين بنى قينقاع والمسلمين . ونظرا لعدم وجود معلومات نهائية بشأن أى اتفاق تم مع اليهود فان العلاقة بينهم وبين المسلمين فى المدينة ظلت تخضع لقاعدة أشبه بقاعدة بقاء كل شىء على حاله أو بالأحرى بدا كما لو أن هناك هدنة غير حاسمة بين الطرفين وأن هذه الهدنة ظلت قائمة الى أن وقعت الصحيفة .

وللمؤرخين الذين كتبوا عن أحلاف القبائل فى الجاهلية أن يتساءلوا بحق عما اذا كان يهود المدينة لم يصبحوا ، دون ارادة منهم ، ضحية للغيرة بين القبائل أو لتعقيد الأحلاف بينها . ودراستنا لهذه الأحداث تفيد أن الأحلاف المذكورة لم يكن لها أى دور فى النزاع بين اليهود والمسلمين ، وأن ثقة اليهود فى المنافقين كان لها فيما أصابهم من نكبات دور أكبر بكثير من دور الأحلاف (٥٥) . وقد حرص الرسول منذ حالات الاعدام الأولى ، أى اعدام أبى عفك من بنى عمرو بن عوف وعصماء بنت مروان من بنى أمية بن زيد ، على تأكيد أن الاسلام قد نسخ ما كان قائما بين القبائل من أحلاف . وليس من الصواب أن نخلص من هذا الى أن الانتماء القبلى لم يكن له دور مهم فى تعامل العرب مع الرسول ﷺ ولكن هذا الانتماء لم يكن له دور - أو أى دور مهم - فى تضائل النفوذ اليهودى فى الخباز خلال السنوات العشر التالية للقائهم مع الاسلام .

مراجع الفصل الأول

- (١) « جرائز » الجزء الثالث ، ص ٥٤ .
- (٢) أشعياء ٢١ : ٢٤ ، أرمياء ٢٥ : ٢٣ ، وإيوب ٦ : ١٩ .
- (٣) « جرائز » ، الجزء الثالث ، ص ٥٦ .
- (٤) Irfan Shahid, *The Martyrs of Najran : New Documents*, (Bruxelles 1971), pp. 260-68.
- عرفان شاهد ، شهداء نجران : وثائق جديدة (بروكسل ، ١٩٧١) ، صص ٢٦٠-٢٨٠ للوقوف على خلفيته و « التعدد الحيز في الأسماء التي اختارها لنفسه » .
- (٥) « Amalek », *The Encyclopaedia of the Jewish Religion*, 1956, pp. 27-8.
- « العماليق » ، دائرة معارف الديانة اليهودية ، ١٩٦٥ ، صص ٨-٢٧ .
- (٦) أبو الفرج الاصبهاني ، كتاب الأغاني (القاهرة) وزارة الثقافة والارشاد ، بدون تاريخ ، الجزء الثالث ، ص ١١٦ . المرجع السابق ، (بيروت ١٩٦٠) الجزء الثاني والعشرون ، صص ٩٧-١٠٧ ، السهمودي ، الجزء الأول ، صص ١٥٤ - ١٦٥ .
- Werner Caskel, « *The Bedoninization of Arabia* », *Studies in Islamic Cultural History*, G. E. Von Grunebaum, ed. (Wisconsin, 1954) p. 43.
- ورنر كاسكيل ، « بدونة الجزيرة العربية » ، دراسات في تاريخ الثقافة الاسلامية ، أعده للطبع « ج ١٠ فون جرونباوم » (ويسكونسن ، ١٩٥٤) ، ص ٤٣ .
- (٨) « يارون » الجزء الثالث ، ص ٧٠ .
- (٩) هوروفتز ، « الثقافة الاسلامية » ، الجزء الثالث (١٩٢٩) ، ص ١٨٧ .

Ibn Wadih al-Yaqubi, *Tarikh*, ed. by M. Th. Houtsma (١٠),
(Leiden, 1883), Vol. I, pp. 49-52.

ابن واضح اليعقوبي ، تاريخ ، تحقيق « م . ت . هوتسما » (ليدن ،
١٨٨٣) الجزء الأول ، ص ٤٩ - ٥٢ .

(١١) « جرائز » ، الجزء الثالث ، ص ٥٧ :

(١٢) « ولقتسون » ، « تاريخ اليهود في بلاد العرب » ، ص ٦٠ :

M. A. Shaban, *Islamic History A.D. 600-750 (A. H. 132)* : (١٣)
A New Interpretation (Cambridge, 1971), p. 10.

م . أ . شعبان ، « التاريخ الإسلامي من سنة ٦٠٠ - ٧٥٠ ميلادية ،
(١٣٢) هجرية : تفسير جديد (كامبريدج ، ١٩٧١) ، ص ١٠ .

(١٤) المرجع نفسه :

(١٥) « جرائز » ، الجزء الثالث ، ص ٥٣ :

١٦) انظر :

D.S. Margoliouth, *The Relations between Arabs and Israelites Prior
to the Rise of Islam* (London, 1924) and Horowitz, *Islamic
Culture*, III pp. 188-90.

« د . س : مارجوليوث » العلاقات بين العرب واليهود قبل ظهور
الإسلام ، (لندن ، ١٩٢٤) و « هوروفيتز » الثقافة الإسلامية ، الجزء
الثالث ، ص ٩٠ - ١٨٨ .

Watt, *Muhammad at Medina*, p. 210 (١٧)

« واط » محمد في المدينة ، ص ٢١٠ :

(١٨) « يارون » ، الجزء الثالث ، ص ٢٦٦ :

(١٩) « جرائز » ، الجزء الثالث ، ص ٥٩ .

(٢٠) المرجع نفسه ص ٥٨ - ٥٩ ، وانظر « الفصل الأول » من هذه
الطبعة ، ص ٦٢ :

(٢١) انظر ص ٦٥ من هذه الطبعة :

(٢٢) « يارون » ، الجزء الثالث ، ص ٧٢ .

(٢٣) « يارون » ، الجزء الثالث ، ص ٧١ .

(٢٤) « فرانشيسكو جابريلي » ، « محمد » ، ص ٤٢ :

(٢٥) « مارجوليوث » ، العلاقات ، ص ٧١ :

(٢٦) السمهودي ، ص ١٦٥ :

(٢٧) اليعقوبي ، ص ٤٩ - ٥٢ :

(٢٨) « مارجوليوث » ، « العلاقات » ، ص ٧١ :

H. G. Reissner, « The Ummi Prophet and the Banu Israil » (٢٩)
The Muslim World, Vol. xxxix (1949), p. 278, cf. S.D. Goitein,
« Banu Isra'il ». *Encyclopaedia of Islam* (2), Vol. I. Para. 2 of
p. 1022.

ج ٥: « النبي الامي وبنو اسرائيل » ، العالم الاسلامي
المجلد التاسع والثلاثون (١٩٤٩) ، ص ٢٧٨ ، cf « س د جويتاين »
« بنو اسرائيل » : دائرة معارف اسلام (٢) ، الجزء الاول ، الفقرة ٢
من ص ١٠٢٢ .

Israel Friedlaender, « The Jews of Arabia and the
Gaonate », The Jewish Quarterly Review, Vol. I, 1910-11, p. 252

اسرائيل فريدلاندر ، « يهود الجزيرة العربية والجاعونية » ، المجلة
اليهودية ربع السنوية ، المجلد الاول ، ١٩١٠-١١ ، ص ٢٥٢ .

De Lacy O'Leary, Arabia Before Muhammad (London, (٣١)
1927), p. 173.

« دى لاسى اوليرى » ، الجزيرة العربية قبل محمد ، (لندن)
١٩٢٧ ، ص ١٧٣ : وانظر اشارة الرسول (ص) الى ان اصل زوجته
صفية يعود الى النبي هارون الترمذى (لاهور ١٩٦٣) ، الجزء
الثاني ، ص ٧٢٧ ، وانظر ما ذكره اليعقوبى ص ٦١ من هذه الطبعة .
(٣٢) « اوليرى » ص ١٧٣ .

Saléh Ahmad Al-Ali, « Studies in the Topography of
Medina », Islamic Culture, Vol. xxxv, No 2, April 1961,
pp. 71-72.

صالح احمد العلى ، « دراسات فى طبوغرافية المدينة » ، الثقافة
الاسلامية ، المجلد الخامس والثلاثون ، رقم ٢ ، ابريل ١٩٦١ ، ص ص
٧١ - ٧٢ .

(٣٤) السمهودى ، الجزء الاول ، ص ١١٦ .

Joseph Braslavi, « Khaibar », Encyclopaedia Judaica (٣٥) .
Vol. X, column:942.

« جوزيف براسلافى » ، « خير » ، دائرة معارف جودايكا ، الجزء
العاشر ، العمود ٩٤٢ .

(٣٦) اليعقوبى (بيروت ، ١٩٦٠) ، الجزء الثانى ، ص ٥٦ .

Charles Cutler Torrey, The Jewish Foundation of Islam (٣٧)
second and third lectures, pp. 28-104.

تشارلز كترل تورى ، الاساس اليهودى للإسلام ، المحاضرتان الثانية
والثالثة ص ص ٢٨-١٠٤ .

(٣٨) محمد بن عبد الله بن احمد الأزرقى ، اخبار مكة (مكة ،
١٩٦٥) : الجزء الثانى ، ص ١٣١ .

H. Lammens, L'Arable Occidentale avant l'Hégire (Bey- (٣٩)
routh, 1928), p. 51.

« ه لامانس » ، عرب الجزيرة العربية قبل الهجرة (بيروت ،
١٩٢٨) ، ص ٥١ .

W. Robertson Smith, *Kinship and Marriage in Early Arabia* (1903, Boston, n.d.), pp. 53-57, E. Tyan «Hilf», *Encyclopaedia of Islam* (2), Vol III, pp. 388-89.

« و. روبرتسون سميث » ، القرابة والزواج في الجزيرة العربية القديمة (نشر لأول مرة في ١٩٠٣ ، بوسطن ، بدون تاريخ) ص ٥٣ - ٥٧ « ١٩ تيان » حلف » ، دائرة معارف الإسلام (٢) ، الجزء الثالث ص ٨٩-٣٨٨ .

(٤١) كان السهمودي ، الجزء الرابع ، ص ١٧٨ و « ف. كرنكوف » F. Krenkow دائرة معارف الإسلام (١) ، الجزء الثاني ص ٩٣٨ ، يقرأ اسم الأمير اليهودي على أنه القيطون ، وكان يعتبره وهميا إذ أنه يوناني في الأصل . على أن السهمودي قرر بوضوح أن الاسم يبدأ بـ « ف » . كذلك يقول « واط » في كتابه « محمد في المدينة » ص ١٩٣ ، دون ذكر المصدر ، أن اسمه فطيون وأنه كان من بني ثعلبة . (٤٢) السهمودي ، الجزء الأول ص ١٧٧-٩٨ . انظر أيضا « واط » : « محمد في المدينة » ص ١٩٢ - ١٩٥ .

Ibn Khurradhabih, *Kitab al-Masalik Wa al-Mamalik*, ed. (٤٣) by de Goeje (Leiden, 1889), 128.

ابن خردادويه ، كتاب المسالك والممالك ، تحقيق « جويج » (ليدين ، ١٨٨٩ ، ص ١٢٨ .

Yaqut, *Mujam al-Buldan* ed. by F. Wustenfeld (6 vols., (٤٤) Leipzig 1866-1873), vol. IV p. 460.

ياقوت « معجم البلدان تحقيق « ف. وستنفيلد » لبيزج ، ١٨٦٦ - ١٨٢٣ (الجزء الرابع ، ص ٤٦٠ .

F. Altheim and R. Stiehl, *Finanzgeschichte der Spätantike* (٤٥) (Frankfurt am Main, 1957), p. 149, n. 63.

ف. ألتهيم و ر. ستيهل ، التاريخ المالي للعصر القديم المتأخر (فرانكفورت أم مين ١٩٥٧) ، ص ١٤٩ ، رقم ٦٣ .

(٤٦) ابن هشام ، ص ٣٧٢-٧٣ ، الأغاني ، الجزء السابع عشر ، ص ٦٨ - ٧٥ .

(٤٧) ابن هشام ، ص ٤١١ .

(٤٨) « ه. إيمانيس » ص ٥٣ .

(٤٩) عرفان شاهد « شهداء نجران » ص ٢٦٨ .

- (٥٠) حمزة الأصفهاني « تاريخ » ، ص ١١٣ ، ذكره عرفان شاهد
ص ٢٦٨ .
- (٥١) الجاحظ ، كتاب الحيوان الجزء الرابع ، ص ٣٧٧ ، ذكره
عرفان شاهد ، ص ٢٧٢ .
- (٥٢) ابن هشام ، ص ٩٧-٢٩٦ .
- (٥٣) المرجع نفسه ، ص ٤٣٤ - ٣٥ .
- (٥٤) المرجع نفسه ، ص ٣٧٩ .
- (٥٥) انظر أدناه ، الفصل الثالث ، وكان بنو النضير على استعداد
لقبول الشروط التي عرضها عليهم الرسول (ص) ولكن عبد الله بن أبي
وآخرين حثوهم على مقاومة الرسول (ص) .

الفصل الثاني

أهل الصحيفة

« ٠٠٠ كان من المحتمى أن يخضع مفهوم الأمة بإعديارها اتحادا سياسيا بين القبائل والعشائر ، بما فى ذلك القبائل والعشائر غير المسلمة ، اليهودية ، لفهم محمد المبدئى لجماعة قد يكون أساسها عنصريا ولكن سبب وجودها تشكله الحكمة الالهية التى ترمى لانقاذ البشر . وكان اليهود مثل هذه الأمة ، وكانوا فى المدينة أكثر من مجرد تصوير تاريخى وأدبى لمسألة دينية . كانوا حقيقة سياسية ، »

ف ٠ ١ بترز F. E. Peters

كانت يثرب لدى وصول الرسول إليها ، كما رأينا فى الفصل السابق ، بلدة تعمها الفوضى السياسية . ورغم أن موقعة بعث (نحو سنة ٦١٥ ميلادية) لم تعقبها حالة من السلم الرسمى فإن القبائل المتحاربة وحلفاءها كان التعب والانهاك قد بلغا منهم مبلغا جعلهم عاجزين عن مواصلة الصراع الفعلى . وكان اليهود يتمتعون فى هذه الحالة غير المستقرة التى خلفها الفراغ السياسى بنفوذ كبير . ولم يكن لعمر بن النعمان ولا للحضير بن سمالك اللذين قتلا فى موقعة بعث صفات الزعامة اللازمة لتوحيد الأمة فى الظروف التى كانت قائمة فى يثرب والتى أقل ما يقال فيها هو أنها كانت « لا تطاق » (١) . غير أن « الفرص كانت متاحة لرجل قوى للأخذ بزمام جزء كبير من المدينة أو حتى بزمام المدينة

كلها» (٢) . وكانت هناك امارات تشير الى أن عبد الله بن أبي وهو رجل واسع الرؤية ، ولولا أن الرسول وصل الى المدينة لكان ابن أبي هو الزعيم الذى كانت المدينة فى أشد الحاجة اليه .

وكان فى الموقف تحد للرسول ﷺ وكان على الرسول ان يختار بين عدة حلول ، فقد كان باستطاعته ان يعمل على تحفيق اندماج سياسى كامل على أساس الديانة ، الامر الذى كان يبدو وقتها أنه يتمشى مع روح العصر ، وكان هذا يعنى استبعاد اليهود وجعلهم فى وضع أدنى لا يسمح لهم بالمشاركة فى حياة المجتمع الاسلامى ، كما كان باستطاعته أن يوحد الأنصار المهاجرين الذين اتخذوه زعيما دينيا لهم فى مجموعة سياسية واحدة . ولكن الظاهر أن الرسول قرر فى هذه المرحلة أن ينتهج نهجا آخر فسعى لانشاء مجتمع يقوم على الأمن ويضمن بصورة معقولة عدم تقاتل أعضائه فيما بينهم بالسلاح ويجعلهم يعمدون الى تسوية منازعاتهم بالطرق السلمية . وكانت آخر مرحلة لمحاولات الرسول ﷺ لانشاء هذا المجتمع هى كتابة الوثيقة التى تعرف بالصيغة (٣) . ويتضح من بحث هذه الصيغة التى وقعت فى يثرب بين مسلمى قريش ومختلف قبائل الأنصار واليهود أنها قامت على أساس فهم واسع لقاعدة القانون استنادا الى مبدأين بسيطين هما : مبدأ كفالة الحقوق الفردية عن طريق سلطة قضائية محايدة (٤) ، ومبدأ المساواة أمام القانون (٥) .

ان عرب الجاهلية لم يكن لديهم تقريبا شئ يمكن وصفه بالقانون الوضعى . ومن المعروف - والمسألة لا تحتاج لذلك الى دليل - أن العقوبة التى يفرضها القانون بمعناه الحديث أى الحبس والغرامة للمجرم لم يكن لها وجود بينهم . على أنه ليس هناك مجتمع يخلو تماما من القانون . وكانت القبائل العربية تقيم الأمن عن طريق تضامن المجموعة القبلية فاذا قتل عضو من أعضاء المجموعة هب باقى الأعضاء

للأخذ بثأره • وإذا تعرض عضو من أعضاء المجموعة للخطر خف لنجدته أعضاء القبيلة الآخرون بغض النظر عن اعتبارات الخطأ والصواب في الخصومة • وكان هناك قصاص ولكن الدية عدلته وكانت تستخدم كبديل عنه • ولم يكن هذا النظام قابلاً للتنفيذ إلا بشرط تضامن مجموعة الأقرباء وقوتهم وسرعة وفاعلية الطريقة التي كانت تسوى بها المنازعات وتدفع بها الدية • وبهذا الشكل حد قانون القصاص من ظاهرة القتل العشوائي ، وأصبح من الملامح المهمة للمجتمع العربي الجاهلي • وقد حاولت الصحيفة أن تضع الأساس لقانون وضعى وكان الغرض منها محدوداً بالرغبة في حل المنازعات دون التجاء إلى العنف • واتخذ المجتمع الذى أنشئ بوساطتها اسم الأمة • والأمة اصطلاح قرأني صرف ، وقد ورد ذكره تسع مرات في السور المكية وسبعا وأربعين مرة في السور المدنية وهو يعنى مجموعة الافراد الذين يربطهم رباط يقطع النظر عن لونهم وأصلهم العرقى أو وضعهم الاجتماعى • وأساس الأمة فكرة الخضوع لاله واحد • ويعرف « مونتجرى واط » تلك الأمة بأنها « مجتمع يتكون من أولئك الذين كانوا يقبلون الرسول ورسالته » (٦) • وتوصل « روى بارت » الى نتيجة مشابهة وهو يقول ان الأمة « تشير دائماً الى الجماعات التى تربطها رابطة الأخلاق أو اللغة أو الدين والتى هى موضوع خطة الهية لانقاذ البشر » (٧) وبينما يختلف المستشرقون فيما يتعلق بتطور معنى هذا اللفظ فى القرآن • يقرر بعض علماء المسلمين أن كلمة الأمة انما تصف جماعة المسلمين (٨) ، لكن هذا القول ليس صحيحاً على إطلاقه • وهو انما يصف الأمر الواقع • ولم يكن استعمال لفظ الأمة خلال الجانب الأكبر من حياة الرسول ﷺ بعد البعثة قاصراً من الناحية النظرية على المسلمين وحدهم • والصعوبة الأساسية التى تعرض بصدد تاريخ الأفكار هى أن الألفاظ أطول عمراً من

تعريفاتها • وبينما تتعير المؤسسات باستمرار فان الكلمات التى تصفها تظل ثابتة فى صورتها الأولى • على أن بحثنا هذا لا يحتاج الى تعريف جامع مانع لكلمة « الأمة » ، ولهذا فاننا سنستخدمها فى اطار مناقشتنا هنا بالمعنى الذى استخدمت به الصحيفة أى « أهل الصحيفة » •

والصحيفة التى وقعت من المسلمين واليهود والتى وصفت خطأ بأنها « دستور المدينة » وثيقة على جانب كبير من الأهمية للوقوف على وضع غير المسلمين فى مجتمع يسيطر المسلمون على مقاليدته • والعلماء من جميع المدارس الفكرية مثل « واط » و « سرجنت » وحميد الله (٩) على أن الوثيقة صحيحة بلا جدال (١٠) « وما كان يمكن لأى مزيف لاحق يكتب تحت خلافة الأمويين أو العباسيين ، أن يدرج غير المسلمين فى الأمة أو يستبقى المواد التى لا تتفق ومصلحة قريش ، أو يعطى لمحمد مكانا قليل الأهمية كالمكان الذى أعطته له هذه الوثيقة » (١١) •

ومعظم العلماء المحدثين ينازعون فى تاريخ هذه الوثيقة وفى وحدتها • وليس هناك بيان واضح يستدل منه على عدد الاتفاقات التى تتكون منها • وما من سبيل لتحديد تواريخ توقيع هذه الوثائق الا بعد ايجاد طريقة مقبولة للفصل بين الاتفاقات الفردية التى تنطوى عليها • على أن هناك مع ذلك اشارات واضحة عن تواريخها الممكنة وهى اشارات كبيرة الدلالة لتحديد طبيعة الأمة • ان ابن اسحاق يقول ان الصحيفة وقعت فى السنة الأولى من الهجرة • ولكن المقارنة النصية لمادة السيرة التاريخية تبين أن كتاب السيرة يختلفون فيما بينهم حتى فيما يتعلق بتاريخ الأحداث الكبرى (١٢) • بيد أن الصحيفة ذاتها تتضمن بيانات عن تاريخها التقريبى غفلت عنها فطنة المؤرخين بالرغم من وضوحها •

وأول ما يلاحظ هنا هو أنه لم يرد فى الصحيفة ذكر لبنى قينقاع أو لبنى النضير أو لبنى قريظة • واذا كان

معظم المؤرخين المسلمين لم يتنبهوا الى عدم ذكر هذه القبائل اليهودية المهمة الثلاث فى الصحيفة فان بعض المستشرقين حاولوا أن يفسروا هذا الاغفال بقولهم ان الرسول « كان يجمع اليهود وفقا للقبائل العربية التى كانوا يعيشون بين ظهرانيها » (١٣) . وهذا التفسير واضح التهافت . ان يهود بنى عوف وبنى النجار وبنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جشم وبنى ثعلبة ، بل وبن من بطون بنى ثعلبة هم جفنة ، كانوا جميعا حلفاء للخزرج وقد ذكروا فى الصحيفة بهذا الوصف . ولو أن هذه الصيغة كانت كافية لشمول بنى قينقاع الذين كانوا حلفاء للخزرج لذكر اسم مواليتهم بنى الحبلى أو بنى سليم . وكما يلاحظ « ويلهاوزن » فانه ما لم يكن يهود بنى الأوس وبنى ثعلبة هم بنى النضير وبنى قريظة فان هاتين القبيلتين لم تدخلا فى أى اتفاق مع محمد فى البداية أى فى السنة الثانية من الهجرة (١٤) . غير أن بنى النضير وبنى قريظة لم يكونوا موالى للأوس . وكانت علاقتهم بهم هى علاقة الحليف لا علاقة المولى (١٥) . والتفسير البسيط لهذا الموضوع هو أن الوثيقة وقعت بعد اجلاء بنى قريظة . « ومونتجرى واط » لا يوافق على هذا التفسير لأن الصحيفة تولى أهمية كبرى « للمسائل اليهودية فى وقت كان فيه اليهود فى المدينة قليلين » (١٦) غير أن هذا الافتراض لا تؤيده الوقائع ، فقد بقيت القبائل اليهودية التالية فى المدينة بعد اجلاء قبيلتى بنى النضير وبنى قريظة اليهوديتين منها :

- ١ - يهود بنى عوف .
- ٢ - يهود بنى النجار .
- ٣ - يهود بنى ساعدة .
- ٤ - يهود بنى جشم .

- ٥ - يهود بنى الأوس •
- ٦ - يهود بنى ثعلبة •
- ٧ - يهود بنو الشطبية •
- ٨ - يهود بنى زريق •
- ٩ - يهود بنى حارثة •
- ١٠ - بنو قينقاع •

لقد وردت أسماء القبائل اليهودية السبع الأولى فى الصحيفة • أما اسما بنى زريق وبنى حارثة فقد ذكرهما ابن اسحاق فى قائمة أعداء الرسول من اليهود (١٨) • ومصادرنا لا تشير الى أنه كانت هناك أية هجرة عامة لليهود فى حياة الرسول ﷺ • ويستنتج « واط » بحق فى هذا الصدد أن « الوثيقة فى شكلها النهائى أريد لها أن تكون ميثاقا لليهود والباقيين فى المدينة » (١٩) • وبالرغم من أن اليهود الذين بقوا فى المدينة فقدوا « قيمتهم الاخبارية » بالنسبة للمؤرخ المسلم فهناك اشارات تنبئ بوجودهم فى المدينة بعد اجلاء بنى النضير وبنى قريظة • فابن سعد يقول ان الرسول لما أمر أصحابه بالتهيؤ لغزوة خيبر « شق ذلك على من بقى بالمدينة من اليهود » (٢٠) ، بل ان يهود المدينة كان لهم نشاط سياسى واستمروا فى معارضة الرسول • وحين أمر الرسول ﷺ بالاعداد لغزوة ضد البيزنطيين (٦٣٠/٩) فى تبوك اجتمع ناس من المنافقين فى بيت يهودى اسمه سويلم ووضعوا خططاً لتثييط الناس • ولم يعاقب الرسول ﷺ سويلم شخصيا ولكنه أمر طلحة بن عبيد الله بحرق بيته (٢١) •

ان وجود اليهود فى المدينة بعد اجلاء قبائلهم الثلاث شىء يبدو أن القرآن يؤيده كذلك • فهناك اتفاق عام على أن سورة المائدة هى آخر ما نزل على الرسول ﷺ من القرآن •

وقد جاء عن أسماء بنت يزيد ان هذه السورة كلها نزلت عليه جملة (٢٢) . وهناك أقوال أخرى بنفس المعنى : « ونولدة » وان كان يسلم بأنها آخر ما نزل من القرآن ويعطيها رقم ١١٤ ، يرى أن بعض آياتها نزل بين عامي ٦٢٣/٢ و ٦٢٨/٧ . على أن « نولدة » وضع الآيات ٤٥ - ٥٥ بعد ما أسماه « بمذبحة بنى قريظة » وقبل الغزوة التي شنت على يهود خيبر في السنة السابعة من الهجرة و « هويرى » Wherry يوافق على هذا الرأي (٢٣) . والآيتان ٤٢ و ٤٣ من سورة المائدة من قوله تعالى :

(. . فان جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين . وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) .

وهذه الاشارة الى طلب من اليهود الى الرسول بالحكم في نزاعاتهم لا يكون لها أى وجه لو أنه لم يكن فى المدينة يهود . ولما كانت الآيات قد نزلت قبل غزوة خيبر فلم يكن من المتصور أن يعرض يهود خيبر وفدك والمناطق المجاورة نزاعاتهم على الرسول .

اننا لا نملك بيانات سكانية عن عدد سكان يثرب فى زمن الهجرة . وليس من المتيسر بالتالى أن نعطي أى أرقام دقيقة عن سكان المدينة من اليهود فى حياة الرسول . ومع ذلك فقد زودنا ابن اسحاق وغيره من مؤرخى السيرة ببعض بيانات قطعية تعطى فكرة تقريبية عن عدد اليهود . لقد قدم بنو قينقاع ٧٠٠ رجل لحماية عبد الله بن أبى (٢٤) ، وقيل ان ٦٠٠ الى ٩٠٠ مقاتل من بنى قريظة قد أعدموا بعد غزوة الأحزاب (٢٥) وكان بنو النضير يحتلون مركزا مرموقا فى المدينة وكان بينهم وبين قريظة تنافس . واذا كانت المصادر

لم تذكر عددهم فقد ذكرت أنهم حين رحلوا عن المدينة حملوا متاعهم على ٩٠٠ ناقة . وللمرء ان يستنتج بصورة معقولة من هذه البيانات أنهم لم يكونوا أقل عددا من بنى قينقاع ومن بنى قريظة . وهذا يعطينا تقديرا محافظا لعدد الذكور من القبائل الثلاث التى اصطدمت مع رسول الله يبلغ ثلاثة آلاف رجل . واذا كان بنو قينقاع قد قدموا ٧٠٠ رجل لحماية عبد الله بن أبى فالراجح أن هؤلاء لم يكونوا يمثلون كل ما عندهم من الرجال . واذا افترضنا أن عدد باقى القبائل اليهودية التسع كان يبلغ حتى نصف عدد القبائل الثلاث المذكورة ، مع أنه ليست هناك أية اشارة الى هذا فى المصادر التى رجعنا اليها ، لكان مجموع السكان المذكور من اليهود فى المدينة ستة آلاف . وكانت القبائل التى تنحدر من أصل واحد فى زمن الرسول كما يقول « سميث » Smith هى القبائل الوحيدة التى كان يتصور وجودها (٢٦) ، ولذلك فإن اليهود ، بأسرهم المبنية على زواج الأقارب التى تتكون كل منها من ستة الى سبعة أعضاء معالين ، كانوا يشكلون عددا من السكان يتراوح بين ٣٦٠٠٠ و ٤٢٠٠٠ نسمة .

وقد رحل عن المدينة بعد اجلاء بنى النضير وما قيل من اعدام بنى قريظة عدد يتراوح بين ١٢٠٠٠ و ١٤٠٠٠ يهودى . وبهذا يكون عدد اليهود الذين بقوا فى المدينة عند توقيع الصحيفة بين ٢٤٠٠٠ و ٢٨٠٠٠ (٢٧) ، وهو عدد غير قليل كان يستوجب اهتمام النبى ﷺ . والمؤشر الثانى الى التاريخ الاحتمالى للصحيفة هو اعلان أن يشرب حرم آمن . ويقول جيل Gil : « ان النص الخاص بهذا الاعلان هو نقطة من نقاط التعريف التى احتفظت بها الرواية الشفوية بشأن الوثيقة التى حفظت فى غمد ذى الفقار » (٢٨) . واعتبار اقليم من الأقاليم حرما يفترض اما وجود تقليد قوى وعرف مرعى باطراد ، كما

كان الحال بالنسبة لمكة ، «و رجوعه هو عسكري قادر على فرض وحماية قداسة الحرم من التهديد الخارجى والاضطرابات الداخلية » ولم يكن النبى والصحابة فى السنوات الأولى للهجرة ، لا سيما حتى غزوة الأحزاب (سنة ٥ هـ) ، يعيشون فى أمن كما لم يكونوا بالتأكيد واثقين من قدرتهم على حماية المدينة بنجاح . كذلك فان الأمن فى داخل المدينة لم يكن ، كما سنرى ، مستتباً . وقد حاول بنو قينقاع مرة أو مرتين على الأقل أن يثيروا الشغب . وكان بنو النضير على صلة بأهل مكة ، وكان موقف بنى قريظة خلال غزوة الأحزاب مصدراً لتخوف شديد للمدافعين عن المدينة .

ونشأ نزاع صريح بين المهاجرين والأنصار بعد أن تمكن الرسول بحكمة فائقة من تفادى غزوة بنى المصطلق ، وكانت هذه هى المناسبة التى قال فيها عبدالله بن أبى : « أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » (٢٩) . وكان عدد من دخل بهم الرسول غزوة بدر (٦٢٤ / ٢) ، ٣١٣ مقاتلاً . ولم تكن هذه قوة يمكن أن تفرض على قرابة ٣٦٠٠٠ من اليهود وعدد أكبر من المنافقين احترام الالتزامات التى يفرضها اعلان الحرم .

ولم يشأ الرسول ﷺ أن يتخذ قرارات متسريعة فى هذا الشأن خصوصاً اذا كانت قرارات لا يقدر على تنفيذها . وكان أنسب الأمور هو الانتظار الى أن تستقر الأحوال . وبالرغم من أن غزوة الأحزاب كانت حرباً دفاعية وأن الأرض التى انتصر فيها المسلمون كانت أرضهم الا أنهم لم يكونوا آمنين بدرجة تجيز لهم اطلاق صفة الحرم على يثرب . لذلك فمن المقبول أن نستنتج أن اعلان يثرب كحرم جاء بعد حادثة بنى قريظة التى لم تكن فى واقع الأمر سوى استمرار لغزوة الأحزاب .

وقد تأتي للرسول ﷺ في الوقت ذاته تقريرا أن يقلم أظافر المنافعين وكان من القوة بحيث يوجه اليهم تقريرا علنيا بعد حادثة بنى المصطلق . وقد نزلت سورة المنافقون في سنة ٦٢٧/٦ (٣٠) . ويرى السمهودى ، الذى بحث موضوع تاريخ وحدود اقليم الحرم وما هو محظور اتيانه فيه بالتفصيل ، أن انشاء هذا الحرم ، وفقا للحديث ، جاء بعد عودة الرسول ﷺ من خيبر في سنة ٦٢٨/٧ (٣١) . ويشير «سرجنت» الى ما قاله السمهودى ويعترف بأنه «يرجح أن اعلان الحرم تم في وقت ما بعد فشل أعداء الرسول في الاستيلاء على المدينة في غزوة الخندق لا قبل ذلك ، وأنه لم يكن من الممكن أن تكون هناك مناسبة أفضل لاعلان المدينة حرما مقدسا من المناسبة التى أثبتت فيها هذه المدينة قدسيتها بصد الغزاة» (٣٢) . ومع ذلك يقول «سرجنت» انه «لأسباب قوية عديدة لا أستطيع أن أخوض فيها هنا» (٣٣) لا يملك الا أن يقر بوجهة نظر باقى المؤرخين . وفى الامكان تصور الأسباب التى بنى عليها «سرجنت» رأيه فى هذا الصدد ويبدو أن أحد هذه الأسباب هو صعوبة من نوع تلك التى واجهها «مونتجمرى واط» . وهو يستطرد قائلا : «ومن الغريب أن هذه الوثيقة - أى الصحيفة - تبدأ بكلمات يقال فيها ان اليهود يتفقون مع المسلمين» (٣٤) . ويبدو أن المؤرخين ، سواء من المسلمين أو من غير المسلمين ، قد افترضوا دون أى تمحيص أن المدينة قد خلت من سكانها اليهود بعد رحيل بنى النضير وأيضا ، فيما هو محتمل ، بعد رحيل بنى قريظة .

والواقع أن تدقيق النظر فى الصحيفة يبين أن العبارات المتعلقة باليهود أدخلت فيها بعد اجلاء بنى النضير وبعض بنى قريظة من المدينة جزاء على «اثمهم» . ولم يكن الرسول لى وصوله الى يثرب يتوقع اثما من اليهود رغم انه لم يكن ينتظر كذلك من جانبهم تأييدا وعونا خالصين . واليهود كذلك لم يصدر منهم فى السنة الأولى من الهجرة ، وهى السنة

التي تعتبر عادة سنة توفيع الصحيحه ، شيء يثير لدى المسلمين خوفا من نفاقهم أو خديعتهم . ولم تكن صورة اليهود في الجزيرة العربية زمر الجاهلية صورة سيئة وكانوا مشهورين بحذقهم المهني واجادتهم لفن الكتابة وصبرهم على المكاره (٣٥) وكانوا معروفين قبل كل شيء بنبل أخلاقهم . ولا يحثون بوعده ، وقد جرى وفاء السماأل لصديقه امرئ القيس مجرى الأمثال في جميع أنحاء الجزيرة (٣٦) . صحيح أنه كان هناك يهود مثل قيس بن معديكرب أتوا أعمالا تدخل في باب الاثم ، لكن هذا لم يكن جزءا من سمعة اليهود . وكان الشعراء يتغنون بوفاء السماأل وكرمه (٣٧) . وإذا كان الأمر كذلك فمن الغريب أن تستخدم كلمة «الاثم» (٣٨) في ثمان من مواد الصحيفة . وفيما عدا المادة ٤٠ فإن جميع المواد السبع (٣٩) التي استخدمت فيها الكلمة تتعلق باليهود . والمحصلة المنطقية لهذا هي أن المسلمين أصبحوا في الغالب أكثر حكمة بعد الاحداث التي وقعت وأنهم ، بعد أن عركوا الاثم من جانب بنى النضير وبنى قريظة ، أرادوا أن يسجلوا في الصحيفة أن أية خيانة من جانب اليهود يترتب عليها تلقائيا الغاء جميع المواثيق والاتفاقات . ويبدو أن الرسول ﷺ أراد أيضا أن يوفر على نفسه غضاضة الرفض اذا تقدم اليه الأوس أو الخزرج بشفاعة لليهود المخالفين .

ونحن وان كنا نتفق مع كل من « سرجنت » (٤٠) و « واط » (٤١) اللذين يريان أن أمورا كثيرة في عبارات الصحيفة التي بين أيدينا ستظل لا محالة افتراضية وغامضة نرى أنه قد يكون أقرب الى الواقع أن يعاد بناء الصحيفة على النحو الآتى :

١ - المواد الثلاث والعشرون الأولى هي جزء من البيعة الأولى التي بايع بها الأنصار الرسول في العقبة أو بعد الهجرة بقليل (٤٢) .

٢- كانت المواد الأخرى تضاف بين الحين والحين عند الاقتضاء (٤٣) .

٣- المواد المتعلقة باليهود وعلان المدينة حرما آمنا أبرمت ، بناء على ملاحظتنا السابقة ، بعد سنة ٦٢٨/٧ .

نحن إذن نعتقد ، نزولا على حكم المنطق أن الأمة لم تتخذ شكلها الا في حوالى الفترة الأخيرة من حياة الرسول ﷺ لا بعد وصوله الى يثرب مباشرة . وقد انتقل رسول الله ﷺ الى الرفيق الأعلى فى سنة ٦٣٢/١١ .

والصحيفة فى الواقع ليست دستور الدولة وانما هى وثيقة تضع المبادئ الرائدة لبناء أمة متعددة الثقافات ومتعددة الديانات يكون المسلمون فيها دائما الفئة الغالبة (٤٤) .

والصحيفة ، بعد أن وضعت الأساس لغلبة المسلمين ، قررت للفئة الغالبة ما يأتى من امتيازات :

١- وظائف محكمة الاستئناف العليا يتولاها الرسول ﷺ (٤٥) .

٢- مسألة الحرب والسلم امتياز ينفرد به الرسول ﷺ (٤٦) .
أما غير المسلمين الذين تضمهم الأمة فيتمتعون بالحقوق الآتية :

١- ذمة الله واحدة بالنسبة للمجموعات كافة (٤٧) .

٢- أعضاء الأمة من غير المسلمين يتمتعون بحقوق سياسية وثقافية على قدم المساواة مع المسلمين . وحرية الديانة مكفولة للجميع . وكل المجموعات تتمتع بالاستقلال الذاتى (٤٨) .

٣- غير المسلمين والمسلمون ينتضون السلاح ضد عدو الأمة ويشتركون فى تحمل نفقات الحرب . والمسلمون وغير المسلمين أصدقاء صادقون بالبر دون الاثم (٤٩) .

٤ - لا التزام على غير المسلمين بالاشتراك فى حروب المسلمين الدينية (٥٠) .

وتتضمن الصحيفة بيانا واضحا بالخطوط التى كان الرسول يقيم عليها بناء الأمة . فالأمة مجتمع متعدد الديانات أساسها ليس اقليميا أو قبليا . والمادة ٢٠ من الصحيفة تفيد استبعاد المشركين من الأمة . ولما كانت الصحيفة قد أدخلت يهود يثرب فى الأمة فالظاهر أن الشرط الأساسى الوحيد لعضوية الأمة كان الايمان بوحداية الله .

ولم يكن فى المدينة نصارى ولذلك فانهم لم ينضموا الى الأمة . ولكن حدث حين زار وفد من نصارى نجران برئاسة عبد المسيح العاقب والأيهم والأسقف أبو حارثة بن علقمة المدينة أن دعا الرسول ﷺ النصارى للانضمام اليه على أساس وحدانية الله (٥١) وتلاية :

(قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) (٥٢) .

ومن الأمور ذات الدلالة أن هذه الدعوة وجهت اليهم بعد أن رفضوا عرض الرسول ﷺ للدخول فى الاسلام (٥٣) . والدعوة القرآنية فى عبارة « تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » لا تمثل ، لهذا السبب ، أساسا لحلول وسط فى المسائل المتعلقة بالعقيدة . ولم يحتفظ كاتبو سيرة الرسول ولا جامعو الحديث والفقهاء الذين كانوا يعيشون فى ظل الامبراطورية الاسلامية القوية بجواب نصارى نجران على هذا العرض ، ولكن هناك ما يفيد أنهم قبلوا الانضمام الى الأمة بالشروط الواردة فى الصحيفة بالقدر الذى كان يمكن به تطبيق هذه الشروط على منطقتهم . لقد قبلوا دور المسلمين الغالب باعتبار أنهم مديرو شئون العدالة ، وقالوا للرسول ﷺ : « ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم

بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من اموالنا » (٥٤) • وقد اجابهم الرسول الى طلبهم فعين أبا عبيدة بن الجراح قاضيا لنصارى نجران (٥٥) •

على أن هذا المبدأ طبق بمرونة وكانت العبرة فيه هى الشهادة بالايمان بآله واحد ، لا الممارسة • وبالرغم من أن القرآن الكريم اتهم اليهود باشتراك عزيز مع الله ، فان الاسلام يقبلهم كموحدين ، ويبدو أن هذا كان هو الأساس الذى بنيت عليه الأمة • ان مفهوم وحدانية الله هو الذى يقود الى فكرة وحدانية الكون والى المفهوم العالمى للأمة الذى يشدد على المساواة الأساسية فى الحقوق بين جميع الناس • ولم يكن مطلوباً أن يغير اليهود أو النصارى دينهم، وكان ايمانهم بوحدانية الله أساساً كافياً للتعاون مع المسلمين لا للاندماج فيهم • وكان هذا هو مفهوم المجتمع متعدد الديانات • كانت الأمة اذن مجتمعا متعددًا يسمح بدخوله على أساس وشائج اختيارية ليس للاختلافات العنصرية أو العرقية فيها مكان ، ولكن الايمان بوحدانية الله كان أساسياً لدخولها •

وعلى الرغم من أن الأمة كانت مجتمعا سابقا على السياسة فانها لم تكن مجتمعا غير سياسى فالسياسة بطبيعتها أمر لا غنى عنه فى أية عملية تتعلق ببناء أى مجتمع من المجتمعات ، وهى بطبيعتها جزء من أى عملية تتعلق ببناء المجتمع • ويقول «برنارد لويس» : «من الطريف أن نلاحظ أن هذا الدستور الأول للنبي العربى يكاد يقتصر على تنظيم العلاقات المدنية والسياسية للمواطنين فيما بينهم ومع الخارج » (٥٦) •

وفى هذه الأمة السابقة على السياسة كان الرسول (ﷺ) يمارس سلطته بمقتضى تفويض الهى • واذا كانت قریش قد رفضت « صيغة محمد رسول الله » لدى التوقيع على صلح

الحديبية فالظاهر أن يهود المدينة ارتضوا صيغة معدلة لأغراض الصحيفة • ويقول أبو عبيد أن الكلمات التي استخدمت كانت « محمد النبي » (٥٧) • وهى لا تذكر نبى من • ويبدو أن الصياغة كانت غامضة قصدا لى يقبلها اليهود • وبالرغم من أن ابن اسحاق ، وهو مصدر سابق ، يعطى الصيغة كاملة ، أى « محمد رسول الله » ، فاننا نميل الى قبول رواية أبى عبيد • ويبدو أنه لم يكن هناك باعث لذلك سوى التحرز من استخدام عبارة كانت بالقطع عبارة غير مألوفة وغير مناسبة • وبعد أن قبل يهود المدينة ألا يكون لهم مركز غالب فى الأمة فالمحتمل أنه لم يكن أمامهم الا أن يوافقوا على التسمية على اعتبار أنها تمثل ضمنا وجهة نظر المجموعة الغالبة • ولولا أن هذا الفهم كان فهمهم لما وصفوا باليهود على الاطلاق •

وليس من المجدى أن نستقصى الأساس النظرى الذى بنى عليه توزيع السلطة فى الأمة فقد كان الرسول ﷺ يمثل جميع السلطات التى كانت مطلوبة فى هذه الفترة التى كانت فترة التكوين فى حياة المجتمع •

لقد جاء فتح مكة بعد توقيع الصحيفة بقليل اذا وافقنا على التاريخ الذى حاولنا تحديده فيما سبق • وقد غير هذا الفتح طبيعة الموقف تغييرا كبيرا فقد فقد مشركو مكة سيطرتهم على الكعبة وحظر عليهم « أن يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » (٥٨) •

وفى الآية التى تلتها أمر المسلمون بمقاتلة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (٥٩) •

ولم يكن مطلوبا من اليهود بمقتضى أحكام الصحيفة أن يدفعوا أية جزية ولم يكن هناك نص صريح يقرر خضوعهم

للمسلمين • وقد اتخذت هيمنة المسلمين التي قررتها هذه الآيات شكلا رسميا ولكنها لم تضيف أى قيد آخر • وليس فى هذه الآيات ولا فى أى من الآيات التى تلتها ما يغير من طبيعة الأمة متعددة الديانات (٦٠) • وقد يكون من الصواب أن نقول ان يهود المدينة ، بعد أن فشلوا فى الاحتفاظ بوضعهم الغالب فى المدينة ، لم يكونوا فى مركز يسمح لهم بالقيام بأى دور مهم • ويبدو أن كتاب المغازى فقدوا الاهتمام بيهود يشرب بعد هزيمة بنى قريظة وغيرهم من اليهود وبعد توقيع معاهدة السلام مع يهود خيبر • والتاريخ الإسلامى لهذه الفترة كما وصل إلينا انما هو فى الواقع تاريخ للمغازى • ولأن سكان المدينة من اليهود خلال الفترة المتأخرة من حياة الرسول ﷺ لم يشتركوا فى أى حرب ولم يشيروا أى شغب كف كتاب المغازى عن الاهتمام بأمرهم • والرسول ﷺ لم يعيش طويلا بعد فتح مكة ، ومن الصعب أن نتصور ماذا كان شكل الأمة لو أن العمر امتد به فترة أطول •

وبوفاة الرسول اختفت الصحيفة والأمة التى تمخضت عنها واليهود الذين كانوا طرفا فيها عن الأضواء ، واكتسب لفظ الأمة ، كما يحدث عادة فى جميع المؤسسات الحية ، تعريفا جديدا فى زمن خلفاء الرسول • « والشريعة التى حددت وضع الموحدين من غير المسلمين ، كما يقول « جوزيف شاخت » ، « لم تستمد مباشرة من القرآن بل نشأت عن ممارسات كثيرا ما كانت تختلف عن مقاصد القرآن بل عن صريح نصه » (٦١) • كذلك فانها ، كما يقول المؤلف ذاته ، لم تتطور « على صلة وثيقة بما كان معمولا به بل تطورت كتعبير عن مثل أعلى دينى » (٦٢) • وفقا لفهم منظرى وصانعى أيديولوجية المسلمين من الطبقة المسلمة الحاكمة ، الأمر الذى كان يتعارض فى الواقع مع ما جرى عليه العمل كما كان يتناقض تناقضا مباشرا مع النموذج الأصلى الذى وضعه الرسول ﷺ •

مراجع الفصل الثانى

- (١) « واط » : « محمد فى المدينة » ، ص ١٧٣ .
- (٢) المرجع نفسه .
- (٣) انظر أدناه لمزيد من مناقشة الوثيقة .
- (٤) المادة ٢٣ من « الصحيفة » انظر أدناه .
- (٥) المواد ٢٦ - ٣٥ من « الصحيفة » انظر أدناه .
- (٦) W. Montgomery Watt, «Ideal Factors in The Origin of Islam. The Islamic Quarterly, II, No 3 (October 1955), pp. 161-174. See also his book, Islamic Political Thought (Edinburgh, 1968), pp. 9-14.
- « و . مونتجمرى واط » ، العوامل المثالية فى أصل الاسلام . المجلة الاسلامية ربع السنوية ، المجلد الثانى ، رقم ٣ (أكتوبر ١٩٥٥) ، صص ١٦١-١٧٤ وانظر كتابه « Islamic Political Thought » الفكر السياسى الاسلامى (أدنبرة ، ١٩٦٨) ، صص ٩-١٤ .
- (٧) مادة « الأمة » « Ummah » فى دائرة معارف الاسلام ، الطبعة الاولى .
- (٨) Abul A. la Maududi, Islamic Way of Life (Delhi, 1967). p. 17.
- أبو الأعلى مودودى ، « طريقة الحياة الاسلامية » ، (دلهى ، ١٩٦٧) ، ص ١٧ .
- (٩) Muhammad Hamidullah, The First Written Constitution in the World, (Lahore, 1968), pp. 38-40.
- محمد حميد الله ، « أول دستور مكتوب فى العالم » ، (لاهور ، ١٩٦٨) ، صص ٣٨-٤٠ .
- (١٠) R. B. Serjeant, «The Constitution of Medina», The Islamic Quarterly VIII January-June 1964), p. 3.
- « ر . ب . سرجنت » ، « دستور المدينة » المجلة الاسلامية ربع السنوية ، المجلد الثامن (يناير - يونيو ١٩٦٤) ، ص ٣ .

- (١١) « واط » ، « محمد فى المدينة » ، ص ٢٢٥ .
- (١٢) Caetani, Annali dell 'Islam, Vol. I, p. 466, J.M.B. Jones
The Chronology of the Maghazi — a Textual Survey, The
Bulletin, of the School of Oriental and African Studies, Vol. XIX
(1957), pp. 245-280.
- « كائتاني » « حوليات الاسلام » ، الجزء الأول ، ص ٤٦٦ ،
ج.م.ب. جونز ، تسلسل تواريخ المغازى - دراسة للنصوص ، مجلة
مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ، المجلد التاسع (١٩٥٧) ، ص ص
٢٤٥ - ٢٨٠ .
- (١٣) « واط » ، « محمد فى المدينة » ص ٢٦٦ .
- (١٤) J. Wellhausen, Skizzen u. Vorarbeiten (Berlin, 1889) 4.
Heft, p. 75.
- « ج.م.ب. ولهاوزن » « خطوط عريضة ومشروعات » (برلين ، ١٨٨٩)
الكراسة ٤ ص ٧٥ .
- (١٥) انظر الفصل الثالث ، ص ١١١ .
- (١٦) « واط » ، « محمد فى المدينة » ، ص ٢٢٧ .
- (١٧) سنرى فى الفصل التالى أن الشواهد تشير فيما يبدو الى أن
بنى قينقاع لم يجلوا عن المدينة فى حياة الرسول (ص) .
- (١٨) ابن هشام ، ص ٣٥١ .
- (١٩) « واط » ، « محمد فى المدينة » ، ص ٢٢٧ .
- (٢٠) ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ١٠٦ .
- (٢١) ابن هشام ، ص ٨٥٨ .
- (٢٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (القاهرة بدون تاريخ) ،
الجزء الثانى ، ص ٢ .
- (٢٣) W. Montgomery Watt, **Bell's Introduction to the Quran**
(Edinburgh, 1970), p. 207, Rev. E. M. Wherry, A Comprehensive
Commentary on the Quran. (London, 1896), vol. II, p. 119.
- « و.مونتجمرى واط » ، « مقدمة بيل للقرآن » (ادنبرة ، ١٩٧٠)
ص ٢٠٧ ، القس « ا.م. هويرى » « تعليق شامل على القرآن (لندن ،
١٨٩٦) ، الجزء الثانى ، ص ١١٩ .
- (٢٤) ابن هشام ، ص ٥٤٦ .
- (٢٥) المرجع نفسه ، ص ٦٩٠ .
- (٢٦) « و. روبرتسون سميث » ، القرابة والزواج فى الجزيرة
العربية القديمة ، ص ٤٠ .

(٢٧) دائرة معارف جودا يكا . الجزء الحادى عشر ، العامود ١٢١٢ تقدر عدد اليهود فى المدينة برقم يتراوح بين ٨٠٠٠ و ١٠٠٠٠ وهو تقدير منخفض لا تؤيده مصادرها .

Moshe Gil, « **The constitution of Medina : a reconsideration** », Israel Oriental Studies (Tel Aviv, 1974), Vol. IV, p. 57.

« موسى جيل » « دستور المدينة » : اعادة نظر « الدراسات الشرقية الاسرائيلية » .

(تل أبيب ، ١٩٧٤) ، المجلد الرابع ، ص ٥٧ .

(٢٩) ابن هشام ، ص ٧٢٦ ، القرآن ، سورة المنافقون ، ٨

(٣٠) القس « م٠ هويرى » « تعليق شامل على القرآن » .
ابن كثير ، التفسير ، الجزء الرابع ، ص ٣٦٩ - ٧٠ .

(٣١) « سرجنت » ، « دستور المدينة » ، ص ٩ .

(٣٢) المرجع نفسه ، ص ١٠ .

(٣٣) المرجع نفسه .

(٣٤) المرجع نفسه .

Ilse Lichtenstadter, « **Some References to Jews in Pre-Islamic Arabic Literature** », Proceedings of the American Academy for Jewish Research. Vol. X (1940), pp. 185-194.

« ايلزيه ليشتنستادتر » ، « بعض الاشارات الى اليهود فى الأدب العربى الجاهلى » ، أعمال الأكاديمية الأمريكية للأبحاث اليهودية ، المجلد العاشر (١٩٤٠) ، صص ١٨٥-١٩٤ .
(٣٦) الرأى المتشكك الذى قال به د٠ س٠ « مارجوليوث » فى كتابه :

The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam.

« العلاقات بين العرب واليهود قبل ظهور الاسلام » ، صص ٧٦-٨١ ، فيما يتعلق بصحة اشعار السموال لا يؤثر على شهرة هذا الشاعر .

Ilse Lichtenstadter, pp. 185-194. (٣٧)

« ايلزيه ليشتنستادتر » « صص ١٨٥ - ١٩٤ .

(٣٨) « اثم » (بالعربية فى الأصل) وقد أخذنا فى ترقيم المواد بما ورد فى كتاب « واط » ، « محمد فى المدينة » ، صص ٢٢١-٢٢٥ .

- (٣٩) المواد ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٤٧ .
- (٤٠) « سرچنت » ، « دستور المدينة » ، ص ٤ .
- (٤١) « واط » ، « محمد فى المدينة » ، ص ٢٢٨ .
- (٤٢) ابن هشام ، ص ٣٤٢ ، « واط » ، « محمد فى المدينة » ، ص ٢٢٧ .
- (٤٣) « واط » « محمد فى المدينة » ، ص ٢٢٧ .
- (٤٤) محمد حميد الله ، « أول دستور مكتوب فى العالم » ، الطبعة الثانية (لاهور ١٩٦٨) ، و « ريب سرچنت » ، « دستور المدينة » ، أساءا فهم الوثيقة .
- (٤٥) « وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فان مرده الى الله عز وجل ، والى محمد (ص) » (المادة ٢٣) . وقد أورد ابن هشام نص الصحيفة ، ص (٣٤١ - ٣٤٤) . وقد قورن نص حميد الله (ص ص ٤١ - ٥٤) بنصوص ابن أبى خيثمة وابن كثير وأبى عبيد . انظر أيضا « واط » ، « محمد فى المدينة » (ص ص ٢٢١ - ٢٢٥) .
- (٤٦) « وأنه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد (ص) ، وأنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وأنه من فتك فينفسه (فتك) ، وأهل بيته الا من ظلم ، وان الله على أبر هذا » (المادة ٣٦) .
- (٤٧) « وان ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وان المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس » (المادة ١٥) .
- (٤٨) « وان يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم الا من ظلم وأثم ، فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته » (المادة ٢٥ ، والمواد ٢٦ الى ٣٥ مثلها) .
- (٤٩) « وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وان النصر للمظلوم » (المادة ٣٧) .
- (٥٠) « واذا دعوا (أى اليهود) الى صلح يصلحون ويلبسونه ، فانهم يصلحون ويلبسونه ، وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانهم لهم على المؤمنين ، الا من حارب فى الدين » (المادة ٤٥) .
- (٥١) ابن هشام ص ص ٤٠١ - ٤١١ .
- (٥٢) القرآن ، سورة آل عمران ، ٦٤ .
- (٥٣) ابن هشام ، ص ٤١١ .
- (٥٤) ابن هشام ، ص ص ٤١٠ - ٤١١ ، ابن سعد ، ص ٤١٢ .

(٥٥) ابن سعد ، ص ٢١٢ -

Bernard Lewis., "The Arabs in the History (London, (٥٦)
1950), p. 43, See also J. Obermann, « Early islam », the Idea of
History in the Ancient Near East, ed. R.C. Denton (New Haven :
Yale University Press 1966).

« برنارد لويس » « العرب فى التاريخ » (لندن ، ١٩٥٠) ص ٤٣ •
انظر أيضا « ج أوبرمان » ، « الاسلام الأول » ، « فكرة التاريخ فى
الشرق الأدنى القديم » (نيوهافن ، ١٩٦٦) ص ٢٧٠ •

(٥٧) محمد النبى (بالمعربة فى الأصل) أبو عبيد القاسم بن.
سلام ، كتاب الأموال (القاهرة ١٩٦٨) ، الفقرة ٥١٧ •

(٥٨) القرآن ، سورة التوبة ، ٢٨ •

(٥٩) المرجع نفسه ، سورة التوبة ، ٢٨ •

(٦٠) بالرغم من أن مفهوم الآية العصرية قد يتعارض مع وجود
مستويين من العضوية ، فلا يبدو أن هذا كان يثير أية صعوبات فى القرن
السابع •

Joseph Schacht, « Pre-Islamic Background and Early (٦١)
Development of Jurisprudence », in law in the Middle East, ed.
by Magid Khadduri and Herbert J. Leibesny (Washington D.C.,
1955), Vol. I, p. 41.

« جوزيف شاخت » ، « الخلفية الجاهلية وتطور الفقه فى الفترة
الأولى » فى القانون فى الشرق الأدنى ، أعده للنشر « مجيد خدرى »
وهيربرت ج • ليبسنى (واشنطن د.س ، ١٩٥٥) ، الجزء الأول ،
ص ٤١ •

(٦٢) المرجع نفسه ، ص ٤٠ •

الفصل الثالث

تأييد اليهود للمحاربة في المدينة

« لقد أظهر أتباع محمد من جانبهم
- علاوة على أخذهم بالأفكار
الأساسية لليهودية وبتعاليم نوح -
استعدادا كاملا لاتباع عدد من
الطقوس اليهودية . لذلك لم يكن
هناك نظريا سبب يحول دون تعايش
المجتمعين في سلام . غير أن القبائل
اليهودية في المدينة ، فيما هو محتمل ،
لم تعدل عن فكرة ممارسة نفوذ
سياسي كبير في الواحة ككل . وكان
من الواضح جدا لديها ، ربما قبل
مرور وقت طويل ، أن سلوك محمد
وما كان بسبيل اكتسابه من أهمية
قد يؤثران على هذا الهدف »

« مكسيم رودنسون »

ان الأمة (١) ، كما كان يراها الرسول ﷺ وكما جاء
وصفها رسميا في الصحيفة التي ناقشناها في الفصل
السابق ، ما كان يمكن أن تسير أمورها سيرا طبيعيا الا
بالتعاون الصادق بين مختلف مكوناتها أي المهاجرين والأنصار
واليهود . ويبدو أن السنوات الخمس الأولى من حياة الرسول
ﷺ في المدينة أنفقت في محاولة تحقيق هذا التعاون . وقد
نكل فريق من الأنصار أسموا بالمنافقين (٢) وثلاث قبائل من
يهود المدينة هم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة عن
هذا التعاون الذي ما كان يمكن بدونه أن تنهض الأمة بأى

دور فعال • وكان رأس المنافقين هو عبدالله بن أبى بن سلول الذى كان زعيما بارزا من زعماء المدينة وكان يناوىء الرسول ﷺ • أما المعارضة اليهودية الأساسية فكان يمثلها زعماء بنى النضير (٣) • وسنتعرض لتلك المعارضة فى الفصلين التاليين •

لقد فر الرسول ﷺ من اضطهاد مكة الى امن ينرب دى شهر سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية • وهذا التاريخ لا يعتبر بداية لعصر جديد فى التاريخ الاسلامى فحسب بل يعتبر كذلك المرحلة الثانية والأهم فى كفاح الاسلام من أجل البقاء • واذا كان من المعترف به كما يقول «مونتجرى واطد» أن «المعلومات المتعلقة بسياسات المدينة الداخلية» (٤) خلال السنوات الأولى من هجرة الرسول ﷺ نادرة ، فان المعارضة التى كان على المسلمين أن يواجهوها لم تقدر أبعاد ضراوتها ، فيما يبدو ، تقديرا كاملا • وقد عقد كتاب السيرة المسلمون بحديثهم المبالغ فيه عن جوانب الاعجاز فى غزوات الرسول من مهمة المؤرخ فى التعرف على القوة الحقيقية لمن كانوا يظاهرون الرسول ﷺ ومن كانوا يحاربونه حتى زمن صلح الحديبية (٦٢٨/٦) و صلح خيبر (٦٢٨/٧) • ومع التسليم باتجاه كتاب المغازى الى تضخيم قوة الخصوم والتقليل من قوة المسلمين فالذى لا مرأ فيه هو أن قريشا فى مكة واليهود فى خيبر وقبائل الحجاز المشركة والمنافقين ويهود يشرب بوجه خاص كانت قوتهم الاجمالية خلال السنتين الأولى والثانية من الهجرة تفوق بشكل حاسم قوة المجتمع الاسلامى الجديد •

وكان المشركون واليهود ، على الرغم من اعتزازهم بقوتهم ، لا يستهينون بالتقدم الذى كان الرسول ﷺ يحرزه • وقد استخدموا لايقاف تقدمه شتى وسائل الاتصال التى كانت معروفة فى ذلك الوقت ضد الرسول ﷺ ، فاتهم شعراؤهم المكلفون بالدعاية ، ممن وصفهم «رودنسون» « بصحفيى

ذلك الوقت» وصفهم «كإرمايكل» «بمشعل نيران المعارك» (٥)،
مسلمى المدينة يجلب العار على أنفسهم بتسليم قيادهم
لأجنبي • وغير أبو عفك أبناء قيلة (أى الأوس والخزرج)
لوقفهم بقصيدة قال فيها :

لقد عشت دهرا وما أن أرى من الناس دارا ولا مجمعا
أبر عهدا وأوفى لمن يعاقد فيهم إذا ما دعا
من أولاد قيلة فى جمعهم يهد الجبال ولم يخضعا
فصدعهم راكب جاءهم حلال حزام لشتى معا
فلو أن بالعز صدقتم أو الملك تابعتم تبعا (٦) •

ويلاحظ أبو عفك فى هذه الأبيات أن أبناء قيلة قاوموا
تبعا وقد كان ملكا عربيا ذا شهرة عظيمة ويتساءل عما
جعلهم الآن يقبلون دعوى مهاجر مكى •

وكان هجاء عصماء بنت مروان أوقع وأنكى من
ذلك (٧) ، فقد قالت :

باست بنى مالك والنبيت وعوف، وباست بنى الخزرج
أطعتم أتاوى من غيركم فلا من مراد ولا منحج
ترجونه بعد قتل الرءوس كما يرتجى مرق المنضج
ألا أنف يبتغى غرة فيقطع من أمل المرتجى (٨) •

وفى الوقت الذى كانت فيه عصماء تعير عوفا والخزرج
كان كعب بن الأشرف يشيب بشعر ماجن بزوجات الرسول (٩)
ويقرض أشعارا مقدعة عن نساء المسلمين (١٠) • وقد
احتفظ لنا ابن اسحاق ببعض أشعار كعب ، الشاعر الهاوى،
وهى تعطينا فكرة عن أسلوبه • وشبب كعب فى الأبيات التالية
بأم الفضل بنت الحارث ، فقال :

أراحل أنت لم تجل بمنقبة
وتارك أنت أم الفضل بالجرم !

صفراء رادعة لو تعصر انعصرت
من ذى القوارير والحناء والكتم
يرتج ما بين كعبيها ومرفقها (١١)
إذا تأتت قياما ثم لم تقم
أشباه أم حكيم اذ تواصلنا
والجبل منها متين غير منجذم
احدى بنى عامر جن الفؤاد بها
ولو تشاء شفت كعبا من السقم
فرع النساء وفرع القوم والدها
أهل التحلة والايفاء بالذمم
لم أر شمسا بليل قبلها طلعت
حتى تجلت لنا فى ليلة الظلم (١٢) •

وبينما كانت هذه الحملة التى لحمتها السوقية وسداها
التشنيع دائرة على لسان الشعراء أمر يهودى من بنى قينقاع
اسمه شاس بن قيس فتى شابا من يهود بانشاد بعض الأشعار
التى نظمت بمناسبة يوم بعث لرهط من المسلمين فيه
الأوس والخزرج • وهاج هؤلاء وهؤلاء الى درجة جعلت كل
فريق يتحدى الآخر وقال واحد من الفريق الأول لواحد من
الفريق الثانى : « ان شئتم رددناها الآن جذعة » فغضب
الفريقان وقالوا : « قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة ، السلاح
السلاح ! » (١٣) وما أن سمع الرسول ﷺ الخبر حتى هرع
الى المكان مع نفر من المهاجرين وخاطب رجال الأوس
والخزرج قائلا :

« يا معشر المسلمين ، الله الله • أبدعوى الجاهلية وأنا
بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع
عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بين
قلوبكم ؟ » (١٤) •

ونزلت الآيات التالية بهذه المناسبة (١٥) :

« يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين • وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم • يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون • واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا • » (١٦) •

كان هذا هو جو البلبلة في المدينة الذي دارت وسطه موقعة بدر • وفي خلال ما يقل عن سنتين من الهجرة (رمضان ٢ هـ / مارس ٦٢٤ م) هزم ثلاثمائة وأربعة عشر مسلما يقودهم رسول الله ﷺ جيشا مكيا قوامه ألف مقاتل من قريش في بدر • وكان عدد القتلى المكيين يتراوح بين خمسين وسبعين ، بما في ذلك أعدى أعداء الرسول ﷺ من قريش أبو الحكم عمرو بن هشام (أبو جهل) وعديد من الرؤساء الآخرين • وأسر منهم سبعون أو نحو ذلك • ولم يقتل من المسلمين سوى أربعة عشر ولم يؤسر منهم أحد • وكان هذا أول صدام كبير مع أهل مكة بعد هجرة الرسول ﷺ من هذه المدينة (١٧) •

وقد قوى هذا الانتصار الكبير كثيرا من ساعد المسلمين في المدينة « التي يحتمل أن موقفهم فيها كان في تدهور خلال الشهور القليلة السابقة حين بدا من غير المحتمل أن ينجح الرسول في انجاز شيء » (١٨) • ويبدو أن المعارضة الناشئة في المدينة ، التي استهانت في البداية بأمر الرسول وأصحابه ، أصابها القلق والتوجس • وكان من الطبيعي أن يحس اليهود وحلفاؤهم ممن كانوا قد انضموا الى صفوف المسلمين ولكنهم ظلوا متربصين في انتظار أن تتاح الفرصة لاجلاء المسلمين من المدينة (١٩) بالخرج والانزعاج • ويبدو

« بهم كانوا يعدون العدة لمواجهه في المدينة ، لكن البريسول ﷺ اراد ان يتفادى مثل هذه المواجهة بأى ثمن . ومن المحتمل ان جادته وقعت خلال هذه الفترة في المدينة أدت الى اخذناك بين المسلمين وبنى قينقاع . ولم يذكر ابن اسحاق هذه الحادثة ، لكن ابن هشام مهذب سيرته أضافها في روايته قائلًا ان امرأة من الأنصار انكشفت سوءتها على يد صائغ يهودى في سوق بنى قينقاع فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله . وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع (٢٠) . ورغم أن الواقدي ذكر بدوره هذه الحادثة (٢١) ، فإن ابن سعد لم يضمها في روايته . كذلك فإن الطبرى اتبع قصة ابن اسحاق الأولى ولم يشر الى الحادثة التى أضافها ابن هشام (٢٢) . واغلب الراى أن هذه الواقعة دخلت مادة القص فى وقت لاحق ، أو لعل ابن اسحاق وجد أنها من التفاهة بحيث لا تستحق الذكر . على أن الوقائع وان كانت تافهة أو صغيرة قد تتخذ أبعادا خطيرة فى جو تضطرم فيه مشاعر الجانبين . ويلاحظ «كوبر» وهو يناقش موضوع التغير السياسى فى المجتمعات التعددية ما يأتى :

« . . والنزاع قد ينقل بسرعة من قطاع الى آخر بصورة تبدو مخالفة لحكم العقل ولا يمكن التنبؤ بها . وبعض الأحداث قليلة الأهمية والمنعزلة قد يكون لها من ثم صدى عظيم ، وقد تثير نزاعا بين قطاعات المجتمع . كذلك فإن المسائل المتنازع عليها قد تتفاقم وتضيف الى احتمالات زيادة العنف وتضاعف من شدتها » (٢٣) .

وأيا كانت الحادثة التى كانت السبب المباشر فى النزاع ، فإن العلاقات بين بنى قينقاع والمسلمين بلغت نقطة اضطرب الرسول ﷺ فيها الى جمع بنى قينقاع فى سوقهم ليوجه اليهم انذارا وحذرهم بالكلمات التالية استنادا الى صقته كرسول لله :

« يا معشر يهود ، اجبروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة ، وأسلموا فانكم قد عرفتم أنى نبي مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله اليكم » (٢٤) .

ورد اليهود على دعوته بتحد فقالوا

« يا محمد ، انك ترى أنا قومك ! لا يفرنك أنك لقيت يوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، انا والله لن نحرارناك لتعلمن أنا نحن الناس » (٢٥) .

ولم يكن فى الامكان تسوية الأمر سلميا بعد مثل هذه الاجابة . لقد اتخذ بنو قينقاع زمام المبادرة فى أنسب لحظة فلم يكن قد مر أكثر من سنتين على اقامة الرسول فى المدينة . وكان بعض الأنصار من ذوى النفوذ مثل عبدالله بن أبى (٢٦) لا يزالون فى موقف المترصد . وكان الأوس والخزرج لا تزال فى نفوسهم بقية من مشاعر التنافس التى كانت بينهم فى الجاهلية . ولم يكن موقف اليهود فى المدينة قد تأثر بشكل ملموس بوصول الرسول ﷺ وأصحابه المهاجرين . وكان سكان المدينة من اليهود فى ذلك الوقت كما لاحظنا من قبل يتراوح عددهم بين (٣٦٠٠٠) و (٤٢٠٠٠) وكانوا يشكلون أغلبية سكان المدينة (٢٧) .

ان غزوة بدر تعطى فكرة لا بأس بها عن قوة المسلمين فى ذلك الوقت . لقد كان كل ما استطاعوا تعبئته فرسين وسبعين بعيرا وثلاثمائة وأربعة عشر رجلا (٢٨) ، كان عليهم أن يقاتلوا تسعمائة وخمسين من أهل مكة الذين كان لديهم ، بالاضافة الى عدد كبير من البعير مائتا فرس . والأرجح أن بنى قينقاع أو أى مراقب آخر كانوا قد كونوا فكرة سيئة عن استراتيجية المكيين وقيادتهم وترتيبات نقلهم وتموينهم . فى الوقت نفسه كان ضعف المسلمين فى الرجال والعتاد ظاهرا للعيان وظن بنو قينقاع أنهم ، حتى اذا لم يهب اليهود وحلفاؤهم المدنيون لنجدتهم ، قادرون على التصدى وحدهم للرسول ولأنصاره . وكانت قوتهم تتكون

من سبعمائة رجل ، ثلاثمائة منهم دارعون (٢٩) مقابل نحو ثلاثمائة مسلم حاسرين . وكان لدى بنى قينقاع ميزة أخرى هي ميزة القتال فى حصون مجهزة . وكان بنو قينقاع أشجع اليهود (٣٠) ويسمون أنفسهم « أصحاب الحرب » (٣١) . لذلك قرروا أن يتخذوا زمام المبادرة وحاربوا الرسول (٣٢) ، ولاذوا بحصونهم . وذهب الرسول ﷺ الى تلك الحصون وعسكر مع رجاله خارجها . وكانت المعركة غير متكافئة كما كانت غزوة بدر غير متكافئة ، وكانت نتيجتها ، مثل نتيجة بدر ، تدعو الى العجب . فبعد حصار لم يزد عن خمسة عشر يوما استسلم بنو قينقاع . وقد أبدى « مارجوليوث » فى هذا الشأن ملاحظة طريفة عن صفات يهود المدينة القتالية فقال :

« ان من الغريب أن اليهود يظهرون فى سيرة الرسول كتجار للسلاح والدروع بنفس الصورة التى كانوا يظهرون بها فى انجلترا فى العصور الوسطى التى يصورها الروائى الاسكتلندى والتر سكوت . والظاهر أنهم لم يكونوا يستخدمون هذا السلاح بصفة فعلية » (٣٣) . وكان الواقضى وتلميذه ابن سعد هما اللذان نسباً لليهود قولهم أنهم « أصحاب الحرب » و « أشجع اليهود » . على أن لغة ابن اسحاق أكثر حذرا . فهو لا يشير أية اشارة الى شجاعتهم . ولم تهب أقوى القبائل اليهودية الأخرى ، أى بنى النضير وبنى قريظة ، لنجدة قينقاع . كذلك لم يتحرك عبدالله بن أبى بن سلول لتقديم أى عون لليهود المحاصرين رغم أن بنى قينقاع كانوا موالى له ، وحاربوا الى جانبه قبل الهجرة . ولم يتبن قضية اليهود الا بعد أن ألقوا السلاح ونزلوا على حكم الرسول ﷺ فذهب الى الرسول وقال له : « يا محمد ، أحسن فى موالى . . (وأدخل يده فى جيب درع رسول الله) ، فقال له الرسول ﷺ : « ويحك ، أرسلنى » . وقال ابن أبى : لا ، والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى ، أربع مئة حاسر

وثلاث مئة ذارع قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم
فى غداة واحدة ؟ انى والله امرؤ أخشى الدوائر » فقال له
الرسول : « هم لك » (٣٤) .

وقد جاء ذكر هذه الواقعة عند ابن اسحاق والواقدي
وابن سعد . وروايتهم توحى بأن عبد الله بن أبى كان له
شئ من كرامة عند الرسول ﷺ . على أن ألفاظ مناشدة
عبد الله بن أبى للرسول ﷺ فى ذاتها تحمل على الشك فى
طبيعتها ، فان ابن اسحاق لم يذكر قط أن الرسول ﷺ قال
انه يعتزم الأمر باعدام بنى قينقاع . والذي ذكر ذلك هو
الواقدي وكذا ابن سعد نقلا عن أستاذه . ولم يكن الاعدام
هو أسلوب الرسول كزعيم سياسى فى معاملة خصومه .
والرسول ﷺ ، ولو انه لم يكن يؤمن بعدم العنف وكان
يخوض الحرب حين يقتضى الأمر ، كان يتفادى كمسألة مبدأ
اراقة الدماء بغير ضرورة . وأيا كان الأمر فانه لم يكن ،
فى السنة الثانية من الهجرة ، حتى ان أراد ، فى وضع يتيح
له فرض عقوبة صارمة . وأقرب من ذلك الى العقل أن نقول
انه أراد أن يكون الهجوم على بنى قينقاع درسا للمنافقين
وعلى رأسهم عبد الله بن أبى الذى كان من الممكن أن يحقق له
انتصار بنى قينقاع على المسلمين مصلحة مباشرة .

وبادر عبادة بن الصامت أحد بنى عوف ، الذى كان
حليفا لليهود ، بالتبرؤ من حلف بنى قينقاع (٣٥) . وقد
فضح مسعى عبد الله بن أبى أمره كما أضعف مركزه وعزله
عن المسلمين . ولقنه الرسول ﷺ درسا ولم تكن هناك حاجة
الى اجراء آخر .

ان رواية ابن اسحاق لهذه العملية كلها رواية تتسم
بالاقتضاب والتحفظ . وهو لم يشر الى الحادثة التى وقعت
فى سوق بنى قينقاع والذى أضافها هو ابن هشام . وابن
اسحاق يبدأ بنقل خطاب الرسول ﷺ الى بنى قينقاع فى
سوقهم . لكنه لا يقول ان الرسول ﷺ أجلاهم . بل يقول انه ﷺ

قال لعبد الله بن أبي : « هم لك » والواقدي هو الذي أضاف عبارة « وأمر بهم أن يجلسوا من المدينة » (٣٦) .

وقد نقل ابن سعد عبارة أستاذه دون تمحيص (٣٧) .
ويبدو أن الشواهد تؤيد موقف ابن اسحاق الذي لم يتحدث عن إجلاء بني قينقاع . ولم يورد البخاري ولا مسلم أى خبر عن نزاع قام بين الرسول ﷺ وبني قينقاع ، علما بأن كلا منهما تحدث عن نزاع شجر بينه وبين بنى النضير وبنى قريظة ، وقد تحدث كل منهما عن إجلاء بني قينقاع بصدده الحديث عن إجلاء اليهود عموما من المدينة (٣٨) . ولم تذكر أى تواريخ فى هاتين الروايتين ، لكن اسم بنى قينقاع جاء فيهما بعد اسمى بنى النضير وبنى قريظة ، ويبدو أن الروايتين تحيلان الى خلافة عمر .

وقد لاحظنا فيما سبق أن اليهود كانوا لا يزالون فى المدينة فى السنة التاسعة من الهجرة وسير الرسول لا يتحدث عن أى إجلاء عام لليهود من المدينة فى حياته ﷺ (٣٩) .
وأبو يوسف (١١٣/٧٣١ - ١٨٢/٧٩٨) الذى تحدث فى مصنفه « كتاب الخراج » عن مشكلات فرض الخراج على الأرض ، وعن الوضع القانونى لغير المسلمين ، وما يتصل بذلك من مسائل ، ويسوق كلما أمكن سوابق ترجع الى زمن الرسول ﷺ لاستصدار تشريع يتفق وأحكام السنة ، لم يورد أية اشارة تفيد طرد بنى قينقاع وتوزيع أملاكهم .

ويقول يحيى بن آدم (١٤٠/٧٥٧ - ٢٠٣/٨١٨)
الذى يقول « جوزيف شاخت » ان « النقد يعتبرونه عادة من أهل الثقة » . وكان فى البداية من المحدثين ، كما كان من فقهاء المدرسة التقليدية « (٤٠) ان بنى النضير كانوا أول من أجلى عن يثرب (٤١) » . ويذكر الامام الشافعى (١٥٠/٧٦٧ - ٢٠٤/٨٢٠) أن الرسول ﷺ كان يستعين بنفر من يهود بنى قينقاع ضد يهود خيبر (٦٢٨/٧) . (٤٢) وقد سرد ابن العماد (١٠٣٢/١٦٢٣ - ١٠٨٩/١٦٧٩) الذى كان

من الكتاب المتأخرين ولكنه ، كما يقول « ف روزنتال » :
 « لا يزال مفيدا كمصدر أولي للمعلومات » . (٤٣) في كتابه
 « شذرات الذهب » أحداثا مهمة عن حياة الرسول ﷺ منذ
 زمن هجرته * وهو بدوره لا يتحدث عن اجلاء بنى قينقاع
 عن يشرب في السنة الثانية من الهجرة أو في حياة الرسول
 ﷺ . (٤٤) والقرآن الكريم يؤيد هذا الرأي ، فان سورة
 الحشر التي نزلت بعد غزوة أحد في السنة الرابعة من
 الهجرة والتي تتحدث عن اجلاء بنى النضير من المدينة
 تصف اجلاءهم بأنه « أول الحشر » (٤٥) *
 والقرآن الكريم وإن كان يتحدث عن اجلاء بنى النضير
 وعن عقاب بنى قريظة لا يشير الى اجلاء بنى قينقاع بالرغم
 من أنهم كانوا أول من شجر بينهم وبين المسلمين نزاع *
 ويقول الواقدي وابن سعد ان الآية التالية نزلت بشأن بنى
 قينقاع :

(واما تخافن من قوم خيانة فانيذ اليهم على سواء ان الله
 لا يحب الخائنين) (٤٦) *

والواقدي وابن سعد يضعان هذه الآية خارج سياقها
 الصحيح ، فان الآية رقم ٥٦ من السورة نفسها (٤٧)
 تستبعد بنى قينقاع صراحة اذ أنها تشير الى « الذين عاهدت
 منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون » * ولم
 يكن بنو قينقاع هم الذين تكرر منهم نقض العهد فان
 الرسول ﷺ لم يكن قد أقام في المدينة سوى عامين ، ولم تكن
 هناك مناسبات تكرر فيها نقض اليهود للعهد * وابن اسحاق
 يذكر ، استنادا الى ما رواه عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بنى
 قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ
 وحاربوا فيما بين بدر وأحد (٤٨) * كانوا أول من نقض
 العهد ولكنهم لم يكونوا من تكرر منه نقض العهد * ويرى
 مفسرو القرآن أن هاتين الآيتين كلتيهما تشيران الى بنى
 قريظة لا الى بنى قينقاع (٤٩) *

ولأن ابن اسحاق لا يتحدث عن اجلاء بنى قينقاع ، فهو بالتالى لا يشير الى تقسيم ممتلكاتهم . لقد كانوا يملكون أطمين وسوقا بالقرب من جسر بطحان وسوقا أخرى فى حباشة (٥٠) . وقد جمع « كستر » فى مقاله الثمين - على أيجازه - كل الأحاديث التى يتبين منها أن الرسول ﷺ أراد أن ينشئ سوقا فى المدينة (٥١) . وكان المهاجرون ، ومعظمهم من التجار ، والمشتغلون بالتجارة بحاجة ماسة الى مثل هذه السوق . أما الأنصار فقد كانوا ، كما هو معروف يشتغلون بالزراعة . ولو أن بنى قينقاع قد أجلوا لكانت ممتلكاتهم ولكانت سوقهم بصفة خاصة أول ما يؤول الى مهاجرى مكة ، لا ممتلكات بنى النضير التى كانت تتكون من المزارع وحدائق النخيل . وحاصل الأمر أنه ليس هناك ذكر لتقسيم هذه الممتلكات على المهاجرين ولا على الأنصار . وانه ليدو من الغريب حقا أن يكون الرسول ﷺ قد انتظر أربع سنوات ليقسم ممتلكات على المهاجرين لدى اجلاء بنى النضير رغم أنه كان فى مقدوره أن يمنح المهاجرين ممتلكات أنسب لمهنتهم كتجار قبل ذلك بسنتين لدى ما يدعى من طرد بنى قينقاع . والواقدي نفسه لا يحدثنا عما آلت اليه سوق بنى قينقاع . ولما كان الثابت أن المسلمين كانوا يستخدمون سوقا أقيمت فى مقابر بنى ساعدة (٥٢) فمن الواضح أن سوق بنى قينقاع اما بقيت فى حيازتهم أو لم تكن تستخدم ، وهذا الفرض الثانى فرض لا يقبله العقل فان مثل هذه السوق فى المدينة لا يتصور التخلي عنها أو اضاعتها . والظاهر انه سمح لبنى قينقاع بالرغم من مصادرة أسلحتهم بالاستمرار فى حيازة جميع ممتلكاتهم .

هذا واذا كان بنو النضير وسائر اليهود لم يتحركوا لنصرة بنى قينقاع فانهم لم يقفوا مكتوفى الأيدي أمام ما أصابهم من بلاء ، فقد بكى كعب بن الأشرف ، الذى انتخب

كبيراً لليهود بدلاً من مالك بن الصيف (٥٣) ، هزيمة قريش
فى بدر، وقدم مكة لاستنصار المكيين للثأر لهذه الهزيمة (٥٤) .
وأشاد فى إحدى مرثياته بنبل محمّد من سقطوا صرعى فى
بدر وطالب بثأرهم ، فقال :

طحنت رحي بدر لمهلك أهله
ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم
لا تبعدوا ، ان الملوك تصرع
كم قد أصيب به من أبيض ماجد
ذى بهجة يأوى إليه الضيع
طلق اليمين اذا الكواكب أخلفت
حمال أثقال يسود ويربع
نبئت أن الحارث بن هشامهم
فى الناس يبنى الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع ، وانما
يحمى على الحسب الكريم الأروع (٥٥)
وقال فى مرثية أخرى :

ألا فازجروا منكم سفيها لتسلموا
عن القول يأتى منه غير مقارب
أتشتمنى ان كنت أبكى بعبرة
لقوم أتانى ودهم غير كاذب
فانى لباك ما بقيت وذاكر
مأثر قوم مجدهم بالجباب (٥٦) .

وفى خلال سنة من غزوة بدر كان أهل مكة على أهبة
الاستعداد للنزول الى ساحة القتال من جديد .

وفي ٧ شوال سنة ٢ من الهجرة (٢٢ مارس سنة ٦٢٥) وقعت غزوة أحد التي كانت غزوة غير حاسمة • وخسر الرسول ﷺ المعركة • وقتل سبعون مسلما مقابل اثنين وعشرين من قريش • وعلى الرغم من أن المكيين لم يستغلوا هزيمة المسلمين استغلالا كاملا إلا أن هيبة المسلمين هوت بهذه الهزيمة إلى أدنى مستوياتها • وبعد غزوة أحد بقليل قتل في بئر معونة أربعون إلى سبعون مسلما ، ولم ينج من المذبحة غير مسلم واحد هو عمرو بن أمية الضمري • وقد التقى عمرو في طريق عودته برجلين من بني عامر - ولم يكن يعرف أن بني عامر لم يكن لهم دور مباشر في المذبحة - فقتلها وهما نائمان ثارا لأصحابه • ولما كان الرسول ﷺ وقبيلة بني النضير اليهودية ملزمين ببناء على العهد المبرم مع بني عامر بدفع الدية ، ذهب رسول الله ﷺ بصحبة عدد من كبار أصحابه إلى مجلس بني النضير يستمعينهم في دفع الدية • ووافق المجلس على الاسهام في دفعها وطلب من الرسول ﷺ وأصحابه الانتظار • وحين كان الرسول قاعدا جنب الدار لاحظ تحركات أرابته • فانه لم يحدث له قط أن كان قريبا إلى هذا الحد من اليهود ، وها هو الآن في حيهم • وكان قتل عصماء بنت مروان وأبى عفك وكعب بن الأشرف بيد المسلمين في ظروف متشابهة ما يزال عالقا بالأذهان • وغادر الرسول ﷺ المكان بهدوء وتبعه أصحابه • وأكدت الأنباء بعد ذلك أسوأ مخاوف الرسول ﷺ فقد كان اليهود قد دبروا مؤامرة لاغتياله (٥٧) • وكان قد سبق لرسول الله أن علم باتصال بني النضير بقريش في مكة • وقد حققت « نايه أبوت » في بحث بعنوان « دراسات للأدب العربي في أوراق البردي » (٥٨) فقرة ورد فيها بيان الأسباب التي أفضت إلى غزو الرسول ﷺ لبني النضير ، وأعاد « كستر » بحث هذه الفقرة وأثبت بعد تحليل مستفيض أن مؤلفها هو ابن لهيعة الذي عاش في مصر وتولى القضاء من سنة ١٥٥/ ٧٧١ إلى سنة ١٦٤/ ٧٨٠ • ومؤدى الفقرة أن بني النضير بعثت سرا

الى قریش حين نزلت بأحد لقتال محمد تحضها على قتال المسلمين وتدلها على مواطن ضعفهم (٥٩) .

وهذه الرواية التي تأتي من مصدر يكاد يكون معاصرا لابن اسحاق تلقى مزيدا من الضوء على الدور الذي لعبه بنو النضير (٦٠) . وفي مناسبة سابقة كان سلام بن مشكم سيد بنى النضير ، بعد نحو ثلاثة أشهر من غزوة بدر ، قد زود أبا سفيان بن حرب ومائتي راكب مكى بالطعام والميرة ، كما زود أبا سفيان بمعلومات سرية عن المسلمين (٦١) . وقد أطلق على هذه المحاولة المكية الفاشلة للهجوم على المدينة ، كما يقول أبو الفرج ، اسم غزوة السويق نسبة الى الخمر التي قدمها سلام بن مشكم للمكيين بهذه المناسبة (٦٢) . والسويق شراب يصنع من القمح والشعير . وقال أبو سفيان في مدح سلام على كرمه بهذه المناسبة شعرا ، منه هذان البيتان :

وانى تخيرت المدينة واحدا
لحلف فلم أندم ولم أتلوم

سقانى فروانى كميئا مدامة
على عجل منى سلام بن مشكم (٦٣) .

ويقول « رودنسون » بصدد المؤامرة التي حاكها بنو النضير ان « هذا فى مجموعه ليس افتراضا خاطئا ، وهو افتراض كان من المنتظر أن يتوقعه أى شخص أوتى أدنى حظ من الفراسة السياسية ولو كان أقل ذكاء من محمد » (٦٤) . لقد فقد المسلمون خلال أربعة أشهر أكثر من مائة رجل فى أحد وفى بئر معونة . وكانوا بحاجة الى السلم فى الداخل ، وكان يهمهم أن يأمّنوا جانب جيرانهم فى المدينة . واتصل الرسول ﷺ ببني قريظة وبني النضير فى شأن تجديد الاتفاق الذى كان بينه وبينهم . وجدد بنو قريظة الاتفاق ، أما بنو النضير فقد رفضوه (٦٥) . ولم يكن المسلمون فى

مركز قوة ولكنهم قرروا استخدام الحزم. فى أخذ القرار •
وارسل الرسول ﷺ محمد بن مسلمة وهو انصارى من قبيلة
متحالفة مع بنى النضير ليوجه اليهم انذارا ، وحدد لهم عشرة
أيام لمغادرة المدينة (٦٦) •

وهم بنو النضير بقبول الانذار ، الا أن عبد الله بن
أبى ، ووديعة ، ومالك بن أبى قوقل ، وسويد ، وداعس
أشاروا عليهم بالمقاومة (٦٧) • وكانوا يتوقعون أن يخف
لنجدتهم ابن أبى فضلا عن بنى قريظة وبنى غطفان (٦٨) •
وتحصن بنو النضير فى حصونهم وأوصدوا عليهم أبوابها
وانتظروا وصول المعونة •

وتكررت معهم قصة بنى قينقاع • وذهب الرسول ﷺ
وجلس مع أصحابه حتى استسلموا ولم يتحرك أحد للأخذ
بناصية بنى النضير • وقد ورد فى سورة الحشر التى نزلت
فى هذه المناسبة ذكر لهذه الواقعة (٦٩) وجاء فى القرآن
الكريم بشأن ما صدر لبنى النضير من وعود بتقديم العون :

(ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لآخوانهم الذين
كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع
فيكم أحدا أبدا وان قوتلتهم لنصرتكم ••) (٧٠) •

واستمر الحصار أسبوعين ثم استسلم بنو النضير • وقد
أمروا بالجلاء ولكن سمح لهم بأخذ ما حملت الابل من
أموالهم ما عدا السلاح « فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به
ستمائة من الابل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف (★)
بأبه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به » • وكان الخشب متاعا
ثميننا فقد كانوا بحاجة اليه لبناء بيوتهم فى مقرهم الجديد •
وذهب فريق من بنى النضير الى خيبر وفريق آخر الى الشام •
وكان سلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق

(★) النجاف (يؤذن كتاب) : العتبة التى بأعلى الباب •

وحیی بن أخطب ممن ساروا الى خيبر * ويقول ابن اسحاق ان القبيلة المهزومة شقت طريقها « بزهاء وفخر ما رئي مثله من حى من الناس فى زمانهم » (٧١) * ويضيف الواقدي ، الذى كان يعز عليه أن يتفوق عليه ابن اسحاق فى الوصف ، أن نساء بنى النضير كن يرتدين أبهى ثيابهن ويتقلدن حليهن وان أحدا لم ير نساء فى مثل جمالهن * * فى أيديهن أسورة الذهب والدر فى رقابهن ، وان منهم من بدت كأنها لؤلؤة غواص وأخرى كانت كالقمر فى تمامه (٧٢) * وقد أسقط ابن سعد بتحريزه المعتاد هذا القص التجميلى من روايته *

ان عددا كبيرا من العوامل قد تحالف ، فيما يبدو ، فى السنة الثانية من الهجرة ، على خلق ظروف لا يستبعد أن تكون قد جعلت من بنى قينقاع ضحية لمؤامرة لم تدر لهم بخلد من جانب المنافقين ولكن مثل هذا العذر لا يمكن أن يلتمس لبنى النضير * لقد كان بنو قينقاع فى الظاهر هم الذين أثاروا الخصومة مع الرسول ﷺ فى وقت كان بوسع المسلمين فيه أن يتصدوا لهم من موقف قوة وأن يعاملوهم بالتالى بكرم وسماحة * أما بنو النضير فقد اتخذوا موقفا عدائيا من المسلمين فى وقت كان الرسول ﷺ وأصحابه غارقين فيه فى مياه عميقة ، ولذلك فان معاملتهم بالرفق الذى عومل به بنو قينقاع كان من الممكن أن تؤول على أنها دليل على الضعف وأن تنال كثيرا من هيبة المسلمين *

مراجع الفصل الثالث

(١) « الأمة فى سياق مناقشتنا ليهود المدينة لا تتجاوز ، حسب التعريف الذى عرفتها به « الصحيفة » ، « أهل الصحيفة » . وللاطلاع على مناقشة اكمل معناها انظر « مونتهجرى واط » العوامل المثالية فى أصل الاسلام ، المجلة الاسلامية ربع السنوية ، رقم ٣ (اكتوبر ١٩٩٥) ص ص ١٦١-٦٤ وكتابه بعنوان « الفكر السياسى فى الاسلام » ، ونبذة « روى باريت » Rudi Parit فى دائرة معارف الاسلام (١) ، و« ابو الاعلى المودودى » طريقة الحياة الاسلامية « المشار اليها فى الفصل السابق .

(٢) على الرغم من تعذر اعطاء تعريف دقيق وجامد للكلمة ، قد يكون من الأسلم أن نقول ان هذه الكلمة تصف سكان المدينة ، الذين قبلوا الاسلام قبولاً ظاهرياً ، والذين كانوا مع ذلك موضع ريبة لعدة أسباب . وكانوا من المعوقين الذين لا يمكن الاعتماد عليهم فى الملمات (القرآن سورة الأحزاب ، ١٢-٢٤) وكانوا يتكلمون عن المشاركة بأموالهم أو بأنفسهم فى الجهاد (القرآن ، سورة محمد ، ٢٠ و ٣١) بل وكانوا يتطلعون الى الوقت الذى يطرد فيه الرسول (ص) من المدينة (القرآن ، سورة المنافقون ، ٨) . انظر القرآن سورة المنافقون ، وابن هشام ص ص ٤١١-١٣ .

(٣) انظر ابن هشام ص ص ٣٥١-٤٠٠ ، للاطلاع على تفاصيل معارضة اليهود للرسول (ص) .

(٤) « واط » ، « محمد فى المدينة » ، ص ١٨٠ .

(٥) Maxime Rodinson, Mohammed, tr. Anne Carter (New York, 1971), p. 194.

مكسيم رودنسون ، « محمد » ، ترجمة آن كارتر (نيويورك ، ١٩٧١) ص ١٩٤ . وكما تقول « جويل كارمايكل » Carmichael : « لم يكن شاعر القبيلة بين البدو مجرد نظام للشعر ، بل كان يشعل نار المعارك » ، وكانت أشعاره « تعتبر بداية حقيقية للحرب الفعلية » .

(The Shaping) of the Arabs, A Study in Ethnic Identity), New York, 1967, p. 38).

(تشكيل العرب ، دراسة للشخصية الاثنية ، نيويورك ، ١٩٦٧ ، ص ٣٨) .

- (٦) ابن هشام ، ص ٦٦٥ .
- (٧) لاحظ « جويتاين » كما لاحظ « رودنسون » « ان نساء الجزيرة العربية القديمة كن شهيرات ليس فقط بمرائهن وشعر المديح ، بل أيضا وبصفة خاصة بهجائهن ، الذى كان يقوم الى حد كبير بالموظيفة التى تقوم بها صحافة اليوم » (اليهود والعرب ، ص ٣٠) .
- (٨) ابن هشام ، صص ٩٦-٩٩٥ .
- (٩) محمد بن سلام الجمحى ، طبقات الشعراء ، تحقيق « جوزيف هيل » Joseph Hell (لايدن ، ١٩١٦) ، ص ٧١ .
- (١٠) ابن هشام ، ص ٥٥٠ .
- (١١) ترجمة « غليوم » « حياة محمد » ، صص ٣٦٦-٦٧ . ويتضح المجون فى هذا البيت حين يدرك المرء أنه يشير الى حركة ردق أم الفضل حين تتحنى .
- (١٢) الطبرى ، الجزء الثانى ، ص ٤٨٨ ، وقد حذف ابن هشام هذه الآيات .
- (١٣) ابن هشام ، ص ٣٨٦ .
- (١٤) المرجع نفسه .
- (١٥) المرجع نفسه ، ص ٣٨٧ .
- (١٦) القرآن ، سورة آل عمران ، الآيات من ١٠٠-١٠٤ .
- (١٧) ابن هشام ، صص ٤٢٧-٥٣٩ ، الواقدي ، الجزء الاول صص ٩-١٧١ ، ابن سعد ، الجزء الثانى ، صص ١١-٢٧ . ومن بين السرايا والغزوات السبع التى حدثت قبل بدر لم يقع لقاء أو قتال فى ست . ولم يحدث قتال الا فى سرية نخلة التى قادها عبد الله بن جحش ، واشترك فيها ما بين سبعة أشخاص واثنى عشر شخصا ، وقتل فيها رجل واحد .
- (١٨) « واط » ، محمد فى المدينة « ص ١٥ .
- (١٩) القرآن ، سورة المنافقون ٨ ، ابن هشام ، ص ٥٥٩ .
- (٢٠) ابن هشام ، ص ٥٦٨ .
- (٢١) الواقدي ، الجزء الأول ، صص ١٧٦-٧٧ .
- (٢٢) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك (القاهرة ١٩٦١) ، الجزء الثانى ، صص ٤٧٩-٨٣ . ولما كان الطبرى قد استند الى سيرة ابن اسحاق وفقا لرواية سلامة بن فضل الأبرش الأنصارى (انظر « غليوم » ، ص ١٧ من المقدمة) ، فاننا لن نشير الى تاريخه . أى تاريخ الطبرى الامتى اختلفت روايته عن سيرة ابن اسحاق .

Leo Kuper, « Political Change in Plural Societies : Problems in Racial Pluralism », International Social Science Journal, Vol. XXIII, No. 4 1971, p. 595.

ليو كوبر ، « التغير السياسى فى المجتمعات التعددية : مشكلات فى التعدد العنصرى » ، مجلة علم الاجتماع الدولية ، المجلد الثالث والعشرون ، رقم ٤ ، ١٩٧١ ، ص ٥٩٥ .

(٢٤) ابن هشام ، ص ٥٤٥ .

(٢٥) ابن هشام ، ص ٥٤٥ .

(٢٦) لم تحتفظ مصادرنا بأسماء غيره من المناققين البارزين ، ولكن تكرر الإشارة اليهم فى القرآن الكريم يفيد أن عددهم لم يكن صغيرا .

(٢٧) انظر ص ١٠٧ .

(٢٨) لا يبدو أن هناك ما يدعو للشك فى هذه الأرقام . لقد كرم المسلمون المهاجرين والأنصار الذين اشتركوا فى غزوة بدر . وسجل ابن اسحاق وابن سعد أسماءهم ، وكانت ذريتهم مفضلة على ذرية غيرهم من صحابة رسول الله (ص) .

(٢٩) ابن هشام ، ص ٥٤٦ ، الواقدي ، الجزء الأول ص ١٧٧ .

(٣٠) ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ٢٩ .

(٣١) الواقدي ، الجزء الأول ، ص ١٧٦ .

(٣٢) ابن هشام ، ص ٥٤٥ .

(٣٣) « د . س هارجوليث » ، تطورات الاسلام الأول (لندن ، ١٩٢٦) ، ص ١٠٩ .

(٣٤) ابن هشام ، ص ٥٤٦ .

(٣٥) ابن هشام ، ص ٥٤٦ .

(٣٦) الواقدي الجزء الأول ، ص ١٧٨ .

(٣٧) ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ٢٩ .

(٣٨) البخارى ، صحيح ، الجزء الخامس ، ص ١١٢ . صحيح مسلم ، الجزء الثانى ، الحديث رقم ٢٤٣ .

(٣٩) انظر الفصل الثانى ، ص ٨٥ .

(٤٠) « جوليف شاخت » ، دائرة معارف الاسلام (١) ، الجزء الرابع ص ١١٥٠ .

(٤١) Yahya b. Adam, Kitab al-Kharaj (Leiden, 1896), p. 20.

يحيى بن آدم ، كتاب الخراج (ليدن ، ١٨٩٦) ، ص ٢٠ ، ويقول
« شاخت » ان هذا كتاب مهم عن تاريخ الضريبة على الاراضى فى الاسلام .
وقد نشر ٠٩ بن شمش A. Ben Shemesh ترجمة انجليزية للكتاب
تحت عنوان :

Taxation in Islam, Vol. I (Leiden, 1958).

- « الضريبة فى الاسلام » الجزء الأول (ليدن ١٩٥٨)
(٤٢) الشافعى ، كتاب الأم (القاهرة ، ١٣٨١/١٩٦١) ، الجزء
الرابع ، ص ٢٦١ ، الجزء الثانى عشر ، ص ٣٤٢ .
(٤٣) « روزنتال » ، دائرة معارف الاسلام (٢) الجزء الثالث ،
ص ٨٠٧ .
(٤٤) ابن العماد ، عبد الحى بن أحمد الحنبلى ، شذرات الذهب فى
أخبار من ذهب (بيروت ، ١٩٦٦) الجزء الأول ، صص ٩-١٠ .
(٤٥) الطبرى ، جامع البيان (القاهرة ، ١٩٥٤) ، الجزء الثامن
والعشرون ، صص ٢٧-٢٩ . الزمخشري ، الكشاف (القاهرة ١٩٦٦) ،
الجزء الرابع ، صص ٧٩-٨١ . البيضاوى ، أنوار التنزيل وأسرار
التأويل ، أعده للنشر :

H. O. Fleischer (Osnabruck, 1968) Vol. II, p. 332.

- « هـ ٠١ فليشر » (أوزنا بروك ١٩٦٨) ، الجزء الثانى ،
ص ٣٣٢ .
(٤٦) القرآن ، سورة الأنفال ، ٥٨ .
(٤٧) آسورة نفسها ، ٥٦ .
(٤٨) ابن هشام ، ص ٥٤٥ . انظر أيضا الواقدي ، الجزء الأول ،
ص ١٧٧ .
(٤٩) الطبرى ، تفسير (القاهرة ١٩٥٨) ، الجزء الرابع عشر ،
صص ٢١-٢٦ . الزمخشري ، الكشاف ، الجزء الثانى ، صص ١٦٤-
٦٥ . البيضاوى ، الجزء الأول ، ص ٣٧١ .
(٥٠) صلاح أحمد العلى ، « دراسات فى طبوغرافية المدينة » ، الثقافة
الاسلامية ، المجلد الخامس والثلاثون ، رقم ٢ ، أبريل ١٩٦١ ، صص
٧٢-٧١ .

M. J. Kister, « The Market of the Prophet », The Jour- (٥١)
nal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. VIII,
Part II (December 1965), pp. 272-276.

- « م ج ٠ كستر » ، سوق الرسول » ، مجلة التاريخ الاقتصادى
والاجتماعى للشرق ، المجلد الثامن ، الجزء الثانى (ديسمبر ١٩٦٥)
صص ٢٧٢-٢٧٦ .

- (٥٢) المرجع السابق . صص ٢٧٥-٢٧٦
- (٥٣) على بن برهان الدين الحلبي ، انسان البعون : الجزء الثاني ، ص ١١٦ ، ذكره كستر ، مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق ، المجلد الثامن ، ص ٢٧٦ .
- (٥٤) ابن هشام ، ص ٤٥٩ .
- (٥٥) المرجع نفسه ، صص ٤٩-٥٤٨ .
- (٥٦) المرجع نفسه ، ص ٥٥٠ .
- (٥٧) صحيح البخاري ، (٩ أجزاء ، القاهرة : مطابع الشعب ، بدون تاريخ) الجزء الخامس ، ص ١١٢ ، ابن هشام ، صص ٦٥٢-٥٣ ، الطبري ، الجزء الثاني ، ص ٥٥١ .
- (٥٨) (Chicago, 1957) Document 5, « Campaigns of Muhammad » p. 67.
- (شيكاغو ، ١٩٥٧) الوثيقة ٥ ، « غزوات محمد » ، ص ٦٧ .
- (٥٩) M. J. Kister, « Notes on the Papyrus Text About Muhammad's Campaign Against the B. al-Nadir », Archiv Orientalni, 32, 1964, p. 234.
- « م. ج. كستر » ، « مذكرات عن نص البردي المتعلق بغزوة محمد بنى النضير » ، ٢٢ ، ١٩٦٤ ، ص ٢٣٤ .
- (٦٠) ابن هشام ، ص ٥٤٣ . وللزرقاني رواية مماثلة عن موسى ابن عقبة فى شرح المواهب اللدنية (القاهرة ، ١٣٢٥ هـ) ، الجزء الثاني ، ص ٨١ ؛ على أن النص الوارد فى ورق البردي يماثل الحديث الذى رواه عروة بن الزبير فى دلائل النبوة لأبى نعيم الأصفهاني (حيدر آباد ، ١٣٢٠) ، ص ١٧٦ .
- (٦١) ابن هشام ، ص ٥٤٣ .
- (٦٢) الأغاني ، الجزء السادس ، ص ٣٣٦ .
- (٦٣) ابن هشام ، ص ٥٤٤ .
- (٦٤) « رودنسون » ، صص ٩٢-١٩١ .
- (٦٥) أبو داود ، الجزء الثالث ، ص ١١٦-١٧ .

- (٦٦) ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ٥٧ .
- (٦٧) ابن هشام ، ص ٦٥٣ .
- (٦٨) ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ٥٧ .
- (٦٩) ابن هشام ، ص ٦٥٤ . الطبرى جامع البيان (القاهرة ، ١٩٥٤) ، الجزء الثامن والعشرون ، صص ٢٧-٤٠ : الزمخشري ، الكشف ، الجزء الرابع ، صص ٧٩-٨٢ . البيضاوى ، الجزء الثانى ، صص ٣٣-٣٣٢ .
- (٧٠) القرآن ، سورة الحشر ، ١١ .
- (٧١) ابن هشام ، صص ٦٥٣-٥٤ .
- (٧٢) الواقدي ، الجزء الاول ، ص ٣٧٦ .

الفصل الرابع

فشل الإحزاب

« يبدو أن العناء والمشقة اللذين تقترن بهما محاولة نقد الآراء التي تساق بلهجة التأكيد وكأنها حقائق لا يتطرق إليها الشك يزعجان النفس الانسانية لدرجة تجعل الرجال والنساء على استعداد لقبول أفظع الاتهامات الموجهة الى آبائهم وأجدادهم لتلافى المهمة المضيئة التي تتمثل فى الاضطلاع بأنفسهم بتمحيص الشواهد » .

ج . كيتسون كلارك G. Kitson Clark

استقر بنو النضير ، الذين لم تخر قواهم رغم إجلالهم ولم تتضعض معنوياتهم رغم هزيمتهم ، فى خيبر بعد فترة قصيرة نسبيا . ولا بد أن زعماءهم تدارسوا الموقف بأكمله فى سلم خيبر وهدوئها . ان الدين الجديد لم يكن يهدد أهل مكة وحدهم ، بل كان يهدد اليهود كذلك . ولو ترك الأمر للمسلمين لضربوا ضربة جديدة فى الوقت الذى يختارونه .

ولم يكن باستطاعة اليهود وحدهم ولا باستطاعة أهل مكة وحدهم أن يقضوا على هذه الجماعة التى تتكون من أشخاص ان كانوا فقراء الا أنهم ملتزمون ، يدينون بولاء لا يهن لزعيم له عليهم سلطان مطلق . وقرر بنو النضير أن يبعثوا بوفد الى مكة يتكون من عشرين من كبارهم وكان فى

هذا الوفد من الشخصيات البارزة سلام بن أبي الحقيق وحيى ابن أخطب وكنانه بن أبي الحقيق . وانضم الى الوفد عدد من زعماء بنى وائل ، وهم بطن من بطون الخزرج ، كانوا على صلة وثيقة باليهود . ووصل هذا الوفد الى مكة فى صيف سنة ٦٢٦/٥ ودعا قريشا الى الانضمام اليهم فى هجوم شامل على المدينة للقضاء على الرسول ﷺ نهائيا . ورحبت قريش بدعوتهم الى قتال الرسول .

ومن مكة قصد هذا الوفد الى غطفان ووجه اليهم نفس الدعوة وأبلغهم أن قريشا قبلتها . وعرض الوفد عليهم من باب الترغيب نصف محصول خيبر من الثمر مقابل انضمامهم الى قريش (١) . وفى وقت لاحق عرض الرسول ﷺ ، الذى يبدو أنه علم بأمر هذا الاتفاق بين بنى النضير وغطفان ، على غطفان عرضا مشابها خلال غزوة الأحزاب ووعدهم بثلاث تمر المدينة إن هم رجعوا مع تابعيهم (٢) ، لكن الأنصار لم يقرؤه على ذلك . واتصل اليهود كذلك بحلفائهم بنى سعد ، وهم بطن آخر من بطون الخزرج ، كما اتصلوا ببني أسد وبني سليم الذين قبلوا بدورهم دعوتهم لقتال الرسول (٣) .

وبدأت الاستعدادات لشن هجوم مشترك على المسلمين بعد ذلك بقليل ، وبدأت قوات القبائل تتخذ طريقها الى المدينة فى أوائل فبراير ٦٢٧/٩ . ووصلت غطفان ووصل اليهو فزارة فى قوة تتكون من ٢٠٠٠ رجل و ١٠٠٠ بعير تحت قيادة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر . وأرسل بنو سليم كتيبة تتكون من ٧٠٠ مقاتل وأرسل كل من أشجع وبنو مرة (٤٠٠) مقاتل . ووصل مقاتلون من بنى سعد لا يعرف عددهم تحت قيادة طلحة بن خويلد . وسارت قريش تحت قيادة أبى سفيان بن حرب بن أمية فى قوة قوامها ٤٠٠٠ رجل و ١٥٠٠ بعير و ٣٠٠ فرس . وكانت القوة الاجمالية لجيش الأحزاب تبلغ نحو ١٠٠٠٠ مقاتل وأسندت قيادة هذا الجيش لأبى سفيان (٤) .

وحضر المسلمون خندقاً يمتد من منطقة الشيخين الى جبل بنى عبید • وضرب الرسول ﷺ ، عسكره على راس جبل سلع ، وكان جيش المسلمين يتكون من ٣٠٠٠ رجل • وردت النساء والأطفال عن الجبهة الأصلية • وكان بنو قريظة في المؤخرة التي كانت مكشوفة (انظر الخريطة في الصفحة الآتية) • ويلاحظ « واط » أن قريظة لو هجمت من الجنوب على مؤخرة المسلمين لقضت على محمد قضاء مبرما (٥) • والحاصل أنه لم تقع أية عمليات عسكرية كبرى خلال الحصار • كما أن بنى قريظة لم تتح لهم أية فرصة للقيام بهجوم • ولم يكن فى المدينة مئونة كافية وبدأ المسلمون يشعرون بالمسغبة (٦) • ونفذ الطعام كذلك فى معسكر العدو فان أبا سفيان لم يكن قد أعد العدة لحصار طويل • كان المسلمون أقل عدداً ، يتضورون من الجوع ، وكانت مؤخرتهم مكشوفة • كانوا باختصار فى موقف لا يحسدون عليه • وقد لخص القرآن الكريم حالتهم فى آيتين من قوله تعالى :

(• • واذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا • هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً) (٧) •

وأراد أبو سفيان أن يحرك الموقف فأرسل حبي بن أخطب الى بنى قريظة يدعوهم للانضمام الى الأحزاب (٨) • ووافق زعيم قريظة كعب بن أسد على ذلك بعد شئ من تردد • وبنو قريظة هم الذين كان يعنيههم القرآن بقوله :

(الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) (٩) •

وجاءت الأنباء للرسول ﷺ باتصال حبي بن أخطب ببني قريظة فأرسل سعد بن معاذ وآخرين لاستجلاء حقيقة الأمر ، وذهب هؤلاء وتحذثوا الى بنى قريظة وأكدوا ما سمعته

الرسول ﷺ . وأرسلت قريظة كشافا للاستطلاع فى المنطقة التى كانت أسر المسلمين موجودة فيها فقتلته صفية عمه الرسول ﷺ (١٠) .

لقد كانت معركة الأحزاب بالفعل حصارا كبيرا هاجمت فيه ثلاثة جيوش هى جيوش « قريش و غطفان و بنى قريظة » (١١) المدينة هجوما وصفه القرآن الكريم فى قوله تعالى :

(٠٠ اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ٠٠) (١٢)

ويذكر ابن اسحاق أن الذين جاءوا من أسفل منهم كانوا قريشا و غطفان (١٣) . وكان هذا خطأ كلفهم تكلفة باهظة . وكان للأحزاب أن تطمئن الى قدرتها على الاستيلاء على المدينة . لكن الذى حدث هو أن الحصار الذى استمر قرابة الشهر لم تحدث فيه الا عمليتان : احدهما مبارزة فردية قتل فيها على عمرو بن عبد ود بن أبى قيس (١٤) ، والثانية هى ما ذكرناه من قتل صفية لكشاف بنى قريظة .

ولم تتح لجيش من الجيوش الثلاثة المهاجمة فرصة للمقاتلة فى معركة مفتوحة . واشتد زمهرير الشتاء وعصفت الريح ووجد أبو سفيان أنه لا قبل للجيش بمواجهة الموقف فقرر رفع الحصار والانسحاب . وتبعته غطفان التى انسحبت الى منازلها . أما بنو قريظة فلم يكن بوسعهم أن يذهبوا مع من ذهب .

عندها استدار لهم المسلمون . وتحصن بنو قريظة بحصونهم وأغلقوها على أنفسهم . وتكررت قصة بنى قينقاع و بنى النضير القديمة لا لشيء الا لأن اليهود لم يتعظوا ولم يعوا الدرس رغم أنه كان درسا بسيطا : أن المسلمين اتبعوا استراتيجية جديدة وأن التحصن بالآطام لا يحمى من بداخلها من أسلوب المسلمين الجديد فى الحرب . وذهب الرسول ﷺ مع رجاله ، وحاصرهم الى أن استسلموا .

هذه ، الى حد كبير ، هي الرواية المعتمدة للواقعة كما رواها ابن اسحاق (١٥) والواقدي (١٦) وابن سعد (١٧) مع اختلافات طفيفة بينهم فى التفاصيل . وهذه هي الحقائق التى أسفرت عنها المصادر الاسلامية . وليست هناك شواهد تؤيد هذه الرواية فى المصادر اليهودية ولا فى المصادر المسيحية .

غير أن الحكم الذى صدر على بنى قريظة بعد استسلامهم ، بالصورة التى رواها ابن اسحاق وغيره من كتاب المغازى ، حكم لا يقبله عقل عاقل وهو يختلف عما ورد بهذا الشأن فى القرآن .

ولعل من المفيد ، قبل ان نحلل مختلف الروايات المتعلقة بنزاع المسلمين مع بنى قريظة ، أن ندقق النظر فى كيفية معالجة ابن اسحاق للأخبار الخاصة بهذه القبيلة فى زمن الجاهلية .

ان أول ذكر لبنى قريظة ورد فى سيرة ابن هشام هو ذلك الذى يتعلق بحبرين من هذه القبيلة أشارا على تبع (فى القرن الخامس الميلادى) بعدم تدمير يثرب لأنها « مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان ، تكون داره وقراره » (١٨) ، وهى قصة من الواضح أنها كتبت من منظور التاريخ اللاحق . والاشارة الثانية الى بنى قريظة جاءت حين أخبر الأحبار اليهود ، بما فى ذلك أحبار بنى قريظة ، مشركى قريش بعد مبعث الرسول ﷺ أن « دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وممن تبعه » (١٩) . والاشارة الثالثة تتعلق بالتحكيم الذى أحاله بنو النضير وبنو قريظة الى الرسول ﷺ وكان بنو النضير قد جروا على دفع نصف الدية المقررة بدلا من المائة وسق المعتادة من التمر الى بنى قريظة ولكن رسول الله ﷺ « جبل الدية سواء » (٢٠) .

ومن المحتمل ، استنادا الى هذه الاشارات الثلاث التي تسبق الرواية الاصلية لأحداث قضية بنى قريظة ، أن يكون ابن اسحاق قد تأثر بالآفكار التي كانت سائدة في عصره بشأن اليهود ، أى أنهم ، أو على الأقل أحبارهم ، كانوا يعرفون قبل مولد الرسول ﷺ أن نبيا سيبعث بين العرب وأن أحبارهم أخبروا مشركى قريش ، بالرغم من ذلك ، أن دينهم أفضل من دين الرسول ﷺ الذى يؤمن مثلهم باله واحد - وقد أعطى ابن هشام الرواية التالية عن الموضوع كله :

حاصر الرسول ﷺ بنى قريظة خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وأيقنوا أن الرسول ﷺ غير منصرف عنهم حتى ينجزهم . عرض عليهم كعب بن أسد فى هذه المرحلة (٢١) ثلاثة بدائل :

- ١ - تصديق محمد كنبى مرسل والنجاة بأنفسهم .
- ٢ - قتل أبنائهم ونسائهم ومحاربة محمد حتى يحكم الله بينهم وبينه .
- ٣ - « الليلة ليلة السبت فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة » .

ولم يقبل اليهود أيا من هذه المقترحات وطلبوا من الرسول ﷺ أن يبعث اليهم أبا لبابه لاستشارته فى أمرهم . ونصحهم أبو لبابه بالاستسلام ، لكنه أشار بيده الى حلقة اشارة تعنى الذبح .

ولما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ . وقالت الأوس : « يا رسول الله ، انهم موالىنا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى اخواننا بالأمس ما قد علمت » . وسألهم الرسول : « ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ » ووافقوا فعين الرسول ﷺ سعد بن معاذ (٢٢) . وطلبت الأوس من سعد أن يحسن فى مواليه (بنى قريظة) فأجاب سعد : « لقد

أني لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم » . وسمع بعض الأوس هذا القول فرجعوا الى دار بنى عبد الأشهل ونعوا لهم مصرع رجال بنى قريظة قبل أن يصل اليهم سعد لما سمعوه من قوله : وسأل سعد الأوس والرسول ﷺ عما اذا كانوا يقبلون حكمه فأجابوا بنعم .

وعندها أصدر سعد حكمه بقتل الرجال ، وتقسيم الأموال ، وسبى الذراري والنساء . ثم استنزل بنو قريظة وحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار امرأة ، وحفرت خنادق في سوق المدينة ، وسيقوا اليه أرسالا فضربت أعناقهم في تلك الخنادق . وسأل بنو قريظة وهم يساقون أرسالا كعبا عما سيصنع بهم فأجاب :

« هو القتل ، فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ » . وكانوا ست مئة أو سبع مئة ، والمكتر لهم يقول : كانوا بين الثمان مئة والتسع مئة » . وقالت عائشة التي حضرت المشهد انه لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة وكانت تجلس معها حين هتف هاتف باسمها وأخذت وضربت عنقها . وقد اعتادت عائشة أن تقول : « فوالله ما أنسى عجباً منها : طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل » (٢٣) .

هذه هي رواية ابن اسحاق فلننظر فيها الآن بالتفصيل : ان ابن اسحاق يبدأ القصة بداية قوية فيقول : « حدثني الزهري » (٢٤) .

ولكن القصة تتحدث (أولاً) (٢٥) عن ظهور جبريل للرسول ﷺ و (ثانياً) عن أمر الرسول ﷺ ألا يصلي أحد العصر الا ببني قريظة . وقد صلى بعض المسلمين العصر بعد العشاء الآخرة « فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسول الله ﷺ » . حدثني بهذا الحديث أبي اسحاق بن يسار ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري » (٢٦) . ان قول

الرأى الذى فحواه أن ما قاله معبد بن مالك الانصارى لا ينهى رواية الزهرى وأن باقى ما رواه ابن اسحاق هو ايضا باسناد الزهرى لم ينقل فحسب مقولة كعب بن أسد التى هى من نسج الخيال ، بل نقل أيضا أحداثا ينفى بعضها بعضا ، وهذا رأى يصعب قبوله لأن الزهرى مشهور بأنه من الثقات (٢٧) . وأقرب من ذلك إلى الصواب أن نعتبر أن ابن اسحاق وإن كان قد استمد بعض معلوماته من الزهرى أضاف تفاصيل ليس لها اسناد كاف ومصادره فى مثل هذه المناسبات ، كما سبق أن ذكرنا ، « لم تكن دائما شديدة الوضوح » (٢٨) .

ثم أن اسناد ما تلا المقدمة من سرد حتى صدور حكم سعد بن معاذ اسناد مشكوك فيه (٢٩) .

ان ابن اسحاق يخبرنا (ثالثا) أن الرسول ﷺ حاصر بنى قريظة خمسا وعشرين ليلة (٣٠) . لكن ابن سعد يقول أن الحصار لم يستغرق الا خمسة عشر يوما (٣١) . و (رابعا) أن اليهود حين أيقنوا أن الرسول ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم خاطبهم كعب بن أسد بهذه الكلمات :

« يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى غارض عليكم خلا لا ثلاثا ، فخذوا أيها شئتم ، قالوا : وما هى ؟ قال : (١) نتابع هذا الرجل ونصدق فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل ، وأنه للذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارق كلمة التوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم على هذه (٢) فهل فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثقلا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فان نهلك نهلك ، ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما

خير العيش بعدهم ؟ قال : فان ابيتم على هذه (٣) فان الليلة ليلة السبت ؟ وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمثونا فيها ، فأنزلوا لعننا نصيب من محمد وأصحابه غرة • قالوا : نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا الا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ ! قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما « (٣٢) •

والذى يتضح على الفور مما تقدم هو أن البديل الأول الذى عرضه كعب بن أسد إنما هو صورة لقصة ابن اسحاق المشكوك فيها المتعلقة بأخبار بنى قريظة الذين أخبروا تبعاً بمبعث الرسول ﷺ (٣٣) • والمستفاد من خطاب كعب طبقاً لصيغة ابن اسحاق أن اليهود كانوا يعرفون أن النبى ﷺ على حق وانه كان رسول الله حقاً وصدقاً (٣٤) ، ومع ذلك رفضوا ، عشية مصرعهم ، أن يقبلوه • وما فى هذا البديل الأول واجابة اليهود عليه من سذاجة تبعث على الابتسام لا يحتاج الى دليل • انهم اذا كانوا على يقين من أن محمداً كان دجالاً وأبدوا بناءً على ذلك استعدادهم للموت لكانوا أبطالا • وقد تبين لهم « انه كان نبيا وأصروا رغم ذلك على رغبتهم فى الموت فهذا يعنى أن القبيلة بأكملها قد أصابها الجنون • والبدهى هنا هو أن نبوة محمد « لم تتبين لهم » وأن ابن اسحاق وضع فى فم كعب ابن أسد ما « تبين له » هو •

والبديل الثانى انما يظهر جهل ابن اسحاق بقانون اليهود وبتاريخهم • ان المقترح فيه وهو أن يحارب رجال بنى قريظة الذين يتراوح عددهم بين ٦٠٠ و ٩٠٠ جيشاً قوامه ٣٠٠٠ مقاتل عادوا ظافرين من معركة الأحزاب •

وبالرغم من أن هذا البديل كان يبدو عملاً جنونياً من اهلاك الذات ، الا أنه كان هناك أمل طفيف فى نجاحه ، فقد كان المسلمون المنتصرون فى حالة سيئة (٣٥) • ولكن الموقف العام فى اليهودية هو أن الانتحار محرم تخريماً مشدداً ،

فقد جاء فى سفر التكوين « واطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط » (٣١) والمقصود هو تخريم الانتحار . ومحاظظة الانسان على حياته تعتبر عند اليهود مهمة بدرجة يخطر معها على اليهودى التضحية بذاته ولو كان ذلك لمراعاة الأوامر والنواهى التى تقضى بها الثوراة ، مع استثناءات ثلاثة تتعلق بالخطايا الكبرى أى القتل والزنا وعبادة الأصنام .

« والواقع أن كثيرا من علماء الدين يرون ، فيما يتعلق بالأمر الثلاثة التى يجب على اليهودى أن يضحي فى سبيلها بحياته ، أن عليه أن يعرض نفسه للقتل ولا يقتربها ، ولكن من المحظور عليه أن يعتمد ايقاع نفسه فى التهلكة » (٣٧) .

وقد وردت على هذا المبدأ استثناءات (٣٨) ولكن القاعدة العامة هى أن المرء وان كان عليه أن يحارب حتى الموت فمن المحرم عليه أن يقتل نفسه أو أن يقتل غيره . ولو أن هذه القبيلة التى كان فيها أحبار يهود استطاعت أن تحارب المسلمين كما حارب المدافعون عن قلعة « ماسادة » الرومان (سنة ٧٠ ميلادية) (★) لكبدت قوات المسلمين الجوعى خسائر فادحة ، ولكن معنويات اليهود المحاصرين كانت من السوء بحيث توقعت نصيحة كعب الانتحار لا النصر .

ان اليهود ، فى تاريخ الأضطهاد الدينى ، هم على الأرجح فئة الأقلية الوحيدة التى مارست ديانات كان على اليهود أو على أسلافهم أن يعتنقوها أنقازا لحياتهم مع بقائهم على الايمان بديانتهم فى السر . و « المرانوس » فى أسبانيا و « الشويتاس » و « جديدو الاسلام » هى بعض الغالات

(★) فى سنة ٦٦ ميلادية ثار اليهود فى فلسطين على الاحتلال الرومانى ثورة تحولت الى حرب . وأرسلت روما أربعة فيالق لقمعها ، واستولت القوات الرومانية على اورشليم سنة ٧٠ ، ونهب المعبد اليهودى وأشعلت فيه النار ، وأصبحت يهودا ولاية امبريالية لروما ، وقتل فى هذه الحرب ، طبقا للمصادر اليهودية ، مليون من اليهود ، واستبعد منهم مئات الآلاف ، وشتت الباقون . وحاصرت القوات الرومانية قلعة « ماساده » ولم تستسلم القلعة الا سنة ٧٣ .

المعروفة ليهود ظلوا على يهوديتهم سرا رغم اعتناق ديانات أخرى (٣٩) . غير أن أحدا من بنى قريظة فى رواية ابن اسحاق لم يحاول أن ينقذ حياته بقبول الاسلام . وليس هناك خطأ جوهرى فى قبول أن يكونوا قد ماتوا ميتة الشهداء، ولكن هذا يبدو تحميلا للأمور فوق ما تحتل . وقصبتهم هذه تحمل أصداء من قصة شهداء نجران . لقد أمر امبراطور بيزنطة فى سنة ٧٢٣ ميلادية يهود آسيا الصغرى باعتناق المسيحية والا تعرضوا لأشد العقاب وأطاع كثير من اليهود هذا الأمر . وكانوا « يرون أن العاصفة لن تلبث أن تهدأ وأنه سيسمح لهم بالعودة الى اليهودية » (٤٠) . وقبل ذلك ، فى سنة ٦٥٤ ، قبل يهود طليطلة اعتناق المسيحية فى ظروف مماثلة (٤١) . ولهذا فان البديل الثانى لم يكن يتفق مع شرعة اليهود ولا مع ممارساتهم وهو قبل كل شيء عار عن كل منطق .

والاجابة على البديل الثالث الذى اقترحه كعب بن أسد لا تتمشى بدورها مع القانون اليهودى . لقد قال بنو قريظة فى رفضهم للقتال عشية السبت طبقا لرواية ابن اسحاق : « نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا الا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ (٤٢) ! » وهذه الاجابة ان كشفت عن شيء فعن سطحية الطريقة التى يعالج بها علماء المسلمين مسائل اليهودية عادة ، مما أثار شكوى « مارجوليوث » الذى يقول : « ان جامعى الحديث ومفسرى القرآن يظهرون جهلا ذريعا فيما يتعلق بالدور الذى لعبه اليهود » (٤٣) .

لقد أعلنت منذ ثورة المكابيين (١٥٧ - ١٣٥ ق م) (★)

(★) هى ثورة مسلحة أعلنها اليهود على سياسة الاضطهاد والقمع التى اتبعها ملك سوريا اليونانى انتيوخوس الرابع الذى ألغى اعتراف سلفه بالامة اليهودية وحول معبد اورشليم اليهودى الى معبد لكبير الهة اليونان « زيوس » ، وسياسة محو الشخصية اليهودية واستبدال الشخصية اليونانية بها . وقد انتصرت الثورة اليهودية التى قادها ماتياس المكابى وأولاده ، واستعاد اليهود استقلالهم .

قاعدة موداها أن الحفاظ على الحياة أهم من مراعاة السبت « (٤٤) وأن من المسموح به خرق كل قوانين السبت أو حتى يوم الكفارة من أجل الواجب المقدس ، واجب الحفاظ على الحياة (٤٥) .

والإشارة الى المسنخ (كقردة) تنطوى ، كما هو واضح ، على خطأ زمنى تأثر فيه ابن اسحاق بأقوال مفسرى القرآن فى عصره ، فقد استخدمت كلمة « القردة » فى القرآن استخداما مجازيا يفيد أنهم أصبحوا رجالا مذمومين . مستذلين (٤٦) . وليس فى الكتابات اليهودية أية إشارة الى مسنخ اليهود قردة لأنهم لم يحترموا قداسة يوم السبت . ومجاهد بن جبر (المتوفى سنة ١٠٢ / ٧٢٠) ، الذى يعتبر واحدا من أهم مفسرى القرآن ، وكان تابعا ، لا يعتقد فى مسنخ اليهود بدنيا الى قردة (٤٧) .

ومن المعقول أن نعتبر أن خطاب كعب الى بنى قريظة عشية استسلامهم خطاب صنعه الخيال أساسا أو حرفته الروايات اللاحقة . وقد أعطانا الواقدي صيغة أطول أدخلت عليها تحسينات (٤٨) . ويبدو أن ابن سعد أدرك استحالة مثل هذا الخطاب فأسقط الواقعة برمتها من روايته .

(خامسا) بعد هذا الحوار الخيالى بين كعب بن أسد وبنى قريظة طلب هؤلاء من الرسول ﷺ أن يبعث اليهم أبا لبابة بن عبد المنذر لاستشارته . وسأل بنو قريظة أبا لبابة ، فى رواية ابن اسحاق ، لدى وصوله عما إذا كان على اليهود ان ينزلوا على حكم الرسول ﷺ فقال : نعم ، وأشار بيده الى حلقه بما يعنى الذبح . وقال أبو لبابة : « فوالله ، مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد جئت الله ورسوله ﷺ » (٤٩) . وينقل ابن هشام (لا ابن اسحاق) آيتين من القرآن عن زلة لسان أبى لبابة (٥٠) . والاستشهاد بهاتين الآيتين استشهاد فى غير محله . فالآية الأولى التى تقول :

(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا
أيمانكم وأنتم تعلمون) (٥١) •

لم تنزل في زمن غزوة الأحزاب بل نزلت بعد غزوة بدر
(٦٢٤/٢) (٥٢) ، والآية الثانية التي تقول :

(وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) (٥٣) •

تتعلق فيما يقول ابن هشام بتوبة الله على أبي لبابة
وواقع الأمر أن هذه الآية نزلت بعد غزوة تبوك (٦٣٠/٩)
وهي تشير الى المؤمنين صادقى الايمان الذين تخلفوا دون
الله (٥٤) •

(سادسا) يقول ابن اسحاق انه في صبيحة اليوم الذى
نزل فيه بنو قريظة على حكم الرسول ﷺ توافقت الأوس
وقالوا : « يارسول الله ، انهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت
فى موالى اخواننا بالأمس ما قد علمت » • فلما كلمته الأوس
بهذه الكلمات قال رسول الله ﷺ : « ألا ترضون يا معشر
الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ » وحين وافقوا قال الرسول
ﷺ : فذاك الى سعد بن معاذ » (٥٥) •

والواقدي (٥٦) وابن سعد (٥٧) يتحدثان أيضا عن
نزول بنى قريظة على حكم الرسول ﷺ وعن تعيين سعد
حكما ، غير ان ابن سعد يذكر رواية أخرى تقول انهم نزلوا
على حكم سعد (٥٨) •

ويغضى البخارى (٥٩) ومسلم (٦٠) روايتين
متعارضتين ، فأحدهما يقول أن بنى قريظة نزلوا على حكم
سعد ، بينما يقول الآخر انهم نزلوا على حكم الرسول ﷺ
وان الرسول رد الحكم فيهم الى سعد •

(سابعا) حين عين الرسول ﷺ سعدا كحكم آتاه قومه
وقالوا : « أحسن فى مواليك ، فان رسول الله ﷺ انما ولاءك

ذلك لتحسن فيهم » • فلما اكتروا عليه قال : « لقد أنى لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم » • وحين سمع بعض الأوس هذا الكلام الواضح ذهبوا الى دار بنى عبد الأشهل (بطن الأوس التي ينتمى اليها سعد) وأعلنوا لهم موت بنى قريظة (٦١) ورواية الواقدي في هذا الشأن شبيهة برواية ابن اسحاق (٦٢) • وقد أسقط ابن سعد قصة شفاعاة الأوس عن بنى قريظة اسقاطا تاما ، غير أنه أشار الى دعاء سعد الى الله بالألا يميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة (٦٣) •

(ثامنا) وبعد هذا الاعلان غن مصرع بنى قريظة الوشيك لبني عبد الأشهل ودعاء سعد بأن يشفى صدره من بنى قريظة ، وصل الحكم الى المكان وسأل الأنصار ، على ما يقول ابن اسحاق ، « عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم فيها لما حكمت ؟ » فقالوا : « نعم » • قال : « وعلى من ها هنا ؟ » ونظر في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ اجلالا له ، فقال رسول الله ﷺ : « نعم » (٦٤) • والواقدي (٦٥) يروى رواية مماثلة ولكن ابن سعد يسقطها •

(تاسعا) حكم سعد بأن « تقتل الرجال (٦٦) وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء » (٦٧) •

(عاشرا) بعد أن صدر الحكم ، يقول ابن اسحاق ان عاصم بن عمر بن قتادة حدثه أن رسول الله ﷺ قال لسعد : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » (★) (٦٨) •

(أحد عشر) خرج رسول الله ﷺ الى سوق المدينة فخذق بها خنادق ثم بعث اليهم ، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، وكان عددهم بين ٦٠٠ و ٩٠٠ (٦٩) •

(★) الارقعة : السماوات ، الواحدة رقيع - (المترجم) •

ان التناقض الداخلى فى الرواية السابقة تناقض لا يمكن توفيقه . وملخص رواية ابن اسحاق هو أن الرسول ﷺ كان قد اتخذ من قبل قرارا بشأن بنى قريظة . وأن ابا لبابة كان على علم بهذا القرار وأنه لكونه كشف عنه فرض على نفسه عقوبة . وأن سعد بن معاذ تمنى أن يعيش حتى ينتقم من خيانة بنى قريظة ؛ وأنه حين اتصلت به الأوس قال انه لن تأخذه فى الله لومة لائم . وأنه كذلك هو نفسه الذى ذهب الى بنى قريظة قبل غزوة الأحزاب ، وحين أخبره اليهود أنه لا عهد بينهم وبين محمد ولا عقد « شاتمهم وشاتموه ، وكان رجلا فيه حدة ، فقال له سعد بن عباد : دع عنك مشاتمهم ، فما بيننا وبينهم أربى (★) من المشاتمة » (٧٠) . والحديث الذى رواه أبو سعيد الخدرى ، والذي أورده البخارى ومسلم حديث من الصعب جدا قبوله ، وهو يعنى أن بنى قريظة استسلموا بشرط أن يعين الرجل الذى شاتمهم مؤخرا وكان يدعو الله للانتقام منهم كحكم ، أى أنهم بعبارة أخرى كانوا يدعونه للحكم عليهم بالاعدام . ومن الملاحظ أن أول من روى هذا الحديث هو أبو سعيد الخدرى وأبو أمامة وكانا من الأنصار وأكثر ما يهمهما هو الاشادة بمنزلة سعد .

وهذا الحديث حديث شاذ واجمالى . وعبثا حاول ابن حجر أن يوفق بين تناقضه الظاهر وما قالته عائشة بذكر رواية ابن اسحاق (٧١) . وحين وصل سعد ليحكم فى شأن بنى قريظة كانت الأنبياء عن اعتزاه الحكم عليهم بالاعدام قد وصلت الى دار بنى عبد الأشهل . ومع ذلك فانه يسير فى الاجراءات ويسأل الأوس عما اذا كانوا يقبلون حكمه .

والذى حدث هو أن هؤلاء القوم ذاتهم ، الذين سألوه أن يحسن الى بنى قريظة ، قالوا : نعم . ولم يتهموه

(★) اربى . أعظم - (المترجم) .

بالظلم وبأنه لا يصلح كقاض محايد • وهو بعد ذلك يوجه السؤال نفسه الى الرسول ﷺ والرسول ، الذى كانت نيته معروفة لأبى لبابة الذى كشف عنها بدوره لبنى قريظة ، يقول نعم ، ان ما رواه ابن اسحاق لو كان صحيحا لتعين على المرء أن يستنتج أن حكم سعد كان معدا من قبل ، نعوذ بالله من ذلك • وكان « كائتانى » محقا حين تشكك فى كل الرواية المتعلقة باختيار بنى قريظة لسعد كحكم (٧٢) • والشواهد فى هذه القصة متناقضة بعضها ينفى البعض الآخر •

وليس مما يدخل فى مهمة المؤرخ أن يبدي رأيا بشأن قول محمد انه نبي مرسل • ولكن ايمان الأوس وسعد بن معاذ بنبوته حقيقة تاريخية ثابتة • والأوس ، فى رواية ابن اسحاق ، وكذلك جميع مسلمى المدينة الذين يدعى أنهم رأوا أبا لبابة مرتبطا فى المسجد الى عمود من عمدته لأنه « خان الله ورسوله » (٧٣) وسمعوا سعدا يدعو الله للانتقام • شاهدوا هذه «العدالة الصورية» (★) ، ومع ذلك لا يبدو من رواية ابن اسحاق أن أحدا منهم داخله شك فى أمرها •

ان الرواية التى رواها ابن اسحاق دون جملة التحفظية المعتادة مثل « زعم » أو « ذكر لى » أو ملاحظاته الختامية مثل « والله تعالى أعلم » شئ أقل ما يقال فيه أنه غير معتاد وهو لا يتفق مع معايير الحرص والاحتياط التى أخذ بها نفسه •

والواقعة المتعلقة بالعقوبة التى وقعها أبو لبابة على نفسه لا تناسب السياق كما رأينا ومن الواجب رفضها • ويقول « واط » بحق : « ان القصة كما بلغتنا لا بد أن يكون قد حدث فيها تلاعب » (٧٤) • واختيار بنى قريظة لسعد كحكم شئ يأباه العقل • ان سعدا لم يكن عبد الله بن أبى ، وليست هناك جاذبة واحدة فى حياته يتضح منها أن بنى

(★) نعوذ بالله من ذلك •

قريظة كان يمكن أن يعتمدوا عليه بالصورة التي كان بنو قينقاع يعتمدون بها على عبد الله بن أبي ، فضلا على أن ولائه للرسول ﷺ ولقضية الاسلام كان لا يرقى اليه شك . ومقولة ابن اسحاق بأن الرسول ﷺ عين سعدا حاكم لا يؤيدها الواقدي وحده بل يؤيدها ابن سعد كذلك ، وهي مقولة لها ، قبل كل شيء ، حجية حديث البخاري الثاني وهو حديث مرفوع أخبرت به عائشة التي كانت شاهدة عيان للعملية كلها . ويبدو أنه أكثر اتفاقا مع ما ألف عن الرسول ﷺ . ونظرا الى عدم وجود قانون وضعى فى الفترة الأولى من اقامة الرسول ﷺ فى المدينة فقد اتبع صلوات الله عليه سياسة معاقبة المجرم بوساطة أقاربه وكانت هذه السياسة تستند الى مبدأين سليمين ، فهى تسمح أولا بتفادى حروب الثأر بين القبائل ، وهى تبين ثانيا أن الاسلام أهدر جميع الوشائج القبلية .

لقد كان سلكان بن سلامة بن وقش الذى تأمر مع محمد ابن مسلمة فى قتل كعب بن الأشرف آخا بالرضاعة لكعب (٧٥) . وقد قتلت عصماء بنت مروان التى كانت تحت رجل من بنى خطمة بيد عمير بن عدى الخطمى (٧٦) ، كما كان الذى قتل أبا عفك ، أحد بنى عمرو بن عوف ثم من بنى عبدة ، هو سالم بن عمير أخو بنى عمرو بن عوف (٧٧) . قتل هؤلاء الثلاثة بيد أقاربهم بموافقة الرسول ﷺ لأنهم حاولوا احداث الوقيعة بين المسلمين والمشركين واذكاء الكراهية ضد الرسول ﷺ . وكان من الطبيعى ، والأمر كذلك ، اذا أريد محاكمة بنى قريظة ، أن يتولى محاكمتهم رجل من الأوس .

وقد أسقط ابن سعد بحذره المعتاد ما رواه ابن اسحاق والواقدي عن قول سعد : «لقد أنى لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم» كما أسقط طلب سعد الشكلى لعهد وميثاق من الأوس ومن الرسول ﷺ لقبوله حكمه ، وقصة شفاعة الأوس

لدى سعد عن بنى قريظته * وناهر ان هذه الامور تحسينات
أضيفت لرواية راو ولكن هذه التحسينات بزعت من هذه
الرواية صفتها كرواية تاريخية يعتد بها *

ماذا اذن عن الحدم الحقيقى ؟ يقول ابن اسحاق ان سعدا
قال : « فانى احكم فيهم ان تقتل الرجال » (٧٨) * وفى
رواية أخرى يقول ابن اسحاق : « كان رسول الله ﷺ قد امر
أن يقتل من بنى قريظة كل من أنبت منهم » (٧٩) * واسناد
هذه الرواية هو عطية القرظى الذى كان غلاما فى وقت
استسلام بنى قريظة * وكلا هذين الخبرين مشكوك فى
مصدره * وكلمات الواقدى فى هذا الصدد هى : « فانى أحكم
فيهم أن يقتل من جرت عليه موسى » (٨٠) أما ابن سعد فقد
روى القصة بصيغتين اتبع فى احدهما ما ذكره الواقدى (٨١)
وقال فى الأخرى : « فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم » (٨٢) *
وقد روى البخارى روايتين عن الحادث قيل فى كليهما ان
سعد بن معاذ استخدم كلمة « المقاتل » (٨٣) (لا كلمة من
« أنبت ») * وهو يقول فى الرواية الأولى :

« تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم » (٨٤) *

أما فى الرواية الثانية فهو يقول :

« أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية » (٨٥) *

كذلك وردت روايتان فى صحيح مسلم استخدمت فيهما
نفس كلمة « مقاتل » التى استخدمها البخارى (٨٦) *

ان رواية ابن اسحاق الثانية التى تتحدث عن قتل كل من
أنبت رواية يتعين رفضها أولا * فهناك اتفاق عام على أن
الرسول ﷺ لم يصدر أى أمر فى قضية بنى قريظة * والأمر
بقتل كل الرجال لا يتفق مع الأحاديث التى أوردها البخارى
ومسلم ولا مع رواية ابن سعد الثانية * ورواية الواقدى وان
كانت أزهى ألوانا الا أنها غير صحيحة * ولأن الشيوخ
لا يجوز قتلهم (٨٧) كان القتل قابرا على المقاتلين *

ان ابن اسحاق يقول ان ما بين ٦٠٠ و ٩٠٠ رجل من بنى قريظة ضربت أعناقهم • وليس من المعروف كم كان عدد مقاتلى بنى قريظة جميعا • ولو افترضنا أن كل أسرة فى هذه القبيلة كانت تتكون من ستة أشخاص - وهذا متوسط منخفض - لكان عدد من استسلموا من الرجال والنساء والأطفال يتراوح بين ٣٦٠٠ و ٥٤٠٠ • ويقول ابن اسحق انهم قد حبسوا جميعا فى دار بنت الحارث وهى امرأة من بنى النجار وانهم قيدوا بالحبال • ان حبس أربعة الى خمسة آلاف شخص عملية تثير مشكلات كثيرة حتى اذا كان ذلك فى مدينة كبيرة فى زمننا هذا ، زمن الجريمة والشرطة والسجون • واذا صدقنا ما يقوله ابن اسحاق فلا بد أن يشرب كانت مدينة على مستوى عال من التنظيم يمكن فيها اتخاذ ترتيبات لحبس هذا العدد الضخم من السجناء • كم من الحبال استخدم فى تقييدهم؟ وفى أية جهة كانت تقع دار بنت الحارث؟ وهل قدم طعام للسجناء؟ وأى ترتيبات صحية اتخذت لكل هذا العدد من الناس فى بلدة ليس فيها مراحيض وكان الناس فيها ، بما فيهم النساء ، يخرجون فى ظلام الليل لقضاء الحاجة؟ (٨٨) ولم يحاول أحد من هؤلاء المساجين الهرب • ويبدو أن المسلمين لم يلقوا أية صعوبة فى حبس هؤلاء المساجين الوديعين • ثم يعود ابن اسحاق فيقول دون اسناد واضح : « ثم خرج رسول الله ﷺ الى سوق المدينة • • • فنخندق بها خنادق » (٨٩) •

استخدم ابن اسحاق كلمات «فنخندق بها خنادق» (٩٠) • ولكن الواقدي أسقط هذه الكلمات واستخدم بدلا منها عبارة « فأمر بخدود » (٩١) • وإطلاق كلمة « خدود » على الخنادق شئ يحمل على الشك فى طبيعتها (٩٢) ، لكن الواقدي ، كما هو واضح ، استخدمها لأن بعض مفسرى القرآن الكلاسيكيين يعتبرون أن « أصحاب الأخدود » (٩٣) كانوا نصارى نجران الذين أعمل الملك اليهودي ذو نواس فيهم القتل • وأغلب

الظن أن الواقدي كان على علم بدور يهود يثرب في حفز يوسف ذى نواس على قتال نجران (٩٤) .

وكان على والزيبر هما منفذى حكم الاعداء ، وقد أحضر السجناء « رسلا رسلا » أى فى مجموعات (٩٥) . ويقول ابن اسحاق : « وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى رسول الله ﷺ أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال : آفى كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعى لا ينزع ، وانه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! » (٩٦) .

هؤلاء هم الأشخاص الذين نزلوا على حكم سعد الذى حكم على جميع الرجال البالغين بالقتل . ويبدو من رواية ابن اسحاق أنهم لم يكونوا يعرفون شيئا عن هذا الحكم . وأما المرأة التى كانت تجلس مع عائشة « ورسول الله ﷺ يقتل رجالها » وكانت تضحك ظهرا وبطنا فكانت تعرف أنها ستقتل . وحين نودى فجأة على اسمها صاحت عائشة : « ويلك ، مالك ! » فأجابت : « أقتل » . ويستطرد ابن اسحاق قائلا : « وكانت عائشة تقول : « فوالله ما أنسى عجبها منها : طيب نفسها ، وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل » (٩٧) .

ومات حى بن أخطب ميتة الشجعان ورفض الزيبر بن باطا القرظى أن يستفيد من العفو الذى صدر له ولذويه . ان الأشخاص الذين جعلهم جبنهم يرفضون أن يقاتلوا يوم السبت ، والذين طارت أنفسهم شعاعا بالرغم من شعورهم بالأمن فى حصونهم هم هم الأشخاص الذين واجهوا الموت بشجاعة الأبطال . ولم يتخاذل واحد من الرجال التسعمائة ولا قبل الاسلام حتى فى ساعة الموت !

والمشاهد أن كل الملامح المألوفة فى قصص المذابح الدينية قد اجتمعت فى هذه القصة ولو أن الذى يحكى تفاصيلها هم فريق مرتكبى المذبحة .

١ - لقد كان عدد الضحايا فيها أقل كثيرا من عدد خصومهم (نجران ومسادة) .

- ٢ - وهم قد خسروا الحرب نتيجة لخيانة .
- ٣ - وهناك أشخاص يبرزون كأبطال (حبي بن أخطب والزبير بن باطا) .
- ٤ - وليس هناك من تغاذل ولا أشخاص دخلوا الدين الجديد مضطرين .
- ٥ - ولم يبق من الضحايا الا قلة ليحكوا تفاصيل ما ارتكب من فظائع .
- وقصتنا ، مثل معظم قصص المذابح ، لا تسجل ما وقع كما وقع .

ان الجزء الأول من رواية ابن اسحاق يعطينا صورة لقوم ارتعدت فرائصهم يحاولون تفادى القتال بأى ثمن . أما الجزء الثانى منها فيرسم لنا صورة لأبطال ارتضوا ملاقات الموت من أجل دينهم . ثم هذا حبي بن أخطب يقول للرسول ﷺ وهو يمشى وعليه حلة موشاة شقها عليه من كل ناحية لئلا يأخذها أحد كفنيمة : « أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يخذل » .

والتضارب فى رواية ابن اسحاق لا يقف عند هذا الحد . لقد كان بنو قريظة يعيشون على مسافة تبعد ست أو سبع ساعات على الأقدام من المدينة (٩٨) . وقد استنزلوا بعد استسلامهم الى المدينة وحبسوا فى بيت من البيوت . وفى اليوم التالى حفرت خنادق فى السوق لدفن من ينفذ فيهم حكم الاعدام . ومن المستغرب على قائد حربى له ما للرسول ﷺ من خبرة ذكية بالاستراتيجية والخدمات (اللوجستية) ، ان يحضر قرابة خمسة آلاف أسير منهم تسعمائة لاعدامهم - طوال المسافة من مساكنهم الى المدينة وأن يدفن من نفذ فيهم حكم الاعدام فى قلب المدينة . لقد كان أفضل من ذلك بكثير وأكثر فاعلية وكفالة للأمن أن يتخلص منهم خارج حصونهم ، وألا تستنزل الى المدينة سوى النساء والذرارى ، وبهذا كان

يمكن حل مشكلة الأمن الذى يهدده وجود السجناء والحالة الصحية التى يخلقها وجودهم فى المدينة . وإذا لم يكن هناك بد من احضار الأسرى الى المدينة سيرا على الأقدام فقد كان هناك خندق جاهز لدفن الموتى تم حفره خارج المدينة قبلها بأقل من شهر ، ولم يكن هذا الخندق بعيدا .

ونظروا الى أن الأسرى كان منهم النساء والأطفال والمسنون والمرضى فالمفروض أن سرعتهم فى السير الى المدينة كانت أبطأ بكثير من السرعة العادية وأن مسيرتهم استغرقت عشر ساعات الى احدى عشرة ساعة . ولم يحدث أى حادث يستحق أن يروى خلال هذه المسيرة الطويلة ولا خلال أسرهم فى دار بنت الحارث . ولم يحاول أحد منهم أن يهرب باستثناء عمرو بن سعدى القرظى ولم يقبل أحد الاسلام انقاذاً لحياته باستثناء رفاعة بن سموأل القرظى . كان الجمع اذن جمعا وديعا ولكنه كان شجاعا فى الوقت ذاته ، وان صحت هذه القصة فان الشهداء الذين سقطوا تحت « بار كشبة » (سنة ١٣٢ م) أمام عدو يفوقهم عددا بكثير لم يكونوا شيئا اذا قورنوا بشهداء بنى قريظة .

ويبدو أن التصرف فى جثث القتلى البالغ عددها (٩٠٠) جثة لم يثر أية مشكلات وأن الخنادق التى حفرت بعناية امتلأت فى نفس الليلة .

ويبدو أن المسلمين الذين شهدوا مصارع القوم كانوا مجردين من كل شعور . ولا بد أنها كانت تجربة مدمرة للكثيرين وحدثا لا ينسى حتى بالنسبة لمن كانوا يعتبرون أن ما وقع كان له تماما ما يبرره . ولا بد أن أحداثا يتمزق لها نياط القلب قد حدثت خلال اليوم . ولا بد أن بعض من صدر عليهم حكم الاعدام قد حاولوا المقاومة وأطلقوا سيقانهم للريح ، وأن آخرين قد صدرت منهم كلمات حسرة وتوبة . ولا بد أنه كان هناك كثيرون لم يقتلوا من الضربة الأولى أو ماتوا من الرعب حتى قبل أن ينزل على رقابهم سيف الجلاء .

ولا بد أن أسيافا انتلمت أو انحسرت من ضرب الرقاب •
ولا بد أن عليا والزبير اللذين قاما بوظيفة الجلاد واجها
مشكلات عديدة وشهدا جوانب عديدة للطبيعة الانسانية فى
ذلك اليوم • ولكن لا على ولا الزبير ولا أى شخص فى الواقع
ذكر شيئاً عن مشاعره ازاء عملية القتل هذه فى أى وقت من
الأوقات •

ان التمحيص التفصيلي يثبت ان قصة هذه المذبحة بأكملها
قصة لا تقف على قدميها • وكما لاحظ ابن خلدون «فالفانون
فى تمييز الحق من الباطل فى الاخبار بالامكان
والاستحالة» (٩٩) • وقد سبق أن ذكرنا أن المدينة فى زمن
الرسول ﷺ لم يكن فيها مكان يسع أربعة الى خمسة آلاف
شخص ، وانها لم تكن مزودة بوسائل تسمح بتنفيذ حكم
الاعدام فى (٦٠٠) أو (٩٠٠) شخص فى يوم واحد • وقد
أثار قتل مثل هذا العدد الكبير من الناس والتصرف فى جثثهم
مشاكل حتى فى ألمانيا النازية التى كانت مادة « سيانيد
الهيدروجين » تستخدم فيها كعقار قاتل فعال (١٠٠) •
والمذبحة التى تتم فى قلب مدينة مأهولة تختلف كثيرا عن
تلك التى تتم فى مدينة عاث فيها فسادا جيش غاز يسير من
مدينة الى مدينة مخلفا وراءه جثثا تجعلها غير قابلة للسكنى •

ويكاد يكون من المستحيل فى مثل هذه الظروف أن ينجو
أهل المدينة من التيفود أو التيفوس ، وكلاهما مرض وبائى
متوطن ، ومن الانفلونزا والاسهال وكذلك ، وقبل كل شئ ،
من الكوليرا • وفيما يتعلق بجثث الموتى فان عدوى الامراض
تنقلها الحيوانات والطيور التى تنهش بقايا الجثث ، لكن
حتى اذا لم يكن هناك سوى الذباب ومع افتراض أن جميع
الأشخاص الذين ألقيت جثثهم فى الخندق كانوا اصحاء فان
انتشار الجراثيم ، لا سيما الجراثيم البكتيرية بعد الموت ،
كان يشكل خطرا على الصحة فان الأصحاء قد يكونون حملة
لأمراض خطيرة مثل الالتهاب السحائى •

لقد لاحظ « واط » بصدده مناقشة عملية القتل الجماعي لبنى قريظة ، تحت عنوان « القصور الأخلاقي المزعوم » الذى ينسب للرسول ﷺ :

« قد يبدو هذا شيئا يتعذر على الشخص الأوروبي تصديقه ، ولكن هذا فى حد ذاته يوضح البون الشاسع فى الأخلاقيات بين الجزيرة العربية فى العصور القديمة وبيننا » (١٠١) .

بيد أن أثر مثل هذا القتل الجماعي على المشاهدين وعلى الجلادين لا يتعلق بالقيم الأخلاقية قديمة كانت أو حديثة . والضمير الانسانى ، كما هو معروف لدارسى علم النفس ، قد لا تكون له أية صلة بالشعور بالواجب أو بالالتزامات السياسية والدينية . ان الجلادين وحفارى القبور ومتعهدي الجنازات يتعاملون مع الموت فى المجرى العادى لحياتهم ويعتبرون أن مهنتهم مهنة شريفة وأخلاقية ، ومع ذلك فان معاشيتهم المستمرة للموت تخلق عندهم معاناة ورعبا يسمى « بذنب الدماء » (١٠٢) . وليس فى مقدور أحد كائنا من كان أن يخرج من مذبحة أزهرت فيها أرواح ٦٠٠ الى ٩٠٠ شخص بأعصاب هادئة فى يوم واحد دون أن تهتز شخصيته . وما كان يمكن لارث مذبحة لقي فيها كل هذا العدد مصرعهم أن يترك عليا أو الزبير يعيشون فى سلام . ورغم أن حياة الزبير ليست معروفة لنا بالكامل ، الا أننا نعلم الكثير عن حياة خليفة الاسلام الرابع ، وليس فى خطب على كرم الله وجهه ولا فى رسائله وأحاديثه السياسية وحكمه التى جمعت فى « نهج البلاغة » ما يستشف منه أنه مر بتجربة كتجربة القتل الجماعي المزعوم . ولا يمكن ، كما يقول «ل . فيشيا فالرى» تجاهل تحرج على كرم الله وجهه من المعاملة بالمثل ، بين أوجه شخصيته الأخرى ، لفهم سيكولوجيته (١٠٣) . لقد حاول على بعد انتصاره فى معركة الجمل أن يخفف من شعور المهزومين بمرارة الهزيمة ، فمتع سبى نسائهم وذرائعهم

بالرغم من معارضة بعض اتباعه * وكان ، بعد أن تنتهى المبارك ، يظهر حزنه ويبكى الموتى ، بل ويصلى على أعدائه (١٠٤) * كان على جنديا شجاعا ولكنه لم يكن جلادا متحجر القلب * وكان رفيقه فى تنفيذ حكم الاعدام ، الزبير ابن العوام ، بدوره ، رجلاً مشهودا له بالشهامة وقد اشترك فى جميع المعارك والغزوات الكبرى فى حياة الرسول ﷺ * ومجرد التفكير فى ألا يكون قد ظهر على من يدعى أنهما نفذوا هذه المذبحة المزعومة ، قبل الحدث أو بعده ، عرض من أعراض الشخصية التى فقدت انسانيته أمر غير مقبول من وجهة النظر السيكلوجية *

ان كاتب التاريخ لابد أن يحسن العدد (١٠٥) * وابن اسحاق والواقدي وابن سعد لم يكونوا قادرين على العبد فحسب ، بل كانوا حريصين ، كلما كان ذلك ممكنا ، على مراجعة معلوماتهم * ولكنهم كانوا يكتبون بعد زهاء قرنين من الحدث ولم تكن تحت يدهم وسيلة تسمح بالتأكد من عدد من نفذ فيهم حكم الاعدام * والعدد الذى ذكره ابن اسحاق أى ما بين (٦٠٠) و (٩٠٠) عدد مهول بلا كسور *

ولم تكن هناك فى ذلك الوقت طريقة لاحصاء أفراد القبائل ، ولم تستخدم لهذا الغرض شواهد غير مباشرة مثل أرقام الضرائب أى الخراج والجزية وسجل من كانت تدفع لهم معاشات من صحابة رسول الله ﷺ إلا فى عهد عمر *

وقد لاحظت « ناييه أبوت » (١٠٦) بصدده مناقشة عدد شهداء المسلمين فى بئر معونة (٦٢٥/٤) أن ابن اسحاق قدر عدد الأشخاص الذين أرسلهم الرسول ﷺ الى بئر معونة بأربعين (١٠٧) * لكن ابن حنبل (١٠٨) والبخارى (١٠٩) قدرا هذا العدد بسبعين وهو العدد المقبول حاليا * غير أن ابن حبيب (١١٠) يقول ان من أرسلوا كانوا ثلاثين *

وحيث ان أفراد الجماعة كلهم قتلوا ولم يبق منهم على قيد الحياة سوى صحابى واحد فان عدد من قتلوا من الصحابة

فى بشر معونة ، وفقا لابن حنبل والبخارى ، تسعة وستين •
على أن الواقدى لم يذكر الا ستة عشر •

ولم يعط ابن سعد أية قائمة بالأسماء ولكن حساب جميع
العناصر التى وردت فى كتابه ، توصلنا الى عدد من القتلى
لا يجاوز العشرين • أى أن هناك فرقا بين التقديرات يبلغ
٤٩ • وحتى اذا أخذنا فى الاعتبار الرقم المحافظ الذى ذكره
ابن اسحاق فهناك مبالغة قدرها خمسون فى المائة •

وقد توصل « كستر » ، الذى جمع كل ما هو موجود من
روايات عن الحادث وحلله الى نتيجة مؤداها أن الرسول ﷺ
قد أرسل مجموعة تتكون من أربعة عشر من أصحابه وأن
أربعة رجال آخرين انضموا اليها فيما بعد (١١١) •

ويجد المرء نفس هذا الميل الى المبالغة بصدده اضطهاد
اليهود لنصارى نجران الذين يحتمل أنهم عوقبوا على
ما يدعى من خيانتهم خلال الغزو الحبشى الأول لمملكة اليمن
اليهودية (١١٢) • لقد كان عدد الشهداء النصارى وفقا
« لسيميون من بيت أرشم » الذى بلغه النبأ من « أولئك
الذين أتوا من نجران » يبلغ ألفين (١١٣) • ويرى « بيل »
أن عدد القتلى لو قدر بمائتين ، وهو « تقدير معتدل » ،
لكان ذلك أقرب الى الصحة (١١٤) • ويعتبر « بارون » من
المحتمل أن ما حدث فى نجران كان اضطهادا محليا صغيرا
بولغ فى وصفه (١١٥) • ويقول « جراتز » ان ضخامة
العنصر الأسطورى فى القصة كلها تجعل من المستحيل
اكتشاف أية حقيقة تاريخية بشأنها (١١٦) • وتقول
« ناييه أبوت » : « لعل الاجابة البسيطة هى رفض القصة
باعتبارها مثالا آخر للظاهرة المعروفة التى تجعل الأعداد التى
يتناقلها الناس جيلا بعد جيل تتجه الى الزيادة وتتضاعف
بمرور الوقت » (١١٧) •

ومن الأمور ذات الدلالة أنه لا البخارى ولا مسلم روى
أى حديث عن تنفيذ حكم سعد بصفة فعلية • ولأنهما لم

ينقلنا خبرا عن كيفية هذا التنقيذ فانهما لم يذكرنا شيئا عن عدد من قتلوا أو أسروا *

ورواية ابن اسحاق التي تقول ان سبايا بنى قريظة من النساء والذرارى أرسلوا الى نجد لكي يبتاع بهم خيل وسلاح رواية تجافى العرف الذى كان متبعا (١١٨) * لقد كان اليهود يشترون دائما سباياهم من العرب بعد كل اشتباك مسلح (١١٩) * وكان يهود خيبر ، ويهود بنى النضير ، ووادى القرى ، وتيماء ، بل يهود المدينة ذاتها قادرين على شراء هذه السبايا ، وقد شروهم بالفعل كما يقول الواقدي (١٢٠) * والمسلمون ، اذا كان المال يهمهم على الاطلاق ، فانما كان يهمهم لشراء الخيل والسلاح * ولم يكن هناك فرق عندهم بين بيع السبايا فى نجد أو فى خيبر ، بل ان يبيعهم فى الحجاز كان أيسر عليهم كثيرا من الرحيل بمثل هذا العدد الكبير من السبايا الى نجد *

وأخيرا يقول ابن اسحاق ان الرسول ﷺ قسم أموال بنى قريظة بين المسلمين « وأعلم فى ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم : للفارس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل - من ليس له فارس - سهم * * وكان أول فىء وقعت فيه السهمان ، وأخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ وقعت المقاسم ، ومضت السنة فى المغازى » (١٢١) * وبالنظر الى الخلاف الكبير الذى ثار (فى عصر لاحق) بشأن حصة الفارس فى الغنائم فلرواية ابن اسحاق هنا أهمية كبرى لأنها تقرر سابقتين بشأن غنائم الحرب : حصة الفارس واجراء القرعة (السهمان) على الغنيمة ، أو اخراج الخمس * وأبو حنيفة يعطى حصة للفارس وحصة للفارس *

أما الأوزاعى (المتوفى سنة ١٥٧/٧٧٤) فيعطى حصة للفارس وحصتين للفارس * وقد بحث الامام الشافعى (١٥٠/٧٦٧ - ٢٠٤/٨٢٠) هذا الموضوع وذكر أكثر من

اسناد بشأنه دون ان يفسر ، به اشارة الى رواية ابن اسحاق (١٢٢) . كذلك فان أبا يوسف (١٢٣) (المتوفى سنة ١٨٢/٧٩٨) ، وهو أحد مؤسسي مذهب الحنفية ، لا يذكر بدوره فى مصنفه « كتاب الخراج » المشهور عن المالية العامة والضرائب وما يتصل بها من مسائل ، حصة الفارس التى يقول ابن اسحاق انها حددت بعد هزيمة بنى قريظة .

أما فيما يتعلق بالخمس فأبو يوسف يقطع بأنه لم يخرج من أموال بنى قريظة (١٢٤) كذلك فان يحيى بن آدم (١٢٥) ، حين كتب مصنفه « كتاب الخراج » بعد قرابة عشرين سنة من كتاب أبى يوسف ، لا يذكر بخصوص الموضوع نفسه شيئا على الاطلاق عن بنى قريظة .

والامام الشافعى وأبو يوسف ويحيى بن آدم ، الذين كانوا يجمعون الأحكام القضائية ، التى استند فيها الى السنة الصحيحة والسوابق المستقرة ، لم يكونوا يعتدون بما رواه ابن اسحاق أو بما جاء فى مادة القص الشائعة فى يومهم (١٢٦) .

ان رواية ابن اسحاق للجزء الموقع على بنى قريظة هى كم من الأقوال التى يناقض بعضها بعضا . ويصدق القول ذاته على ما يورده الواقدي وابن سعد . والقصة كما يرويها قصة لا يوثق بها لا فى الجوهر ولا فى التفاصيل . ومن حسن الحظ أن ابن اسحاق ترك بعض اشارات متفرقة تساعدنا على اعادة بناء الحدث وفقا للمعلومات التى وردت فى القرآن الكريم عن الموضوع .

ونظرا الى أن المؤلف المنحاز معرض أكثر من غيره لذكر الحقيقة عفا فى اشاراته العابرة فلعلنا نستطيع أن نعتمد بصورة أكبر على الشواهد الواردة فى الشرح الآتى . ولما كانت « الثقافة العربية » فى الأساس ثقافة شفوية ، وكان

الشعر سجلها ووسيلتها لحفظ التراث (١٢٧) فيصح أن تلقى نظرة على الأبيات التي حفظها ابن اسحاق ولم يرفضها ابن هشام لشبهة أن تكون لغير من نسبت إليه .

ان أوار المعركة كان أغلب الظن مستعرا يوم قريظة الذى يبدو أن ابن اسحاق يعنى به آخر يوم من أيام حصارهم . وقد قتل فى ذلك اليوم ثلاثة من المسلمين (١٢٨) . وليس من المعروف كم من بنى قريظة لقوا مصرعهم فى المعركة ، ولا بد أن القتال كان حامى الوطيس ، فقد قال جسان بن ثابت فيها :

لقد لقيت قريظة ماسأها
وما وجدت لذل من نصير
أصابهم بلاء كان فيه
سوى ما قد أصاب بنى النضير
غداة آتاهم يهوى اليهم
رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجنية تعادى
بفرسان عليها كالصقور
تركناهم وما ظفروا بشيء
دماؤهم عليهم كالغدير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم
كذلك يدان ذى العند الفجور (١٢٩) .

وهزم المسلمون اليهود ونزل اليهود على حكم الرسول ﷺ . وأسر فريق (١٣٠) منهم كان قد حارب ولكنه لم يقم بدور قيادى (١٣١) . أما كبراء بنى قريظة فقد تركوا لحكم سعد بن معاذ . وهناك اشارات تفيد أن الحكم على هؤلاء الكبراء تم فى ساعتها . وقد ذكر السهمودى أن سعدا أحضر الى مسجد قريظة لا الى مسجد المدينة (١٣٢) . ويستفاد من الحديث الذى أورده كل من البخارى ومسلم أن

سعدا ، الذى جرح جرحا مميتا فى المعركة ، ذهب الى مسجد وكانت خيمته قريبة من مسجد الرسول ﷺ فى المدينة فلم يحتج الأمر الى نقله اليه فى حالته الخطرة تلك . وحكم سعد بقتل المقاتلة من بين الكبراء . ومن المحتمل أن كبار القوم كان منهم مسنون وأخبار لم يكونوا من المقاتلة .

ومن هنا جاءت كلمة « المقاتلة » . ولم يسق هذا الفريق الى المدينة ولكن ضربت أعناقهم (١٣٣) . وقد قتل الزعماء حيى بن أخطب ، وكعب بن أسد (١٣٤) ، ونباش بن قيس ، وغزال بن سموأل (١٣٥) بيد على والزبير (١٣٦) .

ووفقا للسياسة التى جرى عليها الرسول ﷺ بأن يتولى تنفيذ أحكام الاعدام عضو من القبيلة المتحالفة مع قبيلة الجانى ، سلم صفار الزعماء الى الأوس وسلم اثنان ممن صدر حكم عليهم الاعدام الى كل قبيلة أو بطن من قبائل الأوس أو بطونهم أى : (١) عبد الأشهل (٢) حارثة (٣) ظفر (٤) معاوية (٥) عمار بن عوف (٦) أمية بن زيد ، بحيث يتوزع دم بنى قريظة على القبائل والبطون (١٣٧) .

ان القيادة المسؤولة لقبيلة تتكون من (٦٠٠) الى (٩٠٠) رجل ، لا سيما حين يكون بعض أعضائها قد قتلوا فى الميدان وتكون فئة منهم وقعت فى الأسر لا يمكن أن تزيد فى الأحوال العادية عن ستة عشر أو سبعة عشر على نحو ما ذكرنا فى العرض السابق . وكان الذى اتخذ قرار مؤازرة الأحزاب بالتأكيد هم زعماء بنى قريظة وكبارهم ، وما كان يمكن أن تؤخذ القبيلة كلها بجريرة زعمائها . وكان الرسول ﷺ نفسه ملتزما بمبدأ القصاص العادل الوارد فى القرآن الكريم والذى يقضى بأن « النفس بالنفس والعين بالعين » (١٣٨) . وكان هذا المبدأ كما أوضحنا من قبل (١٣٩) محل اتفاق بين المسلمين واليهود ، وقد ذكر فى الصحيفة فى عبارة « لا يكسب كاسب الا على نفسه » وهى عبارة صريحة (١٤٠) .

والقرآن الكريم لا يذكر الا فريقين أنزل بهما العقاب :
فريقا قتل وفريقا أسر - ومن سوء الحظ أن ابن اسحاق
وغيره من كتاب المغازي لم يعنوا بتتبع أخبار بنى قريظة ممن
لم يوقع عليهم العقاب ، ومن الجائز أن بعضهم بقي وأن
بعضهم الآخر ، كما ذكر جبل بن جوال الثعلبي ، « قد تحمل »
أى هاجر :

ألا يا سعد بن معاذ
لما لقيت قريظة والنضير
لمبرك ان سعد بنى معاذ
غداة تحملوا لهو الصبور (١٤١) .

ان دور سعد بن معاذ فى قصة بنى قريظة بأكملها هو
أهم دور . وقد أثارت مسألة تعيينه كحكم كما سبق القول
أكبر قدر من الخلط والجدل . وكتاب السيرة عموما متفقون
على أن الرسول ﷺ عينه حكما ارضاء للأوس . ومن روايتى
البخارى ومسلم رواية تتفق مع ما قاله كتاب السيرة ، بينما
تذهب الأخرى الى أن بنى قريظة نزلوا على حكم سعد بن
معاذ . وما ذكر عن ظهور سعد بن معاذ على مسرح الأحداث
كحكم يتعلق ، فيما يبدو ، بتفاصيل عن مركزه الشخصى
ومنزله . وحين دعا الرسول ﷺ معاذ ب « سيدكم » هل
كان يعنى سيد الأنصار خاصة ، أم سيد المهاجرين كذلك ؟
وبأى وصف وصف الرسول ﷺ الحكم الذى نطق به سعد . هل
شبه هذا الحكم بحكم الله سبحانه وتعالى أو بحكم ملاك أم
بحكم ملك ؟ (١٤٢) اذا كان الجدل حول هذه الأسئلة يعطى
فكرة عن الخلاف والاحتكاك اللذين حدثا بين المهاجرين
والأنصار فمن المحتمل أن مغزى القصة كلها يكمن فى مكان
آخر . ان النووى (المتوفى سنة ٦٧٦/١٢٧٧) يقول
ما يأتى فى تعليقه على الرواية المتعلقة بحكم سعد فى صحيح
مسلم : « قوله (نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ) فيه
جواز التحكيم فى أمور المسلمين وفى مهماتهم العظام ، وقد
أجمع العلماء عليه ولم يخالف فيه الا الخوارج . . واذا حكم

(الحكم) بشيء لزم حكمه ولا يجوز لهم الرجوع عنه ولهم الرجوع قبل الحكم « (١٤٣) » .

وأبو يوسف هو الآخر يرى أن أهمية واقعة بنى قريظة إنما تتحصل في التحكيم وهو يوردها تحت أصول التحكيم (١٤٤) . والمرة الوحيدة التي أصبح التحكيم فيها موضع خلاف بين المسلمين هي المرة التي عين فيها محكمون عن علي وعن معاوية في صفين .

وقد احتج الخوارج على التحكيم ولكن عليا لم يرفض اتفاق صفين ، وصدر التحكيم كما هو معروف لصالح معاوية . ولا حاجة بنا هنا إلى سرد الأحداث الرئيسية ولدن من الجائز أن الحديث المتعلق بحكم سعد على بنى قريظة قد دعم قضية الأمويين . ولو أن هذه السابقة التي أريد تقريرها بحكم سعد كانت سابقة حقيقية لتحتم أن تظهر خلال النزاع الذي ثار بين علي والخوارج . وقد روى ابن عبد البر بالكامل ما دار من مناقشة بين عبد الله بن عباس والخوارج بشأن موضوع التحكيم في كتابه « جامع بيان العلم وفضله » (١٤٥) ، ولكن إشارة ما لم ترد عنده عن تعيين سعد كحكم في تلك المناقشة فإن القصة كما أوردها ابن اسحاق وآخرون لم تكن وقتها قد لفقت بعد .

ولنا أن نخلص مما تقدم إلى أن حادثة صغيرة ذات أهمية ربما كان لسعد بن معاذ أصبع فيها بصدد التعامل مع بنى قريظة قد ضخمت تضخيما عظيما على يد جامعي الحديث من مؤيدي بنى أمية . وبمرور الوقت ، حين أصبح الخلاف بشأن التحكيم مسألة عديمة الأهمية نظرا لثورة بنى العباس ، جر النسيان ذيوله أيضا على الأسباب التي حدثت إلى استغلال هذه الحادثة الصغيرة كسابقة ذات شأن .

لقد حدثت واقعة بنى قريظة (١٤٦) قبل عقد صلح الحديبية وقبل اقرار السلام مع خيبر . ومن المستحيل - لو أن ما روى بشأنها فيما بعد كان صحيحا - تصور أن تصمت

عنها السنة المشركين والمنافقين - لقد ندد الناس بخرق جحش للشهر الحرام واراقتة الدماء فيه ، ونددوا بتحريق نخيل بنى النضير ، ونددوا بتزوج الرسول ﷺ من زوجة ابنه بالتبني بعد طلاقها ، ودافع القرآن الكريم عن الرسول ﷺ فى ذلك (١٤٧) • ومن المستبعد أن يكون اهتمام ناقدى الرسول ﷺ بأرواح قريظة ، اذا كانت قد أزهقت ، أقل من اهتمامهم بنخيل بنى النضير •

واحتمال أن تكون أنباء هذه المذبحة المزعومة لم تصل الى الشام ، الذى كان يضم أورشليم وأذرعات اللتين كان يهود المدينة على صلة بهما ورئاسة الجالوت فى العراق التى كانت تشملهم بسلطانها الدينى ، احتمال ضعيف للغاية •

لقد وردت فى الصحيفة أسماء سبع من القبائل اليهودية أصبحت جزءا من الأمة (١٤٨) • وابن اسحاق يعطينا اسمين آخرين (١٤٩) • ومن سوء الحظ أن كتاب المغازى والفقهاء وجامعى الحديث لم يسجلوا أية معلومات عن هؤلاء اليهود ولم يهتموا الا بالقبائل اليهودية الثلاث التى انضمت الى منافقى المدينة أو الى قريش مكة أو الى الفريقين معا فى مناهضة الرسول ﷺ • وحتى هذا الاهتمام كان قاصرا على ما يتعلق بنزاعهم مع المسلمين • وما أن انتهى هذا النزاع حتى فقد هؤلاء الكتاب والفقهاء وجامعو الحديث اهتمامهم بالقبائل المذكورة فى الأخرى •

سراج الفصل الرابع

- (١) الواقدي ، الجزء الثاني ، ص ٤٤٣ . السمهودي ، الجزء الأول ، ص ٣٠١ (عبارة الواقدي : « فجعلوا لهم تمر خبير بسنة » وعبارة السمهودي : « على أن لهم نصف تمر خبير » - (المترجم) .
- (٢) ابن هشام ، ص ٦٧٦ .
- (٣) ابن هشام ، ص ٦٩٩ ؛ ابن سعد ، الجزء الثاني ، ص ٦٦-٦٥ .
- (٤) ابن سعد ، الجزء الثاني ، ص ٦٦ .
- (٥) « واط » « محمد في المدينة » ص ٣٩ .
- (٦) البخاري ، صحيح ، باب غزوة الأحزاب ، الجزء الخامس ، ص ١٢٨-٣٩ . ابن هشام ، قصتا التمر والشاه ، ص ٦٧١-٧٢ ، وما قاله حذيفة عن الجوع ، ص ٦٨٣ .
- (٧) القرآن سورة الأحزاب ، ١٠-١١ . البخاري ، ما قالته عائشة عن هذه السورة ، الجزء الخامس ، ص ١٣٨ . ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، الجزء الثالث ، ص ٧٢-٤٦٩ .
- (٨) ابن هشام ، ص ٦٧٤ .
- (٩) القرآن ، سورة الأحزاب ، ٢٦ . ابن هشام ، ص ٦٩٣ .
- (١٠) ابن هشام ، ص ٦٨٠ .
- (١١) المرجع نفسه ، ص ٦٩٤ .
- (١٢) القرآن ، سورة الأحزاب ، ١٠ .
- (١٣) ابن هشام ، ص ٦٩٤ .
- (١٤) ابن هشام ، ص ٦٧٨ .
- (١٥) ابن هشام ، ص ٦٦٩-٧١٣ .
- (١٦) الواقدي ، الجزء الثاني ، ص ٤٩٦-٥٣١ .
- (١٧) ابن سعد ، الجزء الثاني ، ص ٦٥-٧٨ .

- (١٨) ابن هشام ، صص ١٣-١٥ .
- (١٩) ابن هشام ، ص ٣٩١ .
- (٢٠) ابن هشام ، ص ٣٩٦ . ويقول ابن كثير ان بنى النضير لم يكونوا يعاملون بنى قريظة كأنداد ، فاذا قتل رجل من بنى قريظة رجلا من بنى النضير فى نزاع كانت ديته (١٠٠) وسقى من الحبوب ، أما اذا قتل رجل من بنى النضير رجلا من بنى قريظة فان ديته لم تكن تتجاوز (٥٠) وسقا (الجزء الثانى ، ص ٦٠) .
- (٢١) كان كعب بن أسد سيد بنى قريظة .
- (٢٢) يضيف ابن هشام دون أسناد أن اليهود قالوا : « يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ » .
- (٢٣) الملخص المذكور يستند الى ما رواه ابن اسحاق . ابن هشام ، صص ٨٤-٩٦ .
- (٢٤) ابن هشام ، ص ٦٨٤ .
- (٢٥) أعطينا لكل الوقائع فى قصة بنى قريظة أرقاما .
- (٢٦) ابن هشام ، ص ٦٨٥ .
- (٢٧) انظر مقال « ١٠١ دورى » A. A. Duri « الزهيرى » ، الذى تناول هذا الموضوع من جميع جوانبه فى نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ، BSOAS, Vol. IX, 1975, pp. 1-12 المجلد التاسع ، ١٩٥٧ ، صص ١-١٢ .
- (٢٨) انظر المقدمة فى هذه الطبعة ، ص ٣٤ .
- (٢٩) حادثة توبة الله على أبى لبابة استثناء أعطى ابن اسحاق من أجله اسنادا وقد رويت عن يزيد بن عبد الله بن قسيط .
- (٣٠) ابن هشام ، ص ٦٨٥ .
- (٣١) ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ٧٤ .
- (٣٢) ابن هشام ، صص ٦٨٥-٦٨٦ .
- (٣٣) القصة كما رأينا من قبل فيها تجميل كتب من منظور التاريخ الاسلامى اللاحق .
- (٣٤) « ٠٠٠٠ فوالله لقد تبين لكم انه لنبى مرسل ، وانه للذى تجدونه فى كتابكم ٠٠٠ » (من كلام كعب بن أسد) .
- (٣٥) انظر أدناه ، الفصل السادس .

(٣٦) سفر التكوين ٩ : ٥ .

(٣٧) « الانتصار » دائرة معارف الديانة اليهودية ، ١٩٦٥ ،
ص ٣٦٧ .

Roman siege of Masada, Josephus, The Jewish War, (٣٨)
Book VII Chapters 8-9.

حصار الرومان لماسادا « جوزيفوس » ، الحرب اليهودية ، الكتاب
السابع ، الفصلان ٨-٩ . كذلك واقعة امرأة موسى ، انظر :

Abraham ibn Daud, Sefer ha-Qabbalah, **The Book of Tradition** tr.
and ed. Gershon D. Cohen (Philadelphia, 1967), p. 64.

« ابراهيم بن داود » ، صفرها - قبالة ، كتاب السنة ، ترجمه
وأعده للنشر جرشون د كوهين (فلادلفيا ، ١٩٦٧) ، ص ٦٤ .

(٣٩) انظر دائرة معارف جودايكا تحت
Crypto-Jews « اليهود المستترون » وكذلك تحت العناوين الفردية .

(٤٠) « جراتز » ، ص ١٢٣ .

(٤١) المرجع نفسه ، ص ١٠٣ .

(٤٢) ابن هشام ، ص ٦٨٦ .

(٤٣) « مارجوليوث » العلاقات بين العرب واليهود ، ص ٧١ .

(٤٤) « السبت » « Sabbath » ، دائرة معارف الديانة اليهودية ،
ص ٣٣٦ .

(٤٥) Berakhof 61 b, Mishnah Yoma 8-7.

« براخوف » ، مشناه يومًا ٨ : ٧ .

(٤٦) (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا
قردة خاسئين) القرآن ، سورة البقرة ، ٦٥ .

(٤٧) ابن كثير ، الجزء الأول ، ص ١٠٤ .

(٤٨) الواقدي ، الجزء الثاني ، ص ٣-٥٠١ .

(٤٩) ابن هشام ، ص ٦٨٦ ، الواقدي ، الجزء الثاني ، ص ٥٠٦ ،
ابن سعد ، الجزء الثاني ، ص ٦٤ .

(٥٠) ابن هشام ، ص ٦٨٦-٨٧ .

(٥١) القرآن ، سورة الأنفال ، ٢٧ .

(٥٢) ابن كثير ، تفسير ، الجزء الثاني ، ص ٣٠١ ، وقد نزلت
الآية بعد أن حاول حاطب بن أبي بلتعة أن يبعث رسالة الى قريش يخبرها
فيها بما اعتزمه الرسول (ص) من الهجوم عليهم . انظر أيضا الطبري ،
تفسير ، الجزء الثالث عشر ، ص ٤٨٠ .

محمد واليهود - ١٦١

- (٥٣) القرآن ، سورة النوبة ، ١٠٢ •
- (٥٤) كان أبو لبابة ، كما يقول ابن عباس ، أحد المؤمنين صادقي
الايمان الذين تخلفوا عن غزوة تبوك باذن من الرسول (ص) ، وقد نزلت
هذه الآية عن هؤلاء القوم • ابن كثير ، الجزء الثاني ، ص ١٨٥ : الطبرى ،
تفسير ، الجزء الرابع عشر ، ص ص ٤٤٧-٤٥٣ •
- (٥٥) ابن هشام ، ص ٦٨٨ •
- (٥٦) الواقدي ، الجزء الثاني ، ص ص ٥٠٩-١٠ •
- (٥٧) ابن سعد ، الجزء الثاني ، ص ص ٧٤-٧٥ •
- (٥٨) المرجع نفسه ، ص ٧٧ •
- (٥٩) الخباري ، صحيح ، باب « مرجع النبى (ص) من الأحزاب » ،
الجزء الخامس ، ص ص ١٤٣-٤٤ •
- (٦٠) صحيح مسلم (لاهور ، بدون تاريخ) ، الحديث رقم ٢٤٥ ،
والحديث رقم ٢٤٦ ، الجزء الثاني ، كتاب الجهاد ، ص ص ١١١٢
و ١١١٣ •
- (٦١) ابن هشام ، ص ص ٦٨٨-٩ •
- (٦٢) الواقدي ، الجزء الثاني ، ص ص ٥١٠-١١ •
- (٦٣) ابن سعد ، الجزء الثاني ، ص ٧٧ •
- (٦٤) ابن هشام ، ص ٦٨٩ •
- (٦٥) الواقدي ، الجزء الثاني ، ص ٥١٢ •
- (٦٦) فائق أحكم فيهم أن تقتل الرجال (بالعربية فى الأصل) ،
ابن هشام ، ص ٦٨٩ •
- (٦٧) ابن هشام ، ص ٦٨٩ •
- (٦٨) ابن هشام ، ص ٦٨٩ •
- (٦٩) المرجع نفسه ، ص ص ٦٨٩-٩٠ •
- (٧٠) ابن هشام ، ص ٦٧٥ •
- (٧١) انظر ص ١٣٧ من هذه الطبعة تحت الفقرة (سادسا) •
- (٧٢) « كايثافى » « حوليات الاسلام » ، الجزء الأول ، ص ٦٣٢ •
- (٧٣) ابن هشام ، ص ٦٨٦ •
- (٧٤) « واط » ، « محمد فى المدينة » ، ص ١٨٨ •
- (٧٥) ابن هشام ، ص ٥٥١ •

- (٧٦) المرجع نفسه ، ٩٩٦ .
- (٧٧) المرجع نفسه ، ٩٩٥ .
- (٧٨) فانى أحكم فيهم أن تقتل الرجال (بالعربية فى الأصل) ابن هشام ، ص ٦٩٨ .
- (٧٩) كان رسول الله (ص) قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من انبت (بالعربية فى الأصل) المرجع نفسه ، ص ٦٩ .
- (٨٠) فانى أحكم فيهم أن يقتل من جرت عليه موسى (بالعربية فى الأصل) الواقدي ، الجزء الثانى ، ص ٥١٢ .
- (٨١) ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ٧٥ .
- (٨٢) المرجع نفسه ، ص ٧٧ فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم (بالعربية فى الأصل) .
- (٨٣) مقاتل (بالعربية فى الأصل) راغب الأصفهاني ، المفردات فى غريب القرآن (القاهرة ، بدون تاريخ) ، انظر تحت قتل (كلمة قتل) بالعربية فى الأصل) ، ص ٥٩٣-٥٤ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، (بيروت ، ١٩٥٦) ، الجزء الثانى ، ص ٥٤٧-٥٢ .
- (٨٤) البخارى ، صحيح ، باب « مرجع النبى (ص) من الأحزاب ومخرجه الى بنى قريظة ومحاصرته اياهم » ، الجزء الخامس ، ص ١٤٣ .
- (٨٥) المرجع نفسه ، ص ١٤٤ .
- (٨٦) صحيح مسلم ، الحديث رقم ٢٤٥ ، والحديث رقم ٢٤٦ الجزء الثانى ، ص ١١١٢ و ١١١٣ .
- (٨٧) لا تقتلوا الشيوخ والصبية والنساء ، أبو داود ، كتاب الجهاد ، الجزء الثانى ، ص ٣٤٢ .
- (٨٨) تقول عائشة : « كنا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرها ، انما كنا نذهب فى فسخ المدينة » . ابن هشام ، ص ٧٣٣ . والبخارى بدوره يعطى رواية مماثلة عن عائشة ، باب « حديث الافك » الجزء الخامس ، ص ١٥٠ .
- (٨٩) ابن هشام ، ص ٦٨٩ .
- (٩٠) المرجع نفسه ، ص ٦٨٩ - ٩٠ .
- (٩١) الواقدي ، الجزء الثانى ، ص ٥١٣ .
- (٩٢) R. B. Serjeant, « Ukhdud », Bsoas, XXII (1959), p. 572.
- و.ب. سرجنت ، « أخدود » نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ، المجلد الثانى والعشرون (١٩٥٩) ، ص ٥٧٢ .

- (٩٣) ابن كثير ، الجزء الرابع ، ص ص ٤٩٤-٩٥ .
- (٩٤) عرفان شاهد ، « شهداء نجران : وثائق جديدة » ، ص ٢٦٨ .
- (٩٥) الواقدي ، الجزء الثاني ، ص ٥١٣ .
- (٩٦) ابن هشام ، ص ٦٩٠ .
- (٩٧) ابن هشام ، ص ص ٦٩٠-٩١ . والواجب رفض القصة ، وهى قصة لم يقبلها لا البخارى ولا مسلم اللذان يخبران عن عائشة .
- (٩٨) يقول ابن اسحاق ان المسلمين غادروا المدينة عند الظهر ووصلوا الى بنى قريظة بعد صلاة المغرب . ابن هشام ، ص ٦٨٥ .
- (٩٩) انظر : R. A. Nicholson, *A Literary History of The Arabs* (Repr. Cambridge, 1966), p. 438.
- « نيكلسون » تاريخ آداب العرب « أعيد طبعه فى كمبريدج ، ١٩٦٦ » ص ٤٣٨ .
- Raul Hilberg, ed. *Documents of Destruction : Germany and Jewry 1933-1945* (Chicago, 1971), p. 219.
- « راول هيلبرج » ، أعد للنشر « وثائق التدمير : المانيا واليهود ١٩٣٣-١٩٤٥ » ، « شيكاغو ، ١٩٧١ » ص ٢١٩ .
- (١٠١) « واط » ، « محمد فى المدينة » ، ص ٣٢٧ .
- Barbara Levy, *Legacy of Death* (Englewood Cliffs, N.J., 1974).
- « باربارا ليفى » ، ميراث الموت ، (نيوجرسى ، ١٩٧٤) .
- L. Veccia Vaglieri, « Ali B. Abi Talib », *Encyclopaedia of Islam* (2) Vol. I, p. 835.
- « ل . فيكيا فاليرى » ، « على بن أبى طالب » ، دائرة معارف الاسلام (٢) الجزء الأول ، ص ٣٨٥ .
- (١٠٤) المرجع السابق .
- (١٠٥) قول « جورج ليفيبر : Georges Lefebvre » لكى ندرس التاريخ لابد أن نعرف كيف نعد .
- Pour faire de l'histoire, il faut savoir compter, quoted by David Thompson *The Aims of History* (London, 1969), p. 84.
- نقله دافيد تومسون ، « أهداف التاريخ » (لندن ، ١٩٦٩) ، ص ٨٤ .
- (CF) عن ابن خلدون : « انها الرغبة العامة أو المشتركة لاهساس أو لادراك السهولة أو التحرر من التكلف ، ومعه يستطيع الانسان ذكر رقم أعلى والتغاضى أو اهمال المراجعين والنقاد » ، المقدمة ، ترجمة فرانز روزنتال (الطبعة المعدلة ، برنستون ١٩٧٠) ، ص ١٣ .

Abbott, Nabia, *Studies in Arabic Literary Papyri*, I, (١٠٦)
I, pp. 76-77.

« ناييه أبوت » ، « دراسات للأدب العربى فى أوراق البردى » الجزء
الأول صص ٧٦-٧٧ .

(١٠٧) ابن هشام ، صص ٦٤٨-٤٩ .

(١٠٨) أحمد بن محمد بن حنبل ، المسند (٦ أجزاء ، القاهرة ،
١٨٩٥) ، الجزء الثانى ، ص ١٩٦ .

(١٠٩) البخارى ، صحيح ، الجزء الثالث ، ص ٩١ .

Muhammad Ibn Habib, *Kitab al-Muhabbar*, (Hyderabad, (١١٠)
1942), p. 118.

محمد بن حبيب ، « كتاب المحبر » (حيدر آباد ، ١٩٤٢) ،
ص ١١٨ .

M.J. Kister, « *The Expedition of Bi'r Ma'mun* » Arabic (١١١)
and Islamic Studies in Honour of Hamilton A.R. Gibb. Ed.
George Makdisi (Leiden, 1965), pp. 337-57.

« م . ج . كستر » ، « غزوة بئر معونة » ، الدراسات العربية
والاسلامية فى تكريم هاملتون ١٩٦٥ ر . جيب ، أعدها للنشر جورج مقدسى ،
(ليدن ، ١٩٦٥) ، صص ٣٣٧-٥٧ .

(١١٢) تاريخ المذبحة غير متفق عليه ، انظر عرفان شاهد ، شهداء
نجران ، صص ٢٣٥-٤٢ .

(١١٣) المرجع نفسه ، ص ٦٤ .

Richard Bell, *The Origin of Islam in its Christian En-* (١١٤)
vironment (London ,1926) p. 38.

« ريتشارد بيل » ، أصل الاسلام فى بيئة المسيحية « ، (لندن ،
١٩٢٦) ، ص ٣٨ .

(١١٥) « بارون » ، الجزء الثالث ، ص ٦٧ .

(١١٦) « جرانز » ، الجزء الثالث ، ص ٦٥ .

Abbott, Nabia, *Studies in Arabic Literary Papyri*, I. (١١٧)
pp. 76-77.

« أبوت » ، دراسات للأدب العربى فى أوراق البردى ، الجزء الأول ،
ص ٧٧ .

- (١١٨) ابن هشام ، ص ٦٩٣ .
- (١١٩) المرجع نفسه ، ص ٢٥٣ .
- (١٢٠) الواقدي ، الجزء الثاني ، صص ٢٤-٥٢٢ .
- (١٢١) ابن هشام ، صص ٦٩٢-٩٣ . وقد روى الواقدي الخبر باستفاضة في أكثر من أربع صفحات ، (الجزء الثاني ، صص ٢٢-٥٢١) . ولم يذكر ابن سعد شيئاً عن أموال بني قريظة .
- (١٢٢) الشافعي ، كتاب الأم ، الجزء السابع ، صص ٣٤٢-٣٣٧ .
- (١٢٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، الجزء الرابع عشر ، صص ٢٤٢ وما بعدها . ابن خلكان ، رقم ٨٣٤ .
- (١٢٤) أبو يوسف ، كتاب الخراج ، (القاهرة ، ١٣٤٦ هـ) ، ص ٨١ .
- (١٢٥) أعلاه ، الفصل الثالث .
- (١٢٦) وفي هذا ما يؤيد الرأي السابق إبداءه من أن الجانب الأكبر من رواية ابن اسحاق ليس مصدره الزهري . وأبو يوسف كثيراً ما ينقل عن الزهري في هذا الكتاب .
- A. A. Duri, « The Iraqi School of History to The Ninth Century -A Sketch » Historians of The Middle East. ED. by Bernard Lewis and P.M: Holt (London, 1962), p. 47.
- « ١٠١ دورى ، » مدرسة التاريخ العراقية الى القرن التاسع - الخطوط العريضة » ، مؤرخو الشرق الأوسط ، أعده للنشر برنارد لويس ، و.ب.م. هولت (لندن ، ١٩٦٢) ، ص ٤٧ .
- (١٢٨) ابن هشام ، ص ٦٩٩ و ٧٠٠ .
- (١٢٩) ابن هشام ، ص ٧١٢ ، ترجمة « غليوم » .
- (١٣٠) راجع ، انظر تحت « فرق » « الجماعة المتفرقة عن آخرين » (بالعربية في الأصل) .
- Edward William Lane, Arabic - English Lexicon (London 1863) Book I, Part 6, p. 2385, Fariq.
- قاموس « ادوارد وليام لين » العربى - الانجليزى (لندن ، ١٨٦٣) الكتاب الأول ، الجزء ٦ ، ص ٢٣٨٥ « الفريق » : جماعة أزيد عدداً أو أكبر من « فرقة » ، أى جماعة ، قسم ، طائفة جزئية ، أو هيئة ، أو طبقة متميزة من الناس ، ابن منظور ، الجزء العاشر ، ص ٣٠٠ « الفرقة : طائفة من الناس والفريق أكثر منه » .
- (١٣١) القرآن سورة الأحزاب ، ٢٦ (وتأسرون فريقاً) .

- (١٣٢) السمهودى ، الجزء الثالث ، ص ٨٢٤ . بنى مسجد فى المكان الذى صلى الرسول (ص) فيه خلال الحصار .
- (١٣٣) القرآن ، سورة الأحزاب ، ٢٦ ، (فريقا تقتلون) .
- (١٣٤) ابن هشام ، ص ٦٩٠ .
- (١٣٥) الواقدي ، الجزء الثانى ، ص ٥١٦ .
- (١٣٦) الواقدي ، ص ٥١٣ .
- (١٣٧) ابن هشام ، ص ٥٥٤ ؛ الواقدي ، صص ١٦-٥١٥ .
- (١٣٨) القرآن ، سورة البقرة ، ١٧٨ (والصحيح المائدة ٤٥) .
- (١٣٩) أعلاه ، الفصل الثانى .
- (١٤٠) ابن هشام ، ص ٣٤٤ .
- (١٤١) ابن هشام ، ص ٧١٣ ، ترجمة « غليوم » .
- (١٤٢) انظر :

W. Montgomery Watt, « The Condemnation of the Jews of Banu Qurayzah » The Muslim World, XLII (3 July, 1952), pp. 160-171.

و « مونتجمرى واط » ، « الحكم على يهود بنى قريظة » ، العالم الاسلامى ، المجلد الثانى والأربعون (٣ يوليو ، ١٩٥٢) ، صص ١٦٠-١٧١ ، للاطلاع على مختلف الروايات فى مسألة تعيين سعد كحكم وعنوان مقالة « واط » المتعمقة مضلل وان لم يكن خطأ ؛ وهو يتناول جزئيا التهم التى وجهها كايثانى بأن الأحاديث حاولت أن ترفع عن محمد المسئولية المباشرة عن المذبحة « غير الانسانية » التى ارتكبت ضد بنى قريظة ، وهو ينظر جزئيا فى الطريقة التى تؤثر بها « طرق واستنتاجات » شاخت فى كتابه « أصول الفقه الاسلامى » على دراسة الحديث التاريخية . كذلك فانه لم يتحدث عن حكم سعد ، وعن تنفيذ هذا الحكم ولا عن الأحداث التى أدت الى « المذبحة » .

(١٤٣) تعليق النووى على هامش صحيح مسلم ، الجزء الثانى ، صص ١١١٢ - ١٣ .

- (١٤٤) أبو يوسف ، كتاب الخراج ، صص ٢٣٨-٤٠ .
- (١٤٥) (القاهرة ، ١٣٢٠ هـ) ، صص ١٦٢-٦٣ .
- (١٤٦) ابن هشام ، صص ٤٢٣-٢٧ .
- (١٤٧) المرجع نفسه ، صص ٦٥٤ .
- (١٤٨) انظر الفصل الثانى فى تعريف « الأمة » فى سياق هذه الوثيقة .
- (١٤٩) أعلاه ، الفصل الثانى .

الفصل الخامس

الصداء الأخيرة

••• مزلج التامر على الاسلام فى خيبر •
مكسيم رودنسون

زادت أهمية خيبر كثيرا بعد نفى بنى النضير من المدينة
وهزيمة بنى قريظة، واستقر بنو النضير فيها بعد اخراجهم
من المدينة ، وركزوا فيها نشاطهم الرامى للانتقام ممن أجلوهم
عن المدينة • وقد أنذر الشاعر اليهودى « سماك » المسلمين
بالتأثر فى هذه الأبيات :

فعل الليالى وصرف الدهور
يديل من العادل المنصف (١)
بقتل النضير وأحلافها
وعقر النخيل ولم تقطف
فان لا أمت نأتكم بالقنا
وكل حسام معا مرهف
بكف كفى به يحتمى
متى يلحق قرنا له يتلف
مع القوم صخر (٢) وأشياعه
اذا غاور القوم لم يضعف
كليث بترج حمى غيله
أخى غابة هاصر أجوف (٣) •

على أن قبيلة صخر هزمت فى غزوة الأحزاب كما
أن بنى قريظة أخرجوا من المدينة وأعدم زعمائهم بمن فيهم

كعب بن أسد وحبي بن أخطب رعيم بنى النصير وحمو كنانة ابن ربيع بن أبى الحقيق * ونشأ عن هزيمة الأحزاب التى جمعها زعماء اليهود بعد جهد دبلوماسى كبير موقف حرج للقيادة اليهودية * ونظرا الى ما منى به يهود المدينة من ضياع لنفوذهم وقوتهم ، أصبح لزاما على يهود خيبر أن ينقذوا ما يمكن انقاذه من هيبتهم وكذلك ، قبل كل شئ ، أن يجدوا وسيلة للتعايش مع قوة الاسلام الصاعدة *

وكان لديهم مزايا عديدة ، فقد كانت خيبر - بخلاف يثرب - دولة متجانسة من اليهود ، وكانت من ثم غير مقيدة بأحلاف العرب وخصوماتهم القبلية ، وكانت غنية ، ومعاقلها فى حالة استكفاء ذاتى ، وكان فى مقدورها أن تقاوم أى حصار مدة طويلة * وكان أمامها ، لكى تضمن بقاءها ، اما أن تتفاوض على الصلح مع الرسول ﷺ من مركز قوة أو أن تصبح دولة عسكرية مثل « اسبرطة » الاغريقية * ولو أن خيبر استهدت بدروس التاريخ لاتضح لها أن الاختيار الثانى كان اختيارا سيئا ، فان خطوط مواصلاتها لم تكن آمنة طوال الوقت ، كما أنه لم يكن هناك ما يضمن ألا تغير القبائل المعادية للاسلام موقفها ، خاصة وأن أهل مكة كانوا قد وقعوا معاهدة سلام مع الرسول ﷺ *

واستخدم أبو رافع سلام بن أبى الحقيق ، الذى خلف حبي بن أخطب ، ثروة بنى النصير دون حساب ولكن بحكمة لتأليب القبائل العربية المجاورة ، لا سيما قبيلة غطفان القوية ، على المسلمين ونجح فى نهاية الأمر فى حشد جيش كبير (٤) * وأرسل الخزرج بموافقة الرسول ﷺ نفرا بقيادة عبد الله بن عتيق لقتل سلام * وكان المسلمون يرون أن التخلص من هذا الزعيم سيسمح بتفادى اراقة الدماء على نطاق واسع *

وبعد اغتيال سلام أمرت اليهود اليسير بن رزام * وجمع ابن رزام القبائل اليهودية وقام فيها قائلا : « ما سار محمد

الى أحد من اليهود الا بعث احدا من أصحابه فأصاب منهم ما أراد ، ولكننى أصنع مالا يصنع أصحابى • يا معشر اليهود ، نسير الى محمد فى عقر داره » (٥) •

وأثارت الأنباء التى راجت عن نوايا اليسيير مخاوف الناس فى المدينة فأرسل ﷺ عبد الله بن رواحة مع ثلاثة آخرين للوقوف على حقيقة الأمر • وعاد عبد الله بن رواحة الى المدينة وأكد الخبر •

ولما كان المسلمون غير راغبين فى الحرب وكانوا فى غم مما بدا لهم من اجحاف شروط الحديبية (٦) ، أوفد الرسول ﷺ عبد الله بن رواحة من جديد الى خيبر ولكن ، هذه المرة ، فى مهمة رسمية بصحبة ثلاثين شخصا وعرض عبد الله بن رواحة بالنيابة عن رسول الله ﷺ على اليهود الدخول فى مفاوضات •

وكان المسلمون على استعداد ، توصلا للصلح ، لأن يعرضوا على اليسيير منصبا شرفيا كرئيس لخيبر كلها • ولأن كلا من الطرفين كان يرتاب فى الطرف الآخر ذهب اليسيير الى المدينة فى ثلاثين من حرسه الخاص ، وكان الاتفاق يقضى بأن يكون كل مسلم مصحوبا بيهودى • على أن اليسيير حين وصل الى القرقرة • وهى تبعد بنحو ستة أميال عن خيبر ، عدل عن رأيه بشأن المسير الى الرسول ﷺ • وفى ذلك الجو المشحون بسوء المظنة ، هم اليسيير بانتضاء سيفه ، لكن عبد الله بن أنيس أدرك غرضه على الفور فهجم عليه وقتله (٧) وكانت هذه الحادثة أمرا يؤسف له ، ولم يقل ابن سعد ولا ابن اسحاق ان الأمر كان خدعة • وما قاله الرسول ﷺ لعبد الله بن رواحة لدى عودته يوحى فى الواقع بأن الرسول ﷺ لم يكن يتوقع هذه الحادثة ، فقد قال له : « قد نجاكم الله من القوم الظالمين » (٨) • ولو أن اليسيير اعتبر مع ذلك أنها خدعة لكان له بعض العذر • لقد كان عبد الله بن رواحة وعبد الله بن أنيس من الأنصار الذين سبق لهم أن قتلوا

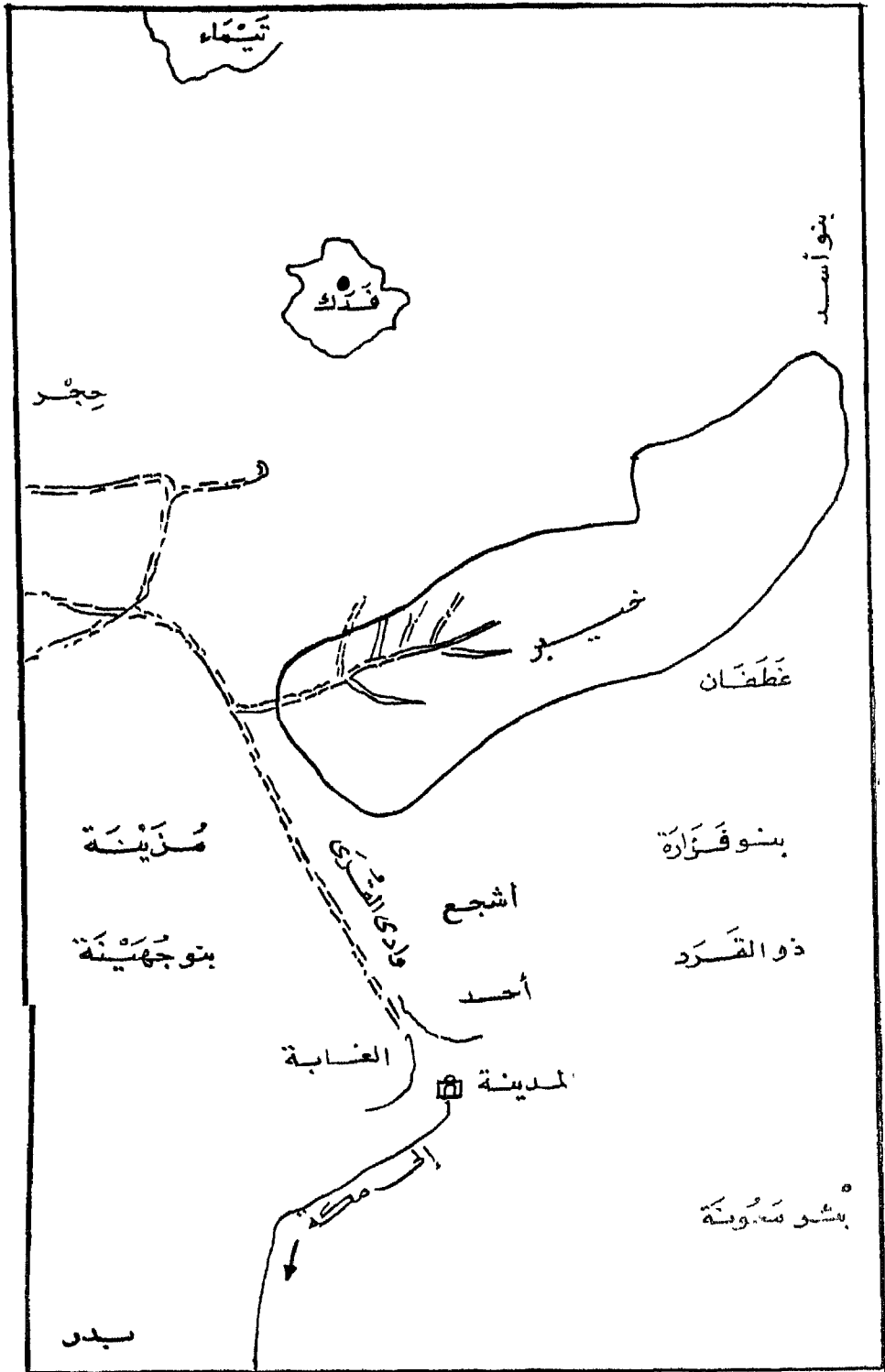
بالخدیعة ، زعیمین یهودیین هما حب بن الأشرف وأبو رافع
سلام بن أبی الحقیق •

ولاید أن هذه الحادثة المؤسسة زادت من تأزم الموقف •
وكان اليهود فى تلك الأثناء فى مفاوضات نشطة مع غطفان
لحثهم على الانضمام اليهم فى هجوم كانوا يزعمون القيام به
على المدينة ، وكانت خیبر قد أصبحت نقطة تجمع للقوى
المناهضة للسلام • وكلا الطرفين يتأهب لمعركة فاصلة •
وكان يهود خیبر متآلفين ، ذوى بأس شديد ، يشعرون
بالأمان داخل حصونهم • أما المسلمون فكانوا فى هم نتيجة
لصلح الحديبية (٦٢٨/٦) ، ولم يكونوا يأمنون جانب
المذبذبین فى المدينة ، وكانت تحدى بهم قبائل عربية لا تفتأ
فى شك من هذه الرسالة وهذا الدين الجددین • وكان كل
فریق یزن فرصه وینتظر •

على أن حادثة ذى قرد حسمت الأمر بالنسبة للمسلمین ولم
یکن أمامهم بعدها مجال للاختیار ، بل كان علیهم أن يتصدوا
قورا للموقف فى خیبر • وقد وضع ابن اسحاق (٩)
والواقدى (١٠) وابن سعد (١١) ذا قرد قبل الحديبية ،
وواقع الأمر أنها حدثت قبل سیر الرسول الى خیبر مباشرة •

وقد رواها الطبرى (١٢) عن سلمة بن عمرو بن الأكوع
الأسلمى الذى اشترك بنفسه فى هذه الغزوة ، وجعلها بعد
الحديبية ، وفعل البخارى (١٣) مثل ذلك ، وسنده هو الآخر
سلمة بن الأكوع وهو يضعها قبل خیبر بثلاثة أيام • والذى
حدث هو أن عیينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى فى
خیل من غطفان أغار على ابل لقاح للرسول ﷺ بالغابة وقتل
رجلا من بنى غفار كان مسئولا عنها • واحتمل الفزارى
زوجة هذا الرجل مع اللقاح •

والغابة مكان قریب من المدينة فى اتجاه الشام •
ومجازفة غطفان بالاغارة على مكان قریب الى هذه الدرجة



خَيْبَر وَمَوْقِعُ الْقَبَائِلِ الْمَعَادِيَةِ

من المدينة لم تكن عملا استفزازيا فحسب بل كانت كذلك نديرا للمسلمين . وبدأ ساعتها أن أى جهود أخرى للوصول الى تسوية سلمية مقضى عليها بالفشل . لذلك اتخذ الرسول ﷺ اجراء فوريا يهدف الى نقض الحلف الذى كان قائما بين يهود خيبر وغطفان .

وسار الرسول ﷺ (محرم من سنة ٧ هـ - مايو - يونيو ٦٢٨) من المدينة الى خيبر عن طريق « عصر » وهو جبل بين المدينة ووادى الفرع فبنى له فيها مسجدا . ثم واصل مسيرته الى الصهباء وهو موضع بينه وبين خيبر روحة (*) تم تقدم بجيشه وتوقف عند وادى الرجيع ليمنع أهل غطفان الذين زحفوا لامداد أهل خيبر بقوات . ولما سمعت غطفان بمنزل رسول ﷺ من خيبر جمعوا له ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه « حتى اذا ساروا منقلة (★★) سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حساء، ظنوا أن القوم قد خالفوا اليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى أهليهم وأموالهم ، وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر » (١٤) ووصل الرسول ﷺ الى خيبر ونظر اليها ثم دعا هذا الدعاء :

« فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها » (١٥) .

وقضى جيش المسلمين الليلة فى خيبر . ويبدو أن الرسول ﷺ لم يكن يعرف حتى ذلك الوقت على وجه التأكيد ما اذا كان اليهود يريدون القتال حقيقة ولكنه تيقن من ذلك حين رأى استعداداتهم . واذا أخذنا موقع حصون خيبر والمستنقعات المحيطة بها ونخيلها والوديان التى توفر لها حماية طبيعية فى الحسبان لرجح لدينا أن هذه الغزوة كانت من الناحية العسكرية أشق غزوات الرسول ﷺ . غير أن

(★) الروحة ، مسيرة ليلة - (المترجم) .

(★★) المنقلة : مسافة - (المترجم) .

ابن اسحاق لم يعط عن هذه الغزوة للاسف الا تفاصيل قليلة
والتفاصيل التي أعطاها أقرب الى حكايات القصص منها الى
المادة القابلة للبحث التاريخي . ورواية ابن اسحاق حافلة
بالأسانيد (١٦) .

وهو يبدأ اخباره بسلسلة طويلة منها لكن ما جاء في
روايته هو أن ابن الاكوع سئل أن يترجل من راحلته ويرتجز
حداء ، وأن عبد الله بن عمرو بن ضمرة الفزاري أخبر ابن
اسحاق أن الرسول ﷺ نهى الناس عن أكل لحوم الحمر
الانسية ، وأن سلام بن كركره أضاف أن الرسول ﷺ حين
نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم في أكل لحوم الخيل ،
وأن يزيد بن أبي حبيب أخبر ابن اسحاق عن أبي مرزوق
مولي تجيب عن حنش الصنعاني أنه علم من خطيب أن
الرسول ﷺ قال : « لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر
أن يسقى ماؤه زرع غيره ، يعنى اتيان الحبالى من السبايا » .
وكل هذه الاخبار وكثير غيرها أخبار فى غاية الأهمية
من وجهة نظر الشريعة الاسلامية ، وما كان يمكن أن تكون
لها فوة القانون ان لم تحمل اسنادا سليما . أما بقية المعركة
فان كل ما جاء بشأنها تقريبا من أنباء خال من الاسناد .
ونمطها هو ذات النمط الذى وجدناه فى قصة بنى قريظة ولو
أن ابن اسحاق وجد أى اسناد بشأنها لأورده ، لكنه لم يجد
اسنادا ما . وفى أكثر من ثلاث وعشرين صفحة من ترجمة
« وستنفلد » لسيرة ابن هشام لا يجد المرء مادة تستحق الذكر
يمكن أن تعطينا بيانا معقولا عن الكيفية التى تسنى بها
لجيش صغير مثل جيش المسلمين لم يكن مجهزا بمعدات
الحصار أن يفتح هذه الحصون المقامة على ارتفاع شاهق
والتي كان يحميها قوم يستخدمون المجانيق .

ويستخلص من حديث ابن اسحاق (١٧) ان أول ما وقع
من الحصون كان حصن ناعم وأن محمودا بن مسلمة قتل عند
هذا الحصن وهو يستريح ، وأن قتله كان برحى ألقاها عليه

كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق • وكان فتح حصن القموص أصعب من فتح حصن ناعم وسد فشل قادة عديدون في فتحه ، وقد فاقت الخسائر في الأرواح من الطرفين خسائر بدر (٦٢٤/٢) ولكنها كانت أقل جسامة من خسائر أحد التي قتل فيها ٧٢ مسلما و ٢٢ من أهل مكة ، فقد قتل في خيبر ١٩ مسلما (١٨) وجرح ٥٠ • وكانت خسائر العدو في بدر ٧٠ من القتلى ولم يجرح أحد • أما في خيبر فقد قتل من أهلها ٩٣ •

وكان كلا الفريقين يعلم أن هذه المعركة على الأرجح ستكون لمن تدور عليه الدائرة آخر المعارك ، فان الهزيمة ان حاقت بالصفوة المسيطرة لا تترك لها أية فرصة لاسترداد قوتها • وكان قد ظهر في الحديبية منذ فترة قصيرة جدا مدى ضعف جماعة المسلمين الجديدة التي كانت تحاول أن تثبت قوتها (١٩) • وكان يهود المدينة ، وجميع القبائل العربية ، يتطلعون الى هزيمة هذه الجماعة الجديدة التي كانت تهدد نمط الحياة العربية بأكملها • وكانت هذه المعركة من أهم المعارك في حياة الرسول ﷺ • وقد حارب اليهود فيها ببسالة على الرغم من أنهم لم ينجحوا في توحيد صفوفهم تحت قيادة موحدة • وقاوم يهود خيبر المسلمين مقاومة شديدة بخلاف يهود المدينة الذين نكسوا عن القتال وألقوا السلاح دون أن يخوضوا معركة • وكان المسلمون يهجمون كل يوم ثم يرجعون دون فتح الى أن حقق على النصر للمسلمين وهو يرفع راية رسول الله ﷺ التي قدت من برد لعائشة (٢٠) •

وقد استرد يهود خيبر ما ضيعه بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، بتحاييلهم وجبنهم ، من شرف • وخرج مرحب من الحصن حاملا سلاحه وهو ينشد :

قد علمت خيبر أنى مرحب
شاكى السلاح بطل مجرب

أطعن أحيانا وحيثما أضرب
إذا الليوث أقبلت تحسرب
ان حماى للحمى لا يقرب
يحجم عن صولتى المجرب (٢١) .

وحين قتل مرحب بعد منازلة بطولية مع محمد بن مسلمة
خرج أخوه ياسر يرتجز ويقول :

قد علمت خبير أنى ياسر
شاكى السلاح بطل مفاور
إذا الليوث أقبلت تبادر
وأحجمت عن صولتى المفاور
ان حماى فيه موت حاضر (٢٢) .

ولم يهزم اليهود فى خيبر ، لكنهم وقعوا سلما تفاوضوا
عليه مع المسلمين ، وقبله الرسول ﷺ . وما رواه كتاب
المغازى بعيد الاحتمال وهو ، كما لاحظ « لمانس » ، غير
صحيح (٢٣) .

وكان من نتائج المعاهدة أن حولت خيبر حلفها من بنى
فزارة الى المسلمين . وكما يقول أبو هريرة ، الذى كان فى
خيبر مع الرسول ﷺ (٢٤) متشكيا « افتتحنا خيبر ولم نغنم
ذهبا ولافضة انما غنمنا البقر والابل والمتاع والحوائط » (٢٥) .
وقوله هذا انما يصور حقيقة الموقف . ان يحيى بن آدم
ينقل عن نافع قوله ان الرسول ﷺ أعطى خيبر أهلها بالشرط
والنخل (٢٦) ورواية ابن اسحاق عن توزيع الغنائم تتفق
من حيث المبدأ وباقى الروايات (٢٧) . غير أنه لم يكن
هناك ، وهو ما ذكره أبو هريرة ، كنز مخبوء من الذهب أو
الفضة (٢٨) .

ويذكر ابن اسحاق دون اسناد أن الحجاج بن علاط
السلمى ذهب ، بعد أن تم « غزو » خيبر الى مكة يجمع ماله

الذى كان متفرقا بين تجارها. وكان قد أخذ من الرسول ﷺ «اذنا» صريحا فى ان يكدب ليجمع المال له، ولدى وصوله الى مكة تجمع الناس حوله وسألوه عما فعله الرسول ﷺ فى خيبر فقال لهم الحجاج : «هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد أسرا» * وأتلجت هذه الأنباء صدور المكيين فساعدوا الحجاج فى جمع ماله *

وفال الحجاج للعباس الذى أصابه الجزع لهذه الانباء بعد ان انتحى به جانباً : «لقد تركت ابن اخيك عروسا على بنت ملكهم ، يغنى صنفية ، ولقد افتتح خيبر ، وانتثل(*)» ما فيها ، وصارت له ولأصحابه * * فان مضت ثلاث فأظهر أمرك * حتى اذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له ، وتخلق ، واخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها * فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلد لحر المصيبة ! قال : «كلا والله الذى حلفتكم به ، لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه » (٢٩) *

ولا صحة لأى من قصتى الحجاج *

(*) انتثل استخرج - ، المترجم) *

مراجع الفصل الخامس

- (١) العادل والمنصف (بالعربية فى الأصل) . اشارة ساخرة الى الرسول (ص) .
- (٢) أبو سفيان .
- (٣) ابن هشام ، ص ٦٥٨ . ترجمة « غليوم » .
- (٤) ابن هشام ص ٧١٤ ؛ ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ٩٠ .
- (٥) الواقدي ، الجزء الثانى ، ص ٥٦٦ .
- (٦) انظر الفصل السادس لمناقشة المعاهدة .
- (٧) ابن هشام ، ص ٩٨١ . ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ٩٢ .
- (٨) ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ص ٩٢-٣ .
- (٩) ابن هشام ، ص ص ٧١٩-٢٠ .
- (١٠) الواقدي ، الجزء الثانى ، ص ص ٥٣٧-٥٤٩ .
- (١١) ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ص ٨٠-٨٤ .
- (١٢) الطبرى ، ص ص ٥٩٦-٦٠٤ .
- (١٣) البخارى ، صحيح ، باب غزوة ذى قرد ، الجزء الخامس ص ١٦٥ .
- (١٤) ابن هشام ، ص ٧٥٧ . القصة كلها واردة بالتفصيل عند ابن اسحاق ، وكذلك عند ابن سعد ص ص ١٠٦-١١٧ .
- (١٥) ابن هشام ، ص ٧٥٧ .
- (١٦) المرجع نفسه ، ص ص ٧٧٨-٧٥٥ .
- (١٧) ابن هشام ، ص ٧٥٨ .
- (١٨) ابن هشام ، وابن سعد أوردا أسماء الصحابة الذين قتلوا (ابن هشام ، ص ٧٦٩ ، ابن سعد الجزء الثانى ، ص ١٠٧) .
- (١٩) انظر الفصل السادس .
- (٢٠) ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ١٠٦ .

(٢١) ابن هشام ، ص ٧٦٠ ، ترجمة « غليوم » ، وابن سعد ، الجزء الثاني ص ١١٠ يعطى صيغة أقصر .

(٢٢) ابن هشام ، ص ٧٦١ : ابن سعد ، الجزء الثاني ، ص ١١٣ . ولم ترد هذه الأبيات في ابن هشام ، أو في الطبقات الكبرى لابن سعد ، وإنما وردت في تاريخ الطبري ، الجزء الثالث ، طبعة دار المعارف بالقاهرة . (المترجم) .

(٢٣) انظر الفصل التالي ، صص ١٩٧-٢٠٠ .

(٢٤) ابن سعد ، الجزء الرابع ، صص ٣٢٥-٣٤١ . محمود أبو رية ، أضواء على السنة المحمدية (القاهرة ، ١٩٥٨) ، ص ١٥٣ ، انظر أيضا :

G.H.A. Juynboll, *The Authenticity of the Tradition*

Literature : Discussion in Modern Egypt (Leiden, 1969) for « the adala of Abu Huraira », pp. 62-99.

« ج ١٠هـ٠ جوينبول » ، صحة أدب الحديث : مناقشات في مصر الحديثة (لايدن ١٩٦٩) عن « عدالة أبي هريرة » ، صص ٦٢-٩٩ .

(٢٥) البخاري ، صحيح ، كتاب المغازي ، « غزوة خيبر » ، الجزء الخامس ص ١٧٦ .

(٢٦) يحيى ابن آدم ، كتاب الخراج ، صص ٢٣-٢٥ .

(٢٧) ابن هشام صص ٧٧٤-٧٧٦ .

(٢٨) المرجع نفسه ، ص ٧٦٣ .

(٢٩) ابن هشام ، صص ٧٧٢-٧٧٣ .

الفصل السادس

طبيعة النزاع ونطاقه

« ماذا يجدى القارئ أن ينتقل بين
الحرروب والمعارك وحصار المدن
واسترقاق الشعوب إذا لم يتيسر له
النفوذ إلى معرفة الأسباب التي جعلت
أحد الطرفين ينجح وجعلت الطرف
الأخر يفشل فى المواقف التي وقفها
كل منهما ؟ » .

« بوليبيوس » Polibius .

كان يهود الحجاز عشية الهجرة ، كما ذكرنا فى الفصل
الأول ، نخبة متداعية ومجموعة تؤذن هيمنتها بالزوال
ولكنها لم تكن تدرك ما لحقها من خسران .

وتبدل حال الجماعات البشرية ليس ظاهرة جديدة .
وكم من نخبة ذات صولة فى التاريخ ذهب ريحها وأصبحت
أقلية خاضعة ! . وقد يكون تبدل حال المجموعة مفاجئا وعنيفا .
كما قد يكون سلميا وتدرجيا . وقد يساهم تغير الأوضاع
الاقتصادية وتغير المهارات اللازمة لفرض السيطرة كاختراع
البارود ، والثورة الصناعية ، واستبدال القوة الجوية بسيادة
البحار كثيرا فى أفول نجم مجموعة من الناس تعذر عليها
لسبب أو لآخر أن تلاحق موكب العصر الذى تعيش فيه .

وفى أواخر القرن الخامس كان اليهود يحكمون حمير
آخر ممالك اليمن المتوالية ، وكان لهم الحول والطول فى
يثرب ، كما كانوا يسيطرون على تيماء وفدك وخيبر ووادي

القرى على طريق القوافل الذى يمتد من الشمال الى الجنوب وبحكم ذى نواس (٥١٠ - ٥٢٥) الذى دارت فيه ، كما يقول « فيليبى » ، « أحداث من أفظع أحداث التاريخ » (١) انتهت مملكة سبأ اليهودية التى دامت قرابة قرن ونصف .

ويصيحان يعنبر هذا بدايه لافول نجم النخبة اليهوديه المسيطرة .

وفى حوالى سنة ٥٢٢ خير ذو نواس نصارى نجران بين أمرين : الارتداد عن دينهم والاستشهاد . ورفضت نجران قبول اليهودية ففضى عليهم ذو نواس بلا رحمة فى الأخدود (٢) . وكان لهذه الأنباء أسوأ وقع فى العالم المسيحى . نزل على أثرها جيش حبشى فى حمير وأعيدت « العربية السعيدة » من جديد الى حظيرة النصرانية . وفى نفس الوقت تقريبا توحد الأوس والخزرج تحت زعامة مالك ابن عجلان القديرة ، وتحقق لهم فى النهاية التساوى مع اليهود بل السيطرة عليهم (٣) . وتحولت المستوطنات اليهودية فى الحجاز التى أقيمت ، كما يقول « تورى » ، كمنشآت تجارية أساسا (٤) ، بالتدريج الى مزارع وحدائق نخيل ، وفقدت أطامهم التى بنيت فى الأصل لصد غارات البدو وظليفتها كمعاقل وحصون لحمايتهم من خصم كان تكتيكه يختلف كل الاختلاف عن تكتيك البدو المغيرين . ولم يتمكن الأوس والخزرج عندما ذهبوا الى يثرب من أن يبنوا الا ثلاثة عشرة أطما ، بينما كان لليهود تسعة وخمسون أطما (٥) على أن الأوس والخزرج وغيرهما من القبائل كان لهم عشية الهجرة أكثر من ثمانين أطما (٦) .

وقد أضعفت حرب بعاث ، التى وضعت أوزارها قبل الهجرة بخمس سنوات ، كلا من الأوس والخزرج . وكان للفرقة التى نتجت عن هذه الحرب أثر بعيد على تاريخ الاسلام الأول اذ أنها كانت من العوامل التى شجعت الرسول ﷺ على اللجوء الى يثرب ، وكما قالت عائشة رضى الله عنها :

« كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله ﷺ فقدم رسول الله ﷺ. وقد افترق ملؤها وقتلت سروا تهيم وجرحوا في دخولهم في الاسلام. » (٧) .

وكان اثر هذه الحرب اسوأ من ذلك بكثير على يهود يترب . لقد عانوا منها اولا باعتبارهم حلفاء للاوس ولخزرج ، وبنفس النسبة ، ما عاناه الفريقان العربيين المتحاربين . ولكن هناك اثرا اخطر من ذلك بكثير هو انهم فقدوا كيانهم كمجموعة كان كلا الاوس والخزرج ينشدون تعضيدها ، وكانت تلعب دورا في غاية الأهمية في المحافظة على توازن ميزان القوى .

ولم يكن فقد النفوذ لدى قبائل يثرب المتناحرة هي الخسارة الوحيدة . لقد وجد اليهود ، الذين يبدو أنهم كانوا يسيطرون على حياة يثرب الاقتصادية ، منافسا لهم في المجتمع التجاري الجديد ، مجتمع المهاجرين من - قريش مكة - الذين كانوا يشتغلون بالتجارة . ألم يقل أبو هريرة حين انتقده البعض لكثرة ما ينقله من حديث عن رسول الله ﷺ :

« ان اخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضيهم وان اخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني فأشهد اذا غابوا وأحفظ اذا نسوا » (٨) .

وما كان باستطاعة اليهود أن ينسوا أنهم كانوا أول من أقام في يثرب أو أنهم يمثلون حضارة راقية . وما كان بوسعهم ، بالرغم من أن مركزهم السياسي والاقتصادي كان مهددا ، أن يقبلوا دعوة الرسول ﷺ على أساس آية :

(تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله) (٩) .

لقد واجهوا عنيد ظهور الاسلام ، للمرة الأولى في تاريخهم موقفا دعوا فيه للانضمام الى أمة أوسع من أمتهم ، ليس تماما

على قدم المساواة مع أفرادها ، لكن بشروط سخية • وكان بوسع الذاكرة اليهودية الجماعية أن تفكر في عبودية اليهود في مصر ، وفي عودتهم الى فلسطين ، وفي تدمير اورشليم ، وفي ثورة « باركوشبا » ضد روما سنة ١٣٢ (★) ، وفي مملكة حمير اليهودية ، وفي اضطهاد النصارى في نجران ، وفي اضطهادهم على يد هرقل ، وفي ثباتهم البطولي على عقيدتهم في ظروف لا تكف عن التدهور ، وفي دخولهم القسرى في المسيحية (١٠) • ولكنهم لم يدروا كيف يتصرفون أمام الموقف الجديد • ومن سوء الحظ أن يهود يثرب لم يقيض لهم في هذه الفترة الحاسمة رؤساء على مستوى عال من الحكمة والكفاءة ، فجانبهم الصواب •

كان حبي بن أخطب وكعب بن أسد يجسدان افلاس الزعامة اليهودية ولم يدرك اليهود تمام الادراك أنهم بسبيل فقد نفوذهم وسلطانهم ، وترتب على ذلك أنهم عجزوا عن تكيف أنفسهم وفقا لتبدل وضع جماعتهم بوصول الرسول ﷺ من جماعة مسيطرة الى جماعة غير مسيطرة • ومن سوء الحظ أن تضائل نفوذهم قد أوغر صدورهم وجعلهم في لهفة للانتقام واستعادة سلطانهم في المدينة ، ودفعهم الى التحالف

(★) باركوشبا يهودى ظهر في فلسطين وادعى أنه المسيح ، وأنه من نسل الملك داود ، ودعا اليهود والنصارى للثورة على الحكم الرومانى • وقد انضم اليه عشرات الآلاف من اليهود ، وأما النصارى فلم يستجيبوا لندائهم ، لأنهم يعتبرون أن المسيح الذى يؤمنون به هو المسيح الذى بشرت به كتب العهد القديم من الكتاب المقدس • وأرسل الامبراطور الرومانى هادريان القائد يوليوس سيفردس الى الاراضى المقدسة لقمع ثورة اليهود فدخلها على رأس قوة من (٣٥) مقاتلا • وهزم باركوشبا القوة الرومانية التى كانت تفوق قواته عددا بكثير ، فقرر القائد الرومانى اتباع تكتيك الحرب الشاملة وأحرق كل شئ لم تكن فيه فائدة لجيوشه وأثنى فى الأرض ، وقتل كل من اعترض طريقه من المقاتلين وغير المقاتلين ، رجالا ونساء واطفالا وداية • وبعد مجزرة رهيبة نكل الرومان فيها باليهود بلا هوادة ، وقضوا فيها على معظمهم استسلمت قوات باركوشبا وقتل باركوشبا نفسه فى المعركة ، وحرمت مدينة اورشليم وما كان فى الماضى فلسطين يهودا على فلسطين • وبنى الامبراطور هادريان على انقاض اورشليم مستعمرة رومانية اسمها « كولونيا ايليا كابولين » - « المترجم » •

مع قريش مكة . ويقول « مونتجمري واط » فى هذا
الصدد :

« لو أن محمدا نجح فى تنفيذ خطته لما كانت أمام اليهود
فرصة لاحتراز السلطة العليا . ومن الجائز أنهم كانوا قد
إدركوا أن المهاجرين سيكون لهم على محمد ، بصفة فعلية ،
نفوذ أكبر من نفوذ الأنصار . » اذ أن بعض الأنصار كان
يأمل فى عقد حلف مع عبد الله بن أبى « (١١) » ولم يقتنع
اليهود بضرورة التلاؤم مع الوضع الجديد حتى بعد أن خاب
مسمعهم . ومن هنا ، كما يقول « جراتز » : « سخر خصوم
محمد من اليهود مما كان يقوله أو ما كان يتلقاه من وحي
وعاملوه باحتقار » (١٢) .

ان يهود يشرب يلخصون مأساة مجموعة من الناس فقدت
مرساها . والتوترات التى كانت قائمة فى المدينة سنة ٦٢٧
ميلادية تصور أزمات هيكل اجتماعى لم يكونوا هم سوى
لجزء صغير منه . ونظرا الى أنهم كانوا قد اندمجوا فى
الأغلبية العربية فانهم لم يحتفظوا الا بالأشكال الخارجية
ليهوديتهم ، ولم يكن يميزهم عن سائر العرب سوى عقيدتهم
التوحيدية وقوانينهم بالحلال والحرام فى المأكل . وكان
المفروض أن تتضاءل الفروق بينهم وبين باقى العرب أكثر
نتيجة لعقيدة التوحيد عند المسلمين ولكن البحوث أثبتت
« أن المجموعات تصبح فى بعض الأحيان أكثر وعيا بتعارض
هوياتها فى الوقت نفسه الذى يتضاءل فيه ما بينها وبين
الجماعات الأخرى من اختلافات خارجية » (١٣) ولم يستجب
اليهود للوضع الجديد بتغيير موقفهم وتنظيمهم الاجتماعى
بل ارتدوا الى أساليبهم القديمة المجربة وأبرموا أحلafa
جديدة مع العرب غير المسلمين ، ولم يتصوروا أن ينتهى
الأمر بانتصار المسلمين لا قريش . وكان من سوء طالعهم
أن التغيرات الأساسية التى حدثت فى المجتمع الكبير من جهة
وسمات الأقلية اليهودية من جهة أخرى قد تقررنت كنتيجة

بصفات اثنين من زعمائها هما : جعيب بن أسد وجعبي بن
أخطب ، وكان أحدهما ضعيف الشخصية مترددا ، والآخر
مولعا بالدس والوقعة .

ولمّا كان الاضمحلال الاقتصادي يتم بالتدريج وكان
لدى النخبة المضمحلة من الوقت والفرص ما يكفي لتأخير
عملية الاضمحلال أو حتى لعكسها ، فإن تطور فنون الحرب
وعندم فهم طبيعة هذا التطور والتكيف أو الانسحاب وفقا
لمقتضياته أمران فيهما الحثف الأكيد . لقد دارت الدائرة
على يهود يثرب وعجز يهود خيبر عن تحطيم قوة المسلمين
الصغيرة التي هاجمتهم لأنهم ظلوا حتى النهاية لا يدركون
أن أطامهم لم تعد تكفل لهم الحماية .

وكلمة أطم كلمة أصلها غير معروف بصورة يقينية ،
ويقول علماء العرب أنها كلمة عربية تعني العلو والارتفاع .
أما علماء اليهود فيقولون انها كلمة عبرية ، وأن الأطم هو
حصن بنى في مكان مرتفع . وكانت توجد داخل الأطام
مخازن وصوامع وقاعات اجتماع ومدارس ومعابد وخزائن
وبيوت للسلاح . وكان فيها أيضا ينابيع تزود الناس بماء
الشرب . وكان الناس يحتمون بالأطام من غارات البرد .
ولم يكن الأعراب المغيرون يملكون ما يلزم من المعدات
والمؤن والصبر لفرض حصار طويل . وكانت حروب العرب
ذاتها أشبه بالمباريات القتالية التي كانت معروفة في أوروبا
في العصور الوسطى . تبدأ بهجاء للعدو وفخر بالذات . وكان
الهجاء عنصرا من عناصر الحرب لا يقل أهمية عن القتال
الفعل (١٤) .

وكان الشاعر يذم أعداءه ويقذفهم باللعنات ويشيد
بأمجاد قبيلته . وبالرغم من أن الشار كان يمتد لفترات
طويلة وأن الانتقام كان يتوارث جيلا بعد جيل فإن المعارك
لم تكن طويلة ولا متصلة . لقد كانت حرب الفجار وحرب
بعث مثلا حزبين طويلتين ولكن حلقاتهما كانت قصيرة .

وعلى عكس الحرب التي كان يمكن أن تنشب في أي وقت وان تدور فيها معركة حاسمة بين عشية وضحاها كان الحصار يحتاج الى أعداد طويلة . وتقدير قوة أي مكان حصين مسألة ليست سهلة والخطأ في تقدير هذه القوة قد يكون وبالاً على مرتكبه ، والتاريخ حافل بمثل هذه الأخطاء ذات التكلفة الباهظة .

وأهم عامل - بل العامل الحاسم - في أي حصار هو قدرة كلا الطرفين على التصميم وعلى التحمل .

« وهاتان الصفتان لازمتان بوجه خاص لدى الطرف الذي يفرض عليه الحصار . ويجب أن يكون هذا الطرف مؤمناً بعدالة قضيته ايماناً راسخاً وأن يكون على يقين من احراز النصر في نهاية الأمر . وقد يكون للخوف من الهزيمة دور كبير في شحذ عزيمة المدافعين . . وأثناء الحصار تبرز أفضل وأسوأ الصفات عند من يتحملونه» (١٥) .

والحصار يختلف عن أية حرب عادية ، فالمحاربون من الطرفين في الحرب العادية معظمهم من الجنود . أما في الحصار الذي ليس حصاراً لحامية عسكرية فان أغلبية من يتعرضون له تتكون من الرجال والنساء والأطفال غير المحاربين ممن يسهل تحطيم معنوياتهم وانضباطهم . ان الأطفال والنساء والمسنين يكابدون فيه نفس المشاق التي يكابدها الجنود ويضطلون بناره بصورة مباشرة وإذا حلت بفريقهم الهزيمة فانهم يشاركون الجنود سوء المصير . وقد ينسف المرض والجوع أمنع الحصون .

لقد أثر يهود الحجاز أن يلوذوا بأطامهم ويحتموا بها في المعارك الأربع الكبرى التي نشبت بينهم وبين الرسول ﷺ . وأكبر عبء في الحصار انما يقع على عاتق قائد المدافعين . « والمفروض أن يجتمع للقائد عدد كبير من المواهب والقدرات . فيجب أولاً أن يكون شجاعاً وأن يبدو شجاعاً دون تهور . ويجب أن تتوافر له أو أن يكتسب هبة شخصية

تجمل منه قائدا مطاعا عند قواته ، . . ومثل هذا الرجل يجب أن يظل رابط الجأش لا يتزعزع أمام النكبات والانتكاسات ، وأن يبث فيمن حوله جوا من الثقة الوطيدة في النصر النهائي » (١٦) .

وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك من مرات حصار يشرب الثلاث أن القيادة اليهودية كانت تفتقر الى هذه الصفات . أما في خيبر فكانت الصورة مختلفة ، ومع هذا ، أيضا ، فان القيادة الموحدة لليهود لم تكن ممكنة فيها .

ولم يذكر ابن اسحاق ولا الواقدي ولا ابن سعد في روايتهم للنزاع مع بني قينقاع اسم أى قائد من قادة هؤلاء اليهود التعساء .

ولم يكن ذلك لقلة فى الشخصيات البارزة ممن ذكرت أسماءهم فى سياقات أخرى . لقد أورد ابن اسحاق أسماء ثمانية وعشرين من كبار أعداء الرسول ﷺ من بني قينقاع (١٧) . وكان رفاعه بن قيس أحد هؤلاء ، وهو الذى ذهب الى الرسول ﷺ يسأل عما ولاه عن قبلته فى بيت المقدس (١٨) . كذلك كان رفاعه يأتى الى الأنصار فيقول لا تنفقوا أموالكم وكان اذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه بكلماته (١٩) . وفنحاص حبر آخر من أحبار بني قينقاع وقد أحنق أبا بكر بقوله ان اليهود ما بهم الى الله من فقر ، وانه اليهم لفقر (٢٠) . وثمة يهودى آخر هو شاس بن قيس أمر قبل ذلك شابا من يهود بانشاد بعض أشعار يوم بعث للأنصار (٢١) .

ولكن ابن اسحاق لم يذكر اسم أى زعيم من زعماء بني قينقاع سواء عشية الحصار أو أثناءه أو بعده . وكان هناك (٧٠٠) مقاتل من بني قينقاع ممثلئى البطون لا ينقصهم شيء ، ثلاثمائة منهم دارعون . ولو كان على رأسهم قائد أوتى ولو قسطا متواضعا من الخبرة العسكرية لدخل فى معركة مع

الرسول ﷺ خارج الحصون ، وكان في مقدور بنى قينقاع وحصونهم الى ظهورهم أن يوقعوا الهزيمة بجنود المسلمين الذين لم يكن عددهم يجاوز الثلاثمائة ، دون عناء . وهم ، بخلاف قريش في غزوة بدر ، لم يكن يموزهم الماء ، كما أنهم لم يكونوا يعسكرون في العراء .

ومن الناحية الاستراتيجية فهم في مركز أقوى من مركز المسلمين . وسوقهم تقع قريبا من جسر وادى البطحان ومن أطم على الجانب الشرقى من الجسر . وكان بوسعهم ، وحيهم (٢٢) يمتد على جانبي الجسر أن ينزلوا أكبر الخسائر بالمسلمين في أية معركة مفتوحة ون ينسحبوا الى حصونهم ثم يعاودوا الهجوم من جديد في الوقت الذى يختارونه .

وكان المسلمون معسكرين خارج المدينة . وبالرغم من أنهم كانوا قد امنوا طريق تموينهم فانه لم يكن باستطاعتهم أن يضمنوا استمرار وصول المؤن اذا امتدت المعركة طويلا . أما بنو قينقاع فقد أغلقوا على أنفسهم أبواب أطمهم . ويبدو أنهم لم يبذلوا أية محاولة للقتال أو لفك الحصار .

وكان كل ما فعله الرسول ﷺ هو أن ذهب وجلس مع رجاله خارج الأطم . ولم يحدث قتال ، وكان باستطاعة الرسول ﷺ أن يجلس فى صبر وينتظر .

ولم يكن بوسع بنى قينقاع أن يصمدوا أكثر من خمسة عشر يوما (٢٣) . وتخبرنا مصادرنا أنهم كانوا أشجع اليهود (٢٤) وأنهم كانوا « أصحاب الحرب » (٢٥) هؤلاء هم القوم الذين حموا عبدالله بن أبى من جميع أعدائه (٢٦) . لقد انقضت أيام شجاعة بنى قينقاع وبدا اضمحلالهم وشيكا .

وكان لدى بنى النضير عدة أطام وكان لديهم ما يكفى من العدة والمؤونة . ويقول الواقدي : ان ما كان بحوزتهم من الطعام كان يكفى لسنة ، وأن مياههم كانت غزيرة ، وأنهم تزودوا بحجارة ليقذفوا بها القوة المهاجمة .

ومع التسليم بان الواقدي يميل الى المبالغة والى حشو ما يرويه بتفاصيل من نسج الخيال ، فقد كان استعداد بنى النضير لمواجهة الحصار الطويل أكبر بكثير من استعداد بنى قينقاع . ولم يكن المسلمون ، من الجهة الأخرى ، بعد هزيمتهم فى أحد وبعد مذبحه بئر معونة ، فى مركز يسمح لهم بضرب حصار طويل .

ويبدو أن الرسول ﷺ كان يدرك مواطن قوتهم ومواطن ضعفهم وأنه ، لكى يحطم معنويات المدافعين ، أمر ، خلافا لعادة العرب ، بتقطيع أشجار النخيل وحرقتها . وكانت هذه الأشجار ضائعة على أية حال ولم يكن يهم بنى النضير فى وضعهم ذاك ما اذا كان المسلمون قد أحرقوا أو استولوا عليها . ولو أن بنى النضير انتصروا لزرعوا غيرها . ولو أنهم هزموا فقد كان مآلهم الى النفى ولم يكن باستطاعتهم ساحتها أن يستغلوها . ولم يكن بوسع حبي بن أخطب ، الذى لم تكن له حنكة القائد الحربى وان كان صاحب مكيدة ، أن يتنبأ بأن الحصار الطويل سيكون فى صالح المسلمين ، وكان تقديره أن هذا الحصار سيدخل الاضطراب على حياة يثرب اليومية ، وسيتيح الفرصة لعبد الله بن أبى بن سلول ولغيره ممن أحنقهم الاسلام ووصفهم القرآن بالمنافقين لاشعال نار الفتنة وللانضمام الى بنى النضير فى الوقت المناسب .

لقد بعث المنافقون الى بنى النضير رسالة يقولون فيها :

« اثبتوا وتمنعوا . . ان قوتلتم قاتلنا معكم » (٢٧) .

ولكن المسلمين لم يروا داعيا للهجوم ، وكل ما فعله الرسول ﷺ هو أن أحرق نخلات قليلة وجلس مع أصحابه . وفت فى عضد اليهود فاستسلموا دون قتال . وقد ألمح القرآن الكريم الى عدم وقوع عمليات حربية فى هذه الآلة :

« . . فما أوقفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير » (٢٨) .

وإذا كان بنو قينصاح وبسو النصير قد قنعوا بخلق إبراب
أطامهم على أنفسهم فان بنى قريظة ، وفقا لقول الواقدي
وابن سعد ، أبدوا مقاومة حدث خلالها تبادل فى إطلاق
السهام وقذفت فيها حجارة (٢٩) ولحقت كلا الجانبين فيها
بعض الخسائر . ويقول الواقدي وابن سعد ان الحصار لم
يستمر أكثر من خمسة عشر يوما ، لكن ابن اسحاق يقول
انه استمر خمسة وعشرين يوما . وقد أخذ المسلمون بنى
قريظة على غرة وكانت هذه الغزوة من قبيل الحرب الخاطفة .
لقد قاوم المسلمون أنفسهم الحصار فى غزوة الأحزاب
قراية الشهر . ولم يكن بنو قريظة يتوقعون ان يهاجموهم
فور عودتهم من الجبهة . وكان جيش المسلمين هذه المرة
يفوق مقاتلى اليهود عددا ، فقد اشترك فى هذه الغزوة (١٠٠٠) مسلم
ضد عدد يتراوح بين (٦٠٠) و (٩٠٠) من بنى قريظة .
لكن الوقت كان شتاء وكان المسلمون يعسكرون فى العراء .
اما اليهود فكانت تحميهم حصونهم وكان لديهم ما يكفى من
المؤن . وأهم من ذلك أنهم لم يكونوا قد اشتركوا فى قتال
بخلاف المسلمين الذين كان الجوع والاعياء قد أخذ منهم كل
مأخذ . ولو أن اليهود قرروا خوض معركة فى العراء لكانت
لهم ميزة كونهم يحاربون فى أرضهم ، وأنه كان باستطاعتهم
أن يستخدموا طريقة الكر والفر فى حرب استنزاف لم يكن
للمسلمين قبل بها .

ولم يكن المسلمون حتى ذلك الوقت قد أخضعوا قريشا
ولا غطفان ولا يهود خيبر ولا ، فى الواقع ، أيا من القبائل
العربية . وكان من المحتمل أن ينتهز هؤلاء الأعداء أقل
بادرة ضعف عند المسلمين ليغيروا عليهم .

ورغم أن حى بن آخطب كان مع بنى قريظة فلم يكن
هناك ما يمنع زعماء بنى النصير الآخرين من تنظيم المساعدة
وتقديم العون لهم . والواقع أن منافقى المدينة كانوا على
ما يبدو لا يزالون يطعمون فى عودة الأحزاب لهاجمة المدينة .

وهناك اشارة محددة الى هذا الامل فى القرآن الكريم ،
فى قوله تعالى :

(يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وان يأت الأحزاب يودوا
لو أنهم يادون فى الاعراب يسألون عن أنباءكم) (٣٠) (٣٠) .

على أن معنويات القيادة اليهودية كانت فى الحضيض .
ويظهر من تخاذل بنى قريظة أنهم كانوا يفتقرون الى زعيم .
وكان كعب بن أسد يتصرف كرجل بلغ منه اليأس كل مبلغ .
ومع أن المحن تبرز أحيانا صفات بطولية خارقه فى القوم
المحاصرين فان بنى قريظة كانوا غارقين فى بحر من القنوط ،
تخلت عنهم صفات الزعامة والشجاعة والتحمل التى اتصفوا
بها خلال حرب بعاث أو حتى قبل ذلك .

ان تقسيم حياة الرسول ﷺ الى فترتين ، هما : الفترة
المكية ، والفترة المدنية تقسيم يبدو واضحا ومنطقيا . لكنه
تقسيم يبسط الأمور أكثر مما ينبغى . لقد نجا الرسول ﷺ
والمهاجرون بالهجرة من الاضطهاد ، لكن الهجرة لم تنه
كفاح المسلمين من أجل البقاء .

ولعل الأولى أن تقسم حياة الرسول ﷺ الى ثلاث
مراحل : الأولى تمتد الى سنة بعته ، والثانية تبدأ من هذا
التاريخ وتمتد الى صلح الحديبية وخيبر ، والثالثة تبدأ من
خيبر وتنتهى بوفاة ﷺ . ومن الممكن أن تقسم المرحلة
الثانية تقسيما فرعيا الى فترتين : فترة الاضطهاد وفترة
النضال المسلح ، أو نسميها فترات (١) النضال المكي (٢)
النضال المدنى (٣) نشر الدين . وأيا كان التقسيم الزمنى
الذى نأخذ به فان الحديبية وخيبر يمثلان قطعا حدين
فاصلين فى تاريخ فجر الاسلام . لقد كان أكبر عدد من
الناس استطاع الرسول ﷺ أن يجمعهم حوله فى أرض
المعركة حتى نهاية السنة السادسة من الهجرة هو ٣٠٠٠
مقاتل . ويؤخذ من مصادرنا أن هذا كان عدد من اشتركوا

فى الدفاع عن المدينة خلال عزوة الاحزاب (٣١) . على
أن عدد من خرجوا فى أى غزوة من الغزوات لم يعتمد
١٦٠٠ (٣٢) . وهذا الرقم يعطى فكرة صحيحة الى حد كبير
عن قوة المسلمين فى السنوات الست الأولى من الهجرة .

والملاحظ أن القبائل العربية لم تقبل على الاسلام اقبال
المهاجرين والآنصار . وفى هذا يقول «مونتجمرى واط» :
« ان الاسلام لم يمس سوى قلة من القبائل القريبة من مكة
والمدينة » (٣٣) وما كان للصراع المتصل مع قريش وللحرب
الباردة مع صفوة اليهود فى الحجاز أن يساعد على نشر لواء
الدين فنشر الدين يحتاج الى استقرار وسلم لم يكونا
متوافرين .

لقد ناهز الرسول ﷺ الستين ولم يحقق الا نجاحا قليلا
على الصعيد المحلى . ولم يكن فشل محاولات مكة واليهود
للقضاء عليه وعلى أصحابه فى معركة الأحزاب سوى نجاح
سلبى للمسلمين بقى المسلمون بعده محصورين فى المدينة
آمنين داخل حدودها ، وقادرين على ارسال السرايا ، لكنهم
عاجزون عن التوسع . ووقفت مكة وخيبر بأحلافهما القبليّة
والضالعين معهما صامدتين فى معارضتهما للاسلام .

واذا كانت مكة واليهود قد أخفقوا فى قطع دابر
الاسلام ، فمن الجائز أيضا أن الرسول ﷺ كان يدرك مدى
تعذر كسبهم لدينه . وقد اتخذ صلى الله عليه وسلم بعد
معركة الأحزاب بقليل اجراءين يوحيان بأنه قرر تعديل
استراتيجيته فى محاولة لتحييدهما والعمل ، وقد أصبح قوة
يحسب حسابها فى المدينة ، على الوصول معهما الى حل
توفيقى .

وفى سنة ٦٢٨ (٦ هـ) ، وكانت امبراطورية بيزنطة
والامبراطورية الساسانية ، وقد أنهكت الحرب قواهما ،
تتفاوضان على السلم بعد ستة وعشرين عاما من الخصومة ،
اتخذ الرسول ﷺ بدوره خطوة نحو السلم فأعلن أنه ماض الى

مكة للعمرة ، والحج والعمرة بطبيعتهما يفترضان السلم .
واستنصر الرسول ﷺ المسلمين للخروج معه وساق معه الهدى
ولم يكن المسلمون يحملون سوى سلاح المسافر أى السيوف
فى القرب . وقد صحب الرسول ﷺ فى هذه العمرة ١٦٠٠
مسلم ومسلمة . ونزل الرسول على عشرة أميال الى الشمال
الغربى من مكة ولكن قريشا وقفت بينهم وبينها لمنعهم من
دخولها ولم تسمح لهم بأداء العمرة . على أن الرسول ﷺ
حصل منهم بدلا من ذلك على ميثاق عدم اعتداء كانت شروطه
كالآتى :

- ١ - اصطالح المسلمون وقريش على وضع الحرب عن الناس
عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض .
- ٢ - من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ،
ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه .
- ٣ - وأن بينهم عيبة (★) مكفوفة ، وأنه لا اسلال (★★)
ولا اغلال (★★★) .
- ٤ - من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ،
ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه .
- ٥ - يرجع المسلمون عامهم ذلك دون أن يؤدوا العمرة .
- ٦ - للمسلمين فى العام التالى أن يؤدوا العمرة وسيوفهم فى
قربها لا يدخلون غيرها وأن يقيموا بمكة ثلاث
ليال (٣٤) .

وكان فى هذه الشروط غبن ظاهر . « ووثب عمر فأتى
أبا بكر فقال : أوليس برسول الله ، أولسنا بالمسلمين ،
أوليسوا بالمشركين ؟ ووافق أبو بكر فقال عمر : فعلام نعطى

(★) أى صدور منطوية على ما فيها ، لا تبدي عداوة ، وضرب العيبة مثلا .
(★★) الاسلال : السرقة الخفية .
(★★★) الاغلال : الخيانة .

الدنية (★) فى ديننا ؟ تم اتى رسون الله ﷺ وسأله الأستلة ذاتها «(٣٥) ، وقد حقق الرسول ﷺ بهذا الصلح سلما كان فى مسيس الحاجة اليه وذلك لقاء تقديم عدد كبير من التنازلات .

وبدا الرسول ﷺ بعد عقد هذا الميثاق مع قريش حريصا على الوصول الى تسوية ما مع ثانى قوة فى الحجاز أى مع يهود خيبر . وكانت غزوة خيبر واحدة من أخطر الغزوات التى قام بها الرسول ﷺ حتى ذلك الوقت . وقد سار فيها مع قوة من ١٦٠٠ رجل مقابل ١٠٠٠٠ يهودى متحصنين داخل حصونهم و ٢٠٠٠ رجل من غطفان ينتظرون خارجها فى العراء . لم تكن هذه الغزوة كغيرها من الغزوات وكانت الاحتمالات فيها ترجح هزيمة المسلمين .

كانت أكثرية القبائل العربية لا تزال على وثنيتها ، وكانت قد علمت بتراجع المسلمين عن الحديبية ، وهذا بيان صممت عنه مصادرنا الأولية . ويختلط التاريخ الحقيقى والرغبة فى تفخيم الأبطال هنا اختلاطا تصعب معه اعادة الأحداث كما وقعت . وللمرء أن يتساءل فى هذا الموضع : ما الذى جعل الرسول ﷺ بعد أن رده قريش على عقبيه يخرج فى غزوة كانت فرص نجاحها تبدو قليلة ؟ والظاهر ، ردا على هذا السؤال ، أن الرسول ﷺ قرر بعد الحادثة المؤسفة التى وقعت فى القرقة وقتل فيها اليسير بن رزام ، أن يذهب بنفسه ليتفاوض على السلم مع يهود خيبر وصحب معه فريقا كبيرا من أصحابه الأوفياء الذين كان يعتمد عليهم والذين بايعوه تحت الشجرة فى الحديبية فى البيعة المعروفة ببيعة الرضوان على ألا يفروا حتى الموت (٣٦) . وكانت هذه الخطوة خطوة احتياطية سديدة . ولم يكن الرسول ﷺ يريد حربا ، وقد اشترط فيمن يريد الخروج معه أن يكون

(★) الدنية . الذل والامر الخسيس .

غازيا متطوعا ليس له من الغنيمة تنىء (٣٧) . كان ذاهبا الى عدوه فى قلب معقله ليتفاوض معه على السلم وليوقع معه معاهدة تضمن السلام . وكان الاحتمال أنه اذا وفق فى مسعاه فسيعود بميثاق عدم اعتداء ، وان لم يوفق فسيمنى بهزيمة كهزيمة أحد (٣٨) وأنه لن تكون هناك غنائم فى أى من الحالتين . ولم يرد الرسول ﷺ أن يصحب معه فى هذه الغزوة شخصا قد يسىء وجوده الى معنويات قوته الصغيرة .

وكان قد سبق للرسول اتخاذ مبادرة للسلام ، فقد بعث الى خيبر رسالة قال فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صاحب موسى وأخيه ، والمصدق لما جاء به موسى . الا ان الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة ، وانكم لتجدون ذلك فى كتابكم :

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم فى التوراة . ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلط فاستوى على سوقه يعجب به الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) . (٣٩) »

وانى أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذى أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذى أبيض البحر لآبائكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله ، الا أخبرتمونى : هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فان كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كره عليكم :

(قد تبين الرشد من الغى) (٤٠)

فادعوكم الى الله والى نبيه (٤١)

وليس فى هذه الرسالة جديد - وهى تمثل ، سواء فى لهجتها أو فى عبارتها ، نهج الرسول ﷺ فى مطابقة رسالته برسالة موسى ، وقد جاء فيها ذكر رابطة الأخوة التى تربطه ﷺ بموسى الذى لقيه حين أسرى به ليلا الى المسجد الأقصى (٤٢) . والرسالة هى دعوة الى الاسلام مشفوعة بعبارة تفيد انه لا إكراه فى الدين .

وليس فى الرسالة ما يثير أى شك فى صحتها وليس فيها تناقض داخلى أو مفارقة تاريخية . ومن غير المتصور أن تكون قد اصطنعت لتسويغ الهجوم على خيبر ، فهى أولا لا تشتمل على شىء يومىء ولو من بعيد الى أى تحرش صادر عن يهود خيبر . وابن اسحاق ثانيا لا يقدم فى العادة مسوغات لهجوم المسلمين على اليهود .

وقد لاحظنا من قبل أنه لم يسق أى سبب للانداز الذى وجهه الرسول ﷺ لبني قينقاع (٤٣) . ثم هناك حالة التاجر اليهودى ابن سنيئة الذى قتله محيصة دون استفزاز (٤٤) . يضاف الى ذلك أن الرسالة لم يرد ذكرها فى قصة خيبر ، بل فى الفصل المتعلق بالاشارة الى المنافقين واليهود فى سورة البقرة .

وما كان يمكن لزور لاحق أن يستخدم الأسلوب المهادن الذى استخدم فيها ، والذى تتضح فيه رنة المناشدة . ولم يبين ابن اسحاق تاريخ هذه الرسالة ولكن اكتشاف هذا التاريخ أمر ليس بالعسير . انها تنقل الآية الأخيرة من سورة الفتح .

وعلماء المسلمين متفقون على أن هذه السورة نزلت والرسول ﷺ فى طريق عودته الى المدينة بعد توقيع صلح الحديبية (مارس ٦٢٨ / ذو القعدة ٦ هـ) (٤٥) . وكان الرسول ﷺ قد أرسل فى شهر ذى الحجة من السنة نفسها رسائل الى الملوك . ولما كانت غزوة خيبر قد وقعت فى أوائل

السنة السابعة من الهجرة (مايو - يونيو ٦٢٨) فالغالب أن هذه الرسالة أرسلت مع تلك الرسائل . ولم يرد يهود خيبر على هذه الرسالة ، أو ردوا لكن المؤرخين المسلمين لم يسجلوا ردهم .

وتسلسل الأحداث ، أى ميثاق عدم الاعتداء الموقع فى الحديبية ، والرسالة الموجهة الى يهود خيبر ودعوة رزام للحضور الى المدينة تجعلنا ننتهى الى أن الرسول ﷺ كان بحاجة الى اقرار السلم بأى ثمن . بل ان المرء حين يتأمل شروط الحديبية يخيّل اليه أن هدف السلم مع صون الشرف قد تغير وأصبح تقريبا السلم بأى ثمن . ولهجة الملاينة فى رسالة الرسول ﷺ الى خيبر لهجة ملفتة للنظر حقا اذا أخذنا فى اعتبارنا ما لقيه من جانب يهود المدينة من معارضة شديدة .

لقد أسمى نفسه فيها « صاحب موسى وأخاه » وقال : انه « المصدق لما جاء به موسى » ودعاهم « بالله وبما أنزل الله عليكم وبالذى أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى » وناشدهم لقبوله كرسول ثم أضاف « فان كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كره عليكم » .

كان العمر قد تقدم برسول الله ﷺ وكان بحاجة الى السلم ، وكان يدعو اليه بحرارة . لكن يهود خيبر كانوا قد فقدوا وقتها السيطرة على مقاديرهم وكانت مقاليدهم قد انتقلت الى أيدي زعماء بنى النضير المنفيين (٤٦) . وكان قد سبق لهؤلاء الزعماء أن جروا الخراب على قبيلتهم وها هم الآن يعيشون بمصير أولئك الذين كانت لهم المصلحة كل المصلحة فى التوصل الى حل وسط مع قوة الاسلام الصاعدة .

وقد كرر الرسول ﷺ فى رسالته ما جاء فى القرآن الكريم من أنه « لا اكراه فى الدين » وقرر أن قبول الاسلام ليس الزاميا . كانت أمة الاسلام الجديدة بحاجة الى الأمن .

وكان وجود شعب معاد على مسافة ٩٠ ميلا فقط من المدينة يشكل خطرا كبيرا على المجتمع الجديد .

كذلك فان الرسول ﷺ ، كأي قائد حصيف ، لم تغب عن فطنته مخاطر الحصار المحتملة . لقد كانت حصون خيبر تقع على هضبة جبلية عالية وكانت تحيط بها أودية زرعت زراعة مكثفة ومستنقعات تعيث فيها الملاريا ، وكانت هذه الحصون تمتد على رقعة واسعة وموقعها يتحدى أى حصار . ويقول « بلفيد » فى دراسة قام بها لطبيعة الحصار :

« اهم ما يحاول المهاجمون عمله هو فصل المكان المحاصر عن العالم الخارجى ، وهذه دائما عملية شاقة ، وهى عملية طويلة فى معظم الأحيان . لهذا فما من حكومة تشرع فى فرض حصار كبير الا بعد ترو كثير ، كما أنها لا تقدم على الحصار الا اذا بدا لها أن الاحتمالات مشجعة لتحقيق نجاح سريع نسبيا . » ان تقدير مدى مناعة عناصر الدفاع الطبيعية والمصنوعة لأى مكان محصن مسألة فى غاية التعقيد ، والتاريخ فى مثل هذه الأحوال ملئ بالأخطاء ذات التكلفة الباهظة . ويمكن أن يقال بصفة عامة ان المعادل الطبيعية مثل مالطة وجبل طارق تهزم المهاجم دائما ، أو تسبب له خسائر فادحة قبل أن يتغلب عليها » (٤٧) .

وقد دخل الرسول ﷺ المعركة كحل أخير . ولا يبدو أنها كانت معركة حاسمة رغم أن المؤرخين المسلمين حاولوا أن يصفوها بهذا الوصف . ولم يتم التفاوض على السلم الا بعد أن أسفرت المعركة عن خسائر كبيرة فى الأرواح . ونصف محصول التمر الذى كان معروضا على غطفان أصبح الآن يعطى سنويا كجزية للمسلمين . ويقول « بارون » فى هذا الصدد : « ان مثل هذا الاتفاق لم يكن يعتبر فى ذلك الوقت دليلا على الضعف السياسى وأن امبراطورية بيزنطة وامبراطورية فارس العظميين كثيرا ما كانتا تعقدان مثله لضمان السلم مع عدد كبير من القبائل المشاكسة التى تجاورهما

وكانت تكاليف هذا الاجراء اقل بكثير من تلك التى كان يقتضيها الاحتفاظ بقوات دائمة لصد غاراتها . ومن الجائز أن يهود خيبر عندما اتفقوا مع محمد ﷺ على أن يدفعوا له نصف محصولهم السنوى قدروا أنهم إنما استبدلوا فى الواقع مستفيدا بمستفيد آخر» (٤٨) . لقد استبدلوا بتحالفهم مع غطفان تحالفا مع الرسول ﷺ وكان الخاسر الوحيد فى العملية هم بنى فزارة . وليس من الصواب ، كما يقول «لامانس» ، وصف العملية التى قام بها الرسول ﷺ فى خيبر بالغزو . وهو يضيف ان المؤرخين اللاحقين اذا كانوا قد صوروها على انها انتصار فانما فعلوا ذلك تبريرا لأعمال حدثت فى خلافة عمر (٤٩) .

ولم يكن يهود خيبر ينظرون الى المسلمين نظرة استعلاء ، ولكن المؤكد هو أنهم بالغوا فى تقدير قدرتهم هم الحربية فان حصونهم لم يكن فيها دفاع قوى . كما أن التنسيق والاتصال بين مختلف الحاميات اليهودية لم يكن محكما فيما يبدو . ومن جهة أخرى فان الرسول ﷺ استخدم مع أهل خيبر سلاح المباغته الذى كان مفتاحا لنجاحه فى جميع معاركه الكبرى . وكانت هذه الغزوة حافلة بالمفاجآت ، سواء فى تكتيكها أو فى فنها العسكرى ، وقد أظهر المسلمون فيها من البأس ما لم يواجه مثله يهود الحجاز أو قريش . وبالرغم من أن اليهود لم يغلبوا فقد اضطروا الى التفاوض بعد أن تبين لهم أنهم استهانوا بخصمهم وأنهم لم يحملوه محمل الجد .

لقد نشأت عن تكرر ذكر اليهود فى القرآن الكريم وتفسير المفسرين الأوائل وتزايد المعاملات ونمو الشريعة الاسلامية ، وعما حدث من تجاوز فى رواية أحداث النزاع بين الرسول ﷺ ويهود يثرب صورة للخلافات الدينية بين المسلمين واليهود يشوبها التشويه والتحريف . ويرى كل المؤرخين الحديثين تقريبا أن الرسول ﷺ حين ترك مكة كان

يحبذوه الأمل فى أن يقبله يهود يثرب * وانه عمل لدى وصوله الى المدينة على استمالة قلوبهم ، فشاركهم فى صوم عاشوراء ، واتجه فى الصلاة الى بيت المقدس ، ولكن اليهود خيَّبوا ظنه برفضهم الاعتراف به ، فما كان منه إلا أن قطع صلاته بهم وحاربهم وسحقهم *

وفى هذا الرأى تصوير ملتبس للأحداث * وليس هناك ما يؤيد افتراض « جابريلي » الذى مؤداه أن الرسول ﷺ كان يعتبر يهود المدينة فى وقت من الأوقات قوما « اعتنقوا الاسلام » * (٥٠) فالذى يتضح من سورتين مكيتين هما سورة بنى اسرائيل (الاسراء) وسورة يونس أن الرسول ﷺ كان يعرف من بادىء الأمر موقف اليهود من دعوته ، فقد جاءت فى سورة بنى اسرائيل (الاسراء) ثمانى آيات تنذر اليهود بالمصير الذى ينتظرهم ، وهى الآيات :

٤ - (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا) *

٥ - (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) *

٦ - (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) *

٧ - (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) *

٨ - (عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) *

٩ - (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) *

١٠- (وأن الذين لا يومنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا
أليما) •

١١- (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان
عجولا) •

ولاستعمال ضمير المخاطب فى هذه الآيات من سورة
الاسراء دلالة كبرى • وقد ذكر « لمانس » يعق بعد ان
درس المصادر الأولى ، انه لم يكن فى مكة يهود (٥١) • ومن
المتفق عليه عموما أن هذه الآيات مكية (٥٢) • وليس فى
هذه الآيات اشارة الى أن الرسول ﷺ كان يتطلع الى أن يقبله
اليهود ولا الى خلاف فعلى قام بينه وبينهم • انها بيان عام
لا يحتمل الجدل • وقد نزلت بعد الآيات السابقة آية فى
نفس الخصوص وهى واضحة الدلالة اذ يقول الله تعالى :

(ولقد بوأنا بنى اسرائيل ميوأ صدق ورزقناهم من
الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) (يونس/٩٣) •

ويتفق « موير » و « نولدكه » و « جريم » (٥٣) مع
الرمخشرى (٥٤) والبيضاوى (٥٥) على أن سورة يونس
سورة مكية • و « هويرى » يقرر « دون شك أنها مكية
الأصل » (٥٦) ثم يستطرده قائلا ان « العلم المقصود هنا
انما هو علم القرآن وان الاحالة انما هى احالة الى رفض
اليهود لمحمد » (٥٧) •

لقد كان الرسول ﷺ يعلم قبل وصوله الى المدينة أن
اليهود سيرفضون تصديقه ولكنه عرض عليهم مع ذلك
شروط الصحيفة على أساس وحدانية الله سبحانه وتعالى •
والذى حدث أن اليهود لم يصدقوه ولم يعتبروه حتى مسيحا
كاذبا بل اعتبروه أفاكا مغتصبا • ولأنه كان أميا غير يهودى
فما كان من الممكن أن يقبلوا نبوته ، وهو - بصفته نبيا -
للعرب - كان يعرض للخطر نفوذهم الذى كان فى اضمحلال

فعلى ، وقد دخلت قبيلتان من حبار حلفاتهم فى المدينة دين هذا النبى اللاجىء • وعجز المكيون عن سحقه بمفردهم كما أن جهودهم هم فى المدينة لاجلائه أوقعتهم فى شر أعمالهم • وكان الاضمحلال الذى أصابهم سريعا ولم يكن لهم قبل يايقافه •

ان الصدام الفعلى بين المسلمين واليهود لم يحدث والرسول ﷺ على قيد الحياة وانما حدث فى فترة لاحقة (٥٨) • وكتاب السيرة ورواة المغازى ومفسرو القرآن وجامعو الحديث قرءوا « العهد القديم » وكتابات اليهود واعتبروا ان الرسول ﷺ هو المقصود بكل ما وجدوه مناسبا فيها من ارهاصات (٥٩) • وقد زادت الحركات المسيانية بين اليهود من الخلط فى الموقف • لقد تركز أمل اليهود الدائم فى جالوت حول مجيء ملك من بيت داود يتبوا الحكم فى عصر ذهبى جديد • وكان وصف « المسيح » المشتق من كلمة « مشياح » ، التى تعنى المسحوح بالزيت ، فى التاريخ اليهودى ينطبق على الملك الذى يختاره الله والذى طال انتظاره والذى « يدعى اسمه عجيبا • • رئيس السلام » الذى سيقضى على أعداء اسرائيل والذى طال انتظاره والذى ينشئ حكما يسوده السلم والرخاء أشبه بالجنة •

وقد اتخذ الأمل المسيانى عدة صور وأشكال وكان عاملا نضاليا فى تاريخ اليهود • وبفضل هذا الأمل ظل اليهود معلقين بسحر المملكة اليهودية التى يؤمنون بأنها ستحقق من خلال الارادة الالهية (٦٠) • ولم يكن الأمل فى قدوم هذا المسيح من شروط الايمان فحسب عند اليهود ، بل كان ضرورة معنوية وعاطفية فى أوقات الشدة والكرب •

ومن العناصر الأساسية فى المسيانية اليهودية توقع أوجاع حمل المسيح (هيفلى ماشياح) التى تتخذ شكل فترة من الاضطرابات والمحن تسبق ظهوره • ومن هنا فان الفترات

التي نكل فيها باليهود كانت أيضا فترات من التريبص والحركات المسيانية المتقدمة *

أن ترقب اليهود لمجيء ، « واحد يشيه ابن الانسان »
يؤتى الملك والمجد والملكوت وتعن له جباه كل الشعوب والامم
واللغات لم يكف أبدا * « وكثير من الوطنيين اليهود الذين
قاتلوا في الثورة العظمى ضد روما (٦٦/٧٠) كانوا
يؤمنون بأنهم يخوضون معركة من المفروض ان تتمخض عن
مجيء المسيح وفي الامكان فهم بطولتهم المستميتة أثناء هذه
الثورة اذا نظر اليها في سياق الحركة المسيانية * وقد
تأثرت الثورة اليهودية ضد الامبراطور « تراجان » في
السنوات ١١٥ - ١١٧ وثورة « باركوشبا » في السنوات
١٣٢ - ١٣٥ م بالتوقعات المسيانية * وفي القرن الخامس
ظهر في جزيرة كريت يهودى ادعى انه موسى عليه السلام
ووعد يهود الجزيرة بأن يأخذهم الى يهودا دون استخدام
مراكب وحدد تاريخا للمعجزة * وتجمع اليهود في الموعد
المحدد فأمرهم بالقفز فى البحر ولقى عديد من هؤلاء اليهود
السذج حتفهم غرقا *

وخلال القرن السادس أثار النزاع المستمر بين
امبراطورية بيزنطة والامبراطورية الساسانية توقعات
مسيانية من المحتمل أنها لعبت دورا كبيرا فى تشكيل صورة
اليهودية العربية * وكان « زروبابل » ، وهو حفيد الملك
« جيهوى أشين » وقتها زعيما لليهود المنفى الذين عادوا من
بابل الى يهودا بموافقة كسرى * وعين زروبابل فى ظل حكم
الملك « داريوس » الأول فى سنة ٥٢١ ق م حاكما ليهودا وكان
آخر حكامها من بيت داود * ويتحدث « كتاب زروبابل » الذى
كتب فى زمنه والذى قيل انه وجد منقوشا على الحجر ، عن
رؤى رآها زروبابل عن ظهور المسيح *

وقد ألقت أعمال كثيرة عن الآمال المسيانية التى نشأت
عن كتاب زروبابل * وتقول دائرة معارف « جودايكا » :

« رغم أن من الصعب تحديد تواريخ مختلف الأعمال التي يتكون منها هذا الأدب المسياني فلا يستبعد أن يكون بعضها سابقا حتى على كتاب زروبايل . . وقد كان لهذه الكتابات تأثير كبير على اليهود في العصور الوسطى » (٦١) .

وحتى بداية القرن السادس حكمت اليمن أسرتان ملكيتان متهودتان على الأقل . وسكن في الجزيرة العربية يهود كثيرون . ومن المرجح أن تكون الآمال المسيانية قد ثبتت أفئدة الشعب العربى اليهودى أثناء تدمير مملكة حمير وما تبعها من اضمحلال لمركزهم . والاشارات المختلفة التي ساقها ابن اسحاق للنبوءات اليهودية المتعلقة ببعثة « نبي » قد تكون نتيجة لقراءة مختلفة لبعض الكتابات اليهودية المسيانية . وكان ابن اسحاق وعلماء المسلمين الذين جاءوا من بعده يظنون أن اليهود الذين تنبأ أحبارهم بمبعث نبي كانوا فى حقيقة الأمر ينتظرون مبعث محمد وأنهم حين أعلن محمد نبوته جحدوا هذه النبوة عامدين . ولكن يهود الحجاز فيما يبدو لم يروا أية آية ولم يشهدوا تحقق أية نبوة . وقد ذكر سلام بن مشكم من بنى النضير لمعاذ بن جبل انه - أى الرسول ﷺ « ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذى كنا نذكره » (٦٢) .

لقد كانت لغة الحديث ومادته بين الرسول ﷺ واليهود لغة ومادة دينيتين بدون جدال . لكن « الاختلافات الايديولوجية لا تكفى وحدها ، مهما بلغ من تعارضها ، لتبرير أنماط السلوك السلبية » . على أن هذه الاختلافات ، كما تقول « أليس ريفكين » ، « قد تصبح حيوية اذا حدث انهيار أو أزمة أو ضغوط هيكلية كتدهور فى الأوضاع الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية » (٦٣) . ولا يصبح النزاع الدينى سببا للتقاتل الا اذا كانت له أوجه اجتماعية وسياسية واقتصادية .

ولا يبدو أن الاوس والحزرج الذين كانوا يسمعون لانتزاع السيطرة على الواحة من اليهود كانت لديهم اية خبرة بالتجارة والأعمال التجارية . وإذا كان الأنصار حين دعوا محمدا ونحو سبعين من أصحابه القرشيين الى المدينة قد آووا رسول الله ﷺ فقد تحققت لهم لقاء ذلك مكاسب كثيرة من بينها وجود قائد أوتي خبرة بالشئون التجارية بالإضافة الى صفاته الأخرى ، وكان رسول الله ﷺ في فترة مبكرة من حياته ذا شهرة في ادارة المصالح التجارية لتجار قریش الأغنياء .

ولم يقل لنا كتاب المغازي كيف دبر المهاجرون اوراقهم في المدينة خلال الفترة الاولى من اقامتهم فيها . وليس هناك ما يفيد أنهم غيروا نشاطهم واشتغلوا بالزراعة ، وانما هناك من أن لآخر اشارات في المصادر الى أنهم كانوا يعقدون صفقات تجارية ، وكان المهاجرون ، كما ذكر أبو هريرة ، ينفقون وقتهم في الأسواق (٦٤) ولم يسمع عمر الرسالة التي وجهها الرسول ﷺ فقد ألهاه الصفق بالأسواق اي الخروج الى تجارة (٦٥) . وحين عرض سعد بن الربيع على أخيه عبد الرحمن بن عوف نصف ثروته في المدينة قال عبد الرحمن بن عوف : « بارك الله لك في أهلك ومالك » . دلوني على السوق » ودلوا عبد الرحمن الى سوق بنى قينقاع فما رجع حتى استفضل أقطا وسمنا (٦٦) . ولا غرو في أن يكون بنو قينقاع أول من أحس بالخطر لقدوم هذا العنصر التجارى الجديد ، وأن يكونوا قد خدموا مصالح عبد الله بن أبي انقاذا لأعمالهم التجارية .

ولم يتعرض نشاط المركز التجارى اليهودى بالطائف (٦٧) لمكروه ، لأن أهل الطائف فى جملتهم أداروا ظهورهم للرسول ﷺ (٦٨) . ومن الجهة الأخرى دعا بعض عرب المدينة الرسول ﷺ الى المدينة .

ولم يفكر بنو قينقاع ، الذين لم يعتادوا على المنافسة ، استغلال خبرة المهاجرين فى الأعمال التجارية لأنفسهم

بل حاولوا أن يزيحهم من طريقهم • وكان بنو النضير
وبنو قريظة وغيرهم من القبائل اليهودية يشتغلون أساسا
بالزراعة •

وكان الخطر الذى تمثله طبقة المهاجرين الجديدة من
التجار بالنسبة لهم خطرا من طبيعة أخرى • كان بنو قينقاع
يزورون يثرب وما حولها عن طريق سوقهم بوسيلة لتبادل
السلع ومقايضة المنتجات ، وكانوا يقومون بدور الوسطاء
وتجار التجزئة • وكانوا جزءا مكملا لاقتصاديات الواحة
الزراعية •

ولكن المهاجرين كما يقول « مونتجرى واط » ، لم
ينشأوا فى جو الصحراء ، بل فى جو المنشآت المالية
الكبرى (٦٩) • وكان المكيون ، فى رأيه ، « قوما من رجال
المال ذوى مهارة فى التعامل بالائتمان وذوى خبرة فى
المضاربة ، وكانوا يهتمون بأى فرص لاستثمار المال المربح
يجدونها فى أى مكان من عدن الى غزة أو دمشق » (٧٠) •

وأحسن المزارع اليهودى وصاحب الأرض اليهودى
يتهدد التاجر المكى • ولم تكن قيمه الاجتماعية هى وحدها
التي تتعرض للخطر من طبقة التجار الجديدة بل كان
يتعرض له رخاؤه أيضا كما يحدث فى جميع المجتمعات
الزراعية • وقد حارب بنو النضير وبنو قريظة المسلمين
وخسروا المعركة ، ورضيت قبائل يهودية أخرى بحالة
اضمحلالها مؤقتا ثم عادت الى الظهور كصفوة متميزة ، وان
لم تكن مسيطرة بعد أن أجادت ما جاء به صاحب العمل أو
التاجر المهاجر الى يثرب من أساليب •

كانت المسألة بين اليهود والمسلمين مسألة محلية • ولم
يكن اللقاء بينهم لقاء بين ديانتين • وقد بدأ ذلك اللقاء
فى مكة التى لم يكن فيها يهود ووصل الى ذروته تحت حكم
العباسيين فى الخلافة الشرقية وتحت حكم بنى أمية فى
أسبانيا خلال الفترات التى لم يكن فيها اضطهاد • وكان

صعود الاسلام ونهضة اليهود يسيران جنبا الى جنب . وكان التعايش العظيم بين اليهود والمسلمين (٧١) فى العصرالذهبي للاسلام نتيجة لذلك اللقاء . والحديث عن « قطيعة المسلمين لليهود » حديث لا معنى له لأنه يفترض وجود تحالف بينهم لم يقم لدينا عليه دليل . لقد خرج يهود الحجاز سريعا من دائرة الضوء كما يحدث عادة للنخبة المضمحلة ولكنهم لم يختفوا من المدينة . وحين قبض الرسول ﷺ كانت درعه مرهونة عند يهودى كان قد أخذ منه شعيرا لأهله (٧٢) . والواضح أن اليهود كانوا فى ذلك الوقت يباشرون أعمالهم التجارية كالمعتاد ، لكن مؤرخ الحروب المسلم وكاتب سيرة الرسول ﷺ فقدوا بعد صلح خيبر اهتمامهما بيهود الحجاز . أما الفقهاء وجامعو الحديث فقد ظلوا يهتمون بأمرهم لفترة أطول بحثا عن سوابق تتعلق بجمع الجزية والخراج أو لاقرار قواعدهما . وواقع الأمر أن يهود الحجاز لم يرغبوا على ترك المنطقة أثناء حياة الرسول ﷺ كما أنهم لم يتركوها باختيارهم .

وقد حرص الرسول ذاته على ازالة آثار المارارة من نفوس اليهود فأبدى لبنى قريظة وليهود خيبر بادرة مودة ومصالحة بعد أن هزمهم، ولم تصدر منه مثل هذه البادرة حيال بنى قينقاع الذين لم يكونوا بحاجة اليها . ومن الواضح أن زيجات الرسول ﷺ انما كانت تقوم ، فى نمطها العام ، على اعتبارات اجتماعية وسياسية . ويقول «رودنسون» فى هذا الشأن ان زيجات الرسول ﷺ « لم تكن زيجات يملئها الهوى بل كانت أحلافا سياسية » (٧٣) . وكان العدو المهزوم الذى يصاهره الرسول ﷺ يتحول الى صديق فى جميع الأحوال تقريبا . لقد كانت أم سلمه (هند) من أقارب زعيم قبيلة مخزوم الأقربين وكانت جويزيه تنتمى الى قبيلة بنى المصطلق التى هزمها المسلمون . ويلاحظ « واط » أن جميع زيجات الرسول ﷺ « يمكن أن يقال انها

كانت تهدف لإنشاء علاقات ودية في الحقل السياسى» (٧٤) .
وكان زواج الرسول ﷺ من ريحانه (٧٥) في الواقع اعلانا سياسيا بانه ﷺ قد قلب صفحة الحفيظة وبدأ محاولة أخرى لكسب صداقة بنى قريظه عن طريق الزواج من سيدة من قبيلتهم ، وما كان يمكن أن يكون لهذه المبادرة معنى أو قيمة لو أن جميع البالغين الذكور من هذه القبيلة قد سبق اعدامهم ، ولو أن نساءهم وأطفالهم قد بيعوا كعبيد . وعمد رسول الله ﷺ الى تعزيز السلم الذى حققه بالمفاوضة مع دولة خيبر عن طريق بادرة مودة من النوع نفسه فاتخذ صيفية زوجة له وأكد بذلك تحالفه مع أكبر قوة يهودية فى الحجاز .

لقد كانت نتيجة معاهدتى السلم فى الحديبية وخيبر فتحا عظيما . وبعد ذلك بسنتين (١/١/٦٣٠ - ١٠/٩/٨) ، كان عدد رجال جيش الرسول ﷺ حين خرج الى مكة ١٠٠٠ ر . ١٠٠٠ مقابل ٦٠٠ ر (٦٢٨) (٦ هـ) وهو ما يعنى أن الحديبية وخيبر عادتا على المسلمين بخير كثير .

لقد تساءل « واط » : ماذا كان من الممكن أن يحدث لو أن اليهود تفاهموا مع محمد بدلا من معارضته ؟ لقد كان فى استطاعتهم فى بعض الفترات أن يحصلوا منه على شروط مواتية للغاية بما فى ذلك الاعتراف لهم بالاستقلال الذاتى فيما يتعلق بدينهم (٧٦) . ولو أن هذا حدث لكان من الممكن أن يصبح اليهود شركاء فى الامبراطورية العربية وأن يصبح الاسلام طائفة من الطوائف اليهودية . وكم كان ذلك ، لو أنه حدث ، يغير من وجه العالم ! (٧٧) . ولكن النخبة المضمحلة لا تنهج ، للأسف ، مثل هذا المنهج .

لقد كان الاغريق والرومان واليهود ، من بين شعوب العصور القديمة المهاجرة ، كما يقول « ريتشارد فريمان » ينظرون الى الأمم التى تجاورهم بخشية أكبر من تلك التى كان يبديها أى شعب من الشعوب الأخرى . وكانت هذه

الشعوب الثلاثة تعيش فى تخوف شديد من المجتمعات التى كانت تعيش خارج حدودها ، بل ان الخصومة والارتياب كانا سمة العلاقات حتى فيما بينها » . (٧٨) • وبينما أصبح الاغريق والرومان أمتين مستفرتين مع بداية العصرالمسيحى فان اليهود ، نظرا لظروفهم المؤسفة ، ظلوا محتفظين بطابع المجتمع المهاجر • وقد لاحظنا فيما سبق أن بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة تحملوا محنهم وحدهم • وان أية قبيلة يهودية لم تتحرك للأخذ بناصرهم • وكان اليهود قد اظهروا نفس العداء والارتياب حيال الآوس والخزرج فى معركة بعاث • ويقول : « انهم كانوا دائما يشعرون ، أو بالاحرى يغالون فى الشعور ، بفرق بين مجتمعهم والمجتمعات الخارجية » (٧٩) • وقد منعتهم مخاوفهم من الغرباء والأجانب من قبول الدعوة للانضمام الى الأمة • وضاعف من صعوبة الأمر بالنسبة لهم أنهم كانوا يشكلون فئة مختارة كان يمكن أن تفقد تفرداها ان هى انضمت الى فئة خارجية • وحتى فى الحالات التى حطم اليهود فيها ما فرضه عليهم غيرهم من قيود مادية ألزموهم عن طريقها بالاقامة فى أحياء خاصة بهم تسمى بالجيتو Ghetto ، فان الجيتو ، باعتباره

مؤسسة يهودية تبقى اليهود خاضعين للاضطهاد الفكرى ، ظل قائما • ومن الأمور المؤسفة أن يهود الحجاز انسحبوا الى أطامهم بصورة شبه غريزية وأن انسحابهم لم يكن جسديا فقط بل كان فكريا أيضا •

وبعد أقل من عشرين سنة من وفاة الرسول ﷺ (٨٠) حطم اليهود جدران أطامهم الذهنية والروحية وخرجوا لقبول تحدى مجتمع اسلامى فتح لهم أبواب مساجده ومدارسه وأسواقه ووظائفه المدنية للتعليم والاندماج الاجتماعى ولمشاركة المسلمين حياتهم المدنية والسياسية • وقد أفاد اليهود أكبر افادة من الخيرات الجسدية والثقافية والروحية التى هياتها لهم الصفوة الحاكمة المسلمة وذلك دون أن

يختفوا كأقلية هامشية ، وانضموا الى أمة الاسلام كأعضاء .
يعتمد عليهم . وعلى مدى سبعمائة عام كان مصير هؤلاء اليهود
مرتبطا بمصير المسلمين . وفى هذا تقول « أليس ريفدين » :
« لقد اصطحبت كل مرحلة من مراحل نمو الاسلام برد
فعل ايجابى خلاق بين اليهود واقتترنت كل مرحلة من مراحل
الانهيار الاسلامى بتدهور يهودى . وكان عصر اليهود عصرا
ذهبيا حين نمت ثروة اسبانيا وازدادت ، وأضحى عصر هوان
ونفى حين ساء بها الحال » (٨١) .

وتعتبر « كار مايكل » أن « من العجب العجائب أنه ، بينما
قدر للمجتمعات المسيحية أن تختفى بالتدريج فى معظم أنحاء
الامبراطورية الاسلامية ، بقيت المجتمعات اليهودية فيها
وازدهرت . حدث هذا فى بخارى التى كانت من قبل مركزا
مسيحيا عظيم الشأن ، وفى اليمن التى كانت فى وقت من
الأوقات « أبرشية » مسيحية ، وفى شمال أفريقيا ، وطن
القديس أوغسطين » (٨٢) . وفى رأينا أنه اذا نظر الى
الصراع المحدود والمقيد بين المسلمين واليهود من المنظور
السليم فلن يكون فيما أشارت اليه « كار مايكل » ما يدعو
للعجب .

والله أعلم بالصواب

مراجع الفصل السادس

- (١) H. St. J. B. Philby, *the Background of Islam* (Alexandria, 1947), p. 119.
- « ج. ب. فيليبى » ، « خلفية الاسلام » الاسكندرية ، ١٩٤٧ ، ص ١١٩ .
- (٢) القرآن ، سورة البروج ، « ريتشارد بيل » « أصل الاسلام فى بيئته المسيحية » (لندن ، ١٩٢٦ ، ص ص ٣٦-٣٩) عرفان شاهد « شهداء نجران » ، هو آخر كتاب ألف عن الموضوع .
- (٣) السمهودى ، الجزء الأول ، ص ص ١٧٧ - ٩٨ ، و ص ص ١٩٠ - ٢١٥ . انظر أيضا اعلاه ، الفصل الأول .
- (٤) « تورى » ، « الأساس اليهودى للاسلام » ، ص ١٤ .
- (٥) السمهودى ، الجزء الأول ، ص ١٦٥ .
- (٦) المرجع نفسه ، الجزء الأول ، ص ص ١٩٠-٢١٥ .
- (٧) صحيح البخارى ، الجزء الثانى ، الكتاب الخامس ، ص ٥٥ .
- (٨) صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ .
- (٩) القرآن ، سورة آل عمران ، ٦٤ .
- (١٠) « جراتز » ، ص ١٠٣ .
- (١١) « واط » « محمد فى المدينة » ، ص ص ٢٠١ - ٢ .
- (١٢) « جراتز » ، ٧٤ . القرآن الكريم ، النساء ، ٤٦ .
- (١٣) Andre Beteille, « Race, Caste and Ethnic Identity », *International Social Science Journal*, No. 4, 1971, p. 534.
- « أندريه بيتى » ، « الجنس ، والطائفة والهوية الاثنية » ، مجلة علم الاجتماع الدولية ، رقم ٤ ، ١٩٧١ ، ص ٥٣٤ .
- (١٤) Ignaz Goldziher, « *Über die Vorgeschichte der Higa'-Poesie* » in *Abhande. zur arab. Philologie, Part I* (Leyden, 1896), p. 26.

« اجناز جولدزيهر » « عن تاريخ شعر الهجاء » فى : « دراسة
عن الفيلولوجيا العربية ، الجزء الاول (لايدن ، ١٨٩٦) ، ص ٢٦ » .
Eversley Belfield, **Defy and Endure**, (New York, 1967), (١٥)
p. 1-5.

« ايفرسلى بلفيلد » ، « تحد وتحمل » ، (نيويورك ١٩٦٧) ،
ص ١ - ٥ .

(١٦) « بلفيلد » ، ص ٥ - ٦ .

(١٧) ابن هشام ، ص ٣٥٢ .

(١٨) المرجع نفسه ، ص ٣٨١ .

(١٩) المرجع نفسه ، ص ٣٩٠ .

(٢٠) المرجع نفسه ، ص ٣٨٨ .

(٢١) المرجع نفسه ، ص ٣٨٥ .

(٢٢) صالح احمد العلى ، « دراسات فى طبوغرافية المدينة (خلال
القرن الاول الهجرى) » ، الثقافة الاسلامية ، المجلد الخامس والثلاثون ،
رقم ٢ ، ابريل ١٩٦١ ، ص ٧١٢ .

(٢٣) الواقدي ، الجزء الاول ص ١٧٧ : ابن سعد ، الجزء الثانى ،
ص ٢٩ .

(٢٤) ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ٢٩ .

(٢٥) الواقدي ، الجزء الاول ، ص ١٧٦ .

(٢٦) ابن هشام ، ص ٥٤٦ .

(٢٧) ابن هشام ، ص ٦٥٣ ، الواقدي ، الجزء الاول ص ٣٦٨ ،
ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ٥٧ .

(٢٨) القرآن ، سورة الحشر ، ٦ .

(٢٩) الواقدي ، الجزء الثانى ، ص ٥٠١ : ابن سعد ، الجزء الثانى
ص ٧٤ .

(٣٠) القرآن ، سورة الاحزاب ، ٢٠ .

(٣١) ابن هشام ، ص ٦٧٣ .

(٣٢) ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ٩٥ . وابن هشام يعطى رقمين
٧٠٠ و ١٤٠٠ ، ص ٧٤٠ .

- (٣٣) « واط » « محمد فى المدينة » ، ص ٤٠ .
- (٣٤) ابن هشام ، ص ٧٤٧ - ٨ .
- (٣٥) ابن هشام ، ص ٧٤٧ .
- (٣٦) المرجع نفسه ، ص ٧٤٦ .
- (٣٧) الواقدي ، الجزء الثانى ، ص ٦٣٤ ؛ ابن سعد ، الجزء الثانى ص ١٠٦ .
- (٣٨) وقعت معركة أحد فى مارس ٦٢٥ (٣/١٠) . وقد خرج الرسول (ص) من المدينة ليحارب ، خلافاً لنصيحة عبد الله بن أبى الذى قال : « ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا اصاب منا ، ولا دخلها علينا الا ما اصبنا منه » . (ابن هشام ، ص ٥٥٨) . وقد بلغت خسائر المسلمين ٧٠ قتيلًا و ٤٠٠ جريحًا مقابل ثلاثة قتلى من اهل مكة .
- (٣٩) القرآن ، سورة الفتح ، ٢٩ .
- (٤٠) القرآن ، سورة البقرة ، ٢٦٦ .
- (٤١) ابن هشام ، ص ٣٧٦ - ٧ .
- (٤٢) المرجع نفسه ، ص ٢٧٠ .
- (٤٣) اعلاه ، الفصل الثالث .
- (٤٤) ابن هشام ، ص ٥٥٣ - ٥٤ .
- (٤٥) ابن هشام ، ص ٧٤٩ ؛ البخارى ، كتاب التفسير ، الجزء السادس ، ص ١٦٩ . الزمخشري ، الجزء الثانى ، ص ٥٤٠ - ٥٤١ .
- البيضاوى ، الجزء الثانى ص ٢٦٦ .
- (٤٦) « كان من اشراف بنى النضير الذين ساروا الى خيبر سلام ابن أبى الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وحيى بن أخطب . فلما نزلوها دان لهم اهلها » . ابن هشام ، ص ٦٥٣ .
- (٤٧) « بلغيلد » ، ص ٥٤ - ٥ .
- (٤٨) « بارون » الجزء الثالث ، ص ٧٩ .
- (٤٩) « لامانس » ، الجزيرة العربية الغربية قبل الهجرة ، ص ٧٢ .
- (٥٠) « جابريللى » ، محمد وفتوح الاسلام ، ص ٦٧ .
- (٥١) اعلاه ، الفصل الاول .
- (٥٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، الجزء الثانى ، ص ١٠٣ .
- (قول ابن مسعود ، ان سور بنى اسرائيل (الاسراء) والكهف ومريم نزلت فى اوائل الفترة المكية) . الزمخشري ، الجزء الثانى ، ص ٤٣٦ ،

- البيضاوى ، الجزء الثانى ، ص ٥٣٢ . أين كثير ، الجزء السادس ، ص ٤٩ . « هويرى » الجزء الثالث ، ص ٥١ - ٥٣ . ريتشارد بيل ، « مقدمة للقرآن » (أدنبرة ، ١٩٧٠) ، ص ٢٠٧ .
 (٥٣) انظر « بيل » ص ٢٠٧ .
 (٥٤) الزمخشري ، الجزء الثانى ، ص ٢٢٥ .
 (٥٥) البيضاوى ، الجزء الأول ، ص ٤٠٧ .
 (٥٦) « هويرى » ، ص ٣٢١ .
 (٥٧) المرجع نفسه ، ص ٣٣٨ .

(٥٨) انظر M. J. Kister, *Haddithu' an bani isra'ila wa-la haraja* » Israel Oriental Studies II, 1972, pp. 215-239.

(م . ج . كستر) « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » الدراسات الشرقية الاسرائيلية ، الجزء الثانى ، ١٩٧٢ ، ص ٢١٥-٢٣٩ . والمقال لا يكتفى بمناقشة هذا الحديث ، بل يتضمن قائمة شاملة بالمراجع عن موضوع اللقاءات الاولى بين المسلمين واليهود .

Israel Friedlaender, « Jewish-Arabic Studies », *The Jewish Quarterly Review*, vol I, 1910-11, pp. 183-215, 481-516, De Lacy O'Leary, « The Jewish Transmitters », *Arabic Thought and Its Place in History* (London 1954).

« اسرائيل فريدلاندس » ، « الدراسات اليهودية العربية » ، المجلة اليهودية ربع السنوية ، المجلد الأول ، ١٩١٠ - ١١ ، ص ١٨٣-٢١٥ و ٤٨١ - ٥١٦ .

« دى لاسى أوليرى » رواة الحديث اليهود « ، الفكر العربى ومكانه فى التاريخ (لندن ١٩٥٤) .

(٥٩) « هذا التأثير ، أى تأثير الأجداد اليهودية والأساطير المسيحية . كان مما سجله وأسف له الفقهاء التقليديون من أقدم عصور الاسلام حتى أوقات متأخرة » ، « جولدزيهر » ، الدراسات الاسلامية ، المجلد الثانى ، ص ١٣١ .

(٦٠) يبدو أن فكرة الملكية اليهودية قد تحولت الى فكرة الدولة اليهودية منذ القرن الثامن عشر .

(٦١) Messianic Movements, *Encyclopaedia Judaica* (Jerusalem 1971), Vol. XI, Column 1413.

« الحركات المسيانية » ، دائرة المعارف اليهودية (القدس ، ١٩٧١) ، الجزء الحادى عشر ، العامود ١٤١٣ .

(٦٢) ابن هشام ، ص ٣٧٩ .

Ellis Rivkin, *The Shaping of Jewish History : A Radical*

Interpretation (New York : Charles Scribner's Sons, 1971), p. 24.

اليس ريفكين ، تشكيل التاريخ اليهودي : تفسير جذري (نيويورك :

أولاد « تشارلز سكريبنر » ١٩٧١) ، ص ٢٤ .

(٦٤) انظر هذا الفصل ، ص ١٨٣ .

(٦٥) البخاري ، صحيح ، كتاب البيوع ، الجزء الثالث ، ص ٧٢ .

(٦٦) البخاري ، صحيح كتاب البيوع ، الجزء الثالث ، ص ٦٨ -

٦٩ .

(٦٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، أعده للنشر م. ج. دى جوجي

M. J. de Goeje (لايدن ١٨٦٦) ص ٥٦ .

(٦٨) ابن هشام ، ص ص ٢٧٩-٨١ .

(٦٩) « واط » ، « محمد فى مكة » ، ص ٢٣ .

(٧٠) المرجع نفسه ، ص ٣ .

(٧١) « س. د. جويتاين » ، (اليهود والعرب ، ص ١٢٧) يسميه

« بالتعايش اليهودى .. العربى » .

(٧٢) البخاري ، صحيح ، كتاب البيوع ، الجزء الثالث ، ص ص

٧٢-٧٤ .

(٧٣) « رودنسون » ، محمد ، ص ص ٢٨٠-٨١ .

(٧٤) « واط » « محمد فى المدينة » ، ص ٢٨٧ .

(٧٥) المرجع نفسه ، ص ٢٨٨ . كانت ريحانة أرملة من بنى قريظة .

(٧٦) منح الاسلام على أية حال استقلالا ذاتيا دينيا لليهود ؛ وقد

بقى هذا الاستقلال فى شكل نظام « الملة » حتى سقوط دولة آل عثمان .

(٧٧) « واط » ، محمد فى المدينة ، ص ٢١٩ .

(٧٨) Richard Freeman , *Repentance and Revolt : A*

Psychological approach to History (Rutherford, N. J. :

Fairleigh Dickinson University Press, 1970), p. 29.

« ريتشارد فريمان » ، « التوبة والثورة : نهج سيكولوجى للتاريخ »
« روثرفورد » ن.ج. : مطابع جامعة فيرليه ديكنسون ،
١٩٧٠ ، ص ٢٩ .

(٨٠) عين عمر بوستناى كراس جالموت فى سنة ٦٤٠ ، انظر :

David Goode, « The Jewish Exilarchate During and the Arabic Period
in Mespotamia From 637 A.D. to 1258 A.D. John Hopkins Uni-
versity, Ph. D. thesis 1940) », p. 33.

« دافيد جود » ، « مركز رأس الجالموت اليهودى خلال الفترة العربية
قيما بين النهرين ، من ٦٣٧ الى ١٢٥٨ ميلادية » (رسالة دكتوراه فى
جامعة جون هوبكين ، ١٩٤٠) ص ٣٣ .

(٨١) « ريفكين » ، « تشكيل تاريخ اليهود » ، ص ١٣٨ .

(٨٢) « جويل كار ميخائيل » ، « تشكيل العرب : دراسة فى الهوية
الاثنية » ، (نيويورك ، ١٩٦٧) ص ٥٤ .

تعقيب

لم يكن هناك وقت ، منذ ظهور الاسلام الى الآن ، لم
تمش فيه أعداد كبيرة من اليهود تحت الحكم الاسلامي .
وليست هناك مرحلة في تاريخ الاسلام لا تتردد أصداؤها
في أنحاء التاريخ اليهودي . وليس هناك شكل من أشكال
الاسلام ليس له مقابله اليهودي . ورغم أنه حدث في فترات
عديدة أن زادت حدة الخلافات بين الاسلام واليهودية لتأصيل
العداء بينهما فان هذه الخلافات كانت كذلك مسئولة عن
عدد من أعظم الانجازات اليهودية الخلاقة في العصور
الوسطى .

لقد ازدهرت أوضاع اليهود تحت الحكم الأموي وتحت
الحكم العباسي ووجد اليهود طريقهم الى كل جزء من أجزاء
الامبراطورية الاسلامية تقريبا . وساد الرخاء مجتمعاتهم
في شمال أفريقيا وفي أسبانيا . وشجع العباسيون بصورة
خاصة مشروعات اليهود ونشأت من هؤلاء طبقة ذات شأن
وان كانت قليلة العدد من كبار التجار والسياسة لعبت
بحلول القرن العاشر دورا بارزا في مالية الخلافة . وكانت
سياسة الخلفاء سياسة عملية تستلهم مصالحهم الخاصة
لا نصوص القرآن .

وكانت علاقة اليهود بالاسلام علاقة معقدة . وكانت
هذه العلاقة ايجابية في بعض الأحيان وسلبية في أحيان
أخرى . وكان اليهود الذين عاشوا خلال القرن العاشر تحت
حكم العباسيين يمرون بفترة انهيار كبير ، بينما كان اليهود
في الأندلس يبدعون عصرا ذهبيا . وفي القرن الثاني عشر
فر « ميمون » من الاسلام ، الذي كان يعاديه ، في الأندلس

وأقام فترة فى شمال أفريقيا الاسلامى الذى كان يكن له
العداء أيضا ، ولكن مصر الاسلامية رحبت به وأتاحت له
الفرصة لى يصبح طبيبا لوزير صلاح الدين . لقد هيا
الاسلام ظروفًا مواتية لقدرة اليهود الخلاقة ولكن المناخ
العام كان فى مجموعه غير ودى تجاه اليهود . والذى يتضح
من سجل التاريخ هو أن الخلافات بين الاسلام واليهودية لم
تكن تولد العداء فى جميع الأحوال .

Ellis Rivkin

« اليس ريفكين »

ببليوغرافيا

أولا - مصادر أولية

القرآن الكريم

ابن آدم ، يحيى ، كتاب الخراج ، لايدن : ج. ١ ، بريل ، ١٨٩٦ .
Leiden : E. J. Brill, 1896.

ابن الأثير ، عز الدين ، الكامل فى التاريخ ، أعده للنشر ك. ج.
تورنبرج ، الجزء الأول لايدن : ج. ١ ، بريل ، ١٨٥١ .
Ed. C.J. Tornberg, Vol I, Leiden : E.J. Brill 1851.

ابن العماد ، عبد الحى بن أحمد ، شذرات الذهب فى اخبار من
ذهب ، القاهرة ، مكتبة القدس ، ١٣٥٠ - ١٣٥١ ، ٨ أجزاء فى ٤ ،
أوقست ، فى بيروت ، ١٩٦٦ .

ابن حبيب ، محمد بن حبيب ، كتاب المحبر ، حيدر آباد ، ١٩٤٢ .
ابن حجر العسقلانى ، تهذيب التهذيب ، ١٢ جزءا ، حيدر آباد ١٣٢٥ - ١٣٢٧ .
- الاصابة فى تمييز الصحابة ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٣٩ .
ابن حزم ، أبو محمد على بن أحمد ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل ،
القاهرة ، ١٣٤٧ هـ .

ابن حنبل ، المسند ، ٦ أجزاء ، القاهرة ١٣١٣ .

ابن خردادبة ، كتاب المسالك والممالك ، أعده للنشر م. ج. دى جويج .
ed. M. J. de Goeje ، لايدن ١٨٨٩ : E. J. Brill ، بريل
ابن خلدون ، المقدمة ، ترجمة فرانز روزنثال ، Franz Rosenthal ، الطبعة
الثانية ، منقحة ، برنستون ، Princeton ، ١٩٧٠ .

ابن خلكان ، كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان
عباس ، بيروت ، بدون تاريخ ، ترجمة بارون ماك جوكين دى سلاين .
Baron Mac Guckin de Slane.

- باريس ، ١٨٤٢-٧١ ، أعيد طبعه فى كراتشى ، ١٩٦٤ .
- ابن سعد ، أبو عبد الله محمد ، كاتب الواقدي ، الطبقات الكبرى .
- ٧ أجزاء ، بيروت ، دار بيروت ، ١٩٥٧-٦٠ .
- ابن سلام ، أبو عبيد القاسم ، كتاب الأموال ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ابن سيد الناس ، محمد بن محمد ، عيون الأثر فى فنون المغازى والشمال ، والسير ، جزءان ، القاهرة ، ١٣٥٦ .
- ابن عبد البر :
- كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، حيدر أباد ، ١٣١٨ هـ .
- جامع بيان العلم وفضله ، القاهرة ، ١٣٢٠ هـ .
- ابن كثير ، اسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية — ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- تفسير القرآن العظيم ، ٤ أجزاء ، القاهرة : عيسى البابى الحلبي ، بدون تاريخ .
- ابن هشام عبد الملك سيرة رسول الله ، أعده للنشر ف . وستنفلد F. Wustenfeld ، جزءان فى ٣ — جوتنجن ، ١٨٥٨-٦٠ ، Göttingen .
- أبو داود ، السنن ، ٤ أجزاء ، دلهي ، ١٣١٨ هـ .
- أبو يوسف ، كتاب الخراج ، القاهرة ١٣٤٦ هـ .
- الأزرقى ، محمد بن عبد الله بن أحمد ، أخبار مكة ، جزءان فى مجلد واحد ، مكة ، ١٩٦٥ .
- البخارى ، محمد بن اسماعيل : صحيح البخارى ، ٣ مجلدات ، القاهرة ، مطابع الشعب ، بدون تاريخ .
- البخارى ، كتاب التاريخ الكبير ، حيدر أباد ، ١٣٦١ ١٣٦١ هـ .
- البغدادى ، الخطيب ، تاريخ بغداد ، القاهرة ١٩٣١ .
- البلاذرى ، أبو العباس بن جابر ، كتاب فتوح البلدان ، أعده للنشر م . ج . دى جويج M.J. Goeje لايدن ، ١٨٦٦ ، أعيد طبعه فى بيروت ، ١٩٥٧ .
- البيضاوى ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، أعده للنشر هـ ١٩٠٠ فليشر H. O. Fleischer .

- جزءان • أوزنابروك : ببليو Osnabruck : Biblio ، ١٩٦٨ ،
نسخة طبق الأصل من طبعة لايبزيغ Leipzig الصادرة ١٩٧٨ •
- الترمذى ، أبو عيسى • جامع ترمذى شريف • جزءان • لاهور • غلام
على وأولاده ، ١٩٦٣ •
- الجمعى ، محمد بن سلام • طبقات الشعراء • أعدته للنشر جوزيف هيل
Joseph Hill ، لايدن : ج • بريل E. J. Brill ، ١٩١٦ •
- الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٤ أجزاء ، حيدرآباد ، ١٣٣٣ - ٤ •
- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٨٢ -
١٩٦٣ •
- الزرقانى ، شرح المواهب اللدنية ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ •
الزمخشري ، الكشاف ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٦٦ •
- السمهودى ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ٤ أجزاء ، القاهرة ،
١٩٥٥ •
- السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد • الروض الأتف ، القاهرة ،
بدون تاريخ •
- الشافعى : الرسالة • أعدته للنشر م • شاكر ، القاهرة ، ١٩٣٨ •
- كتاب الأم • القاهرة ، ١٣٨١/١٩٦١ •
- الشهرستانى ، محمد بن عبد الكريم • كتاب الملل والفحل • أعدته للنشر
و م • كورتون ، لندن ، جمعية نشر النصوص الشرقية ١٨٤٢ •
Wm Cureton, Society for The Publication of Oriental Texts
- الاصبهانى ، أبو الفرج ، كتاب الأغاني - ١٧ جزءا • القاهرة ، بدون
تاريخ ، و ٢٣ جزءا ، بيروت ، ١٩٦٠ •
- الأصفهاني ، أبو نعيم ، دلائل النبوة ، حيدرآباد ، ١٣٢٠ هـ •
الطبرى ، أبو جعفر - تاريخ الرسل والملوك • القاهرة ١٩٦١ •
- تفسير • القاهرة ، بدون تاريخ •
- النسائي ، أحمد بن شعيب ، سنن ، القاهرة ١٨٩٤ •
- الواقدي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد • كتاب المغازي ، أعدته
للنشر مارسدن جونز Marsden Jones ، جزءان ، لندن ، مطابع
جامعة أوكسفورد • Oxford University Press ، ١٩٦٦ •
- اليقوي ، ابن واضح ، تاريخ ، أعدته للنشر م • ث • هوتسما Ed. M. th.
Houtsma ، ١٨٨٣ ، وبيروت ، ١٩٦٠ •

- مالك بن أنس ، الموطأ ، القاهرة ، ١٨٩٢ .
 مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم مع شرح الفؤوى ، جزءان ، لاهور .
 غلام على وأولاده ، ١٩٥٨-٦٢ ، ١٨ جزءا ، القاهرة ، بدون تاريخ .
 ياقوت ، معجم البلدان . القاهرة ، ١٩٣٥ - ٣٨ .
 F. Wustenfeld — معجم البلدان ، تحقيق ف. وستنفلد .
 ٦ أجزاء .
 Leipzig F. A. Brockhaus for the Deutschen Morgenlandischen
 Gesellschaft. ليبزج ١٨٦٦ - ١٨٧٣ .

ثانياً - مؤلفات حديثة (بالترتيب الذى وردت به فى الأصل)

- Abbott, Nabia, *Studies in Arabic Literary Papyri, I. Historical Texts*.
 Chicago : The University of Chicago Press, 1957.
 أبوت ، نابيه ، دراسات للأدب العربى فى أوراق البردى ، أولا - نصوص
 تاريخية ، شيكاغو ، ١٩٥٧ .
 أبو رية ، محمود ، أضواء على السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
 Abul A'la Maududi. *Islamic Way of Life*. Delhi, 1967.
 أبو الأعلى مودودى ، طريقة الحياة الإسلامية . دلهى ، ١٩٦٧ .
 Ali, Muhammad. *Muhammad the Prophet*. Lahour 1924.
 على ، محمد . محمد النبى . لاهور ، ١٩٢٤ .
 Ali, Sayed Ameer. *The Spirit of Islam*. London, 1964.
 على ، سيد أمير . روح الإسلام . لندن ، ١٩٦٤ .
 Altheim, Franz and Stiehl, Ruth. *Finanzgeschichte der Späntike*.
 Frankfurt am Main : V. Klosterman 1957.
 التهايم ، فرانز وستيل ، روث . التاريخ المالى للعصر القديم المتأخر .
 فرانكفورت أم مين ١٩٥٧ .
 Baron, Salo Wittmayer. *A Social and Religious History of the Jews*
 New York : Columbia University Press, 1964.

بارون ، سالوويتماير . تاريخ اجتماعى ودينى لليهود . نيويورك ، ١٩٦٤ .

Belfield, Eversley. *Defy and Endure*, New York : Macmillan, 1967.

بلغيد ، افرسلى ، تحدى وتحمل ، نيويورك ، ١٩٦٧ .

Bell, Richard. *Introduction of the Qura'an*, ed. Montgomery Watt. Edinburgh : University Press, 1970.

بيل ، ريتشارد . مقدمة للقرآن . أعده للنشر مونجمرى واط ، ١٩٧٠ .

Bell, Richard. *The Origin of Islam in its Christian Environment*. London : Macmillan and Co. Ltd., 1926.

بيل ، ريتشارد . أصل الاسلام فى بيئته المسيحية ، لندن ، ١٩٢٦ .

Borneff, Joachim, *Hygiene*. Stuttgart : Thieme Verlag, 1971.

بورنيف ، يواكيم . التدابير الصحية . ستوتجارت ، ١٩٧١ .

Browne, Edward G. A. *Literary History of Persia*. Cambridge : University Press, 1902-24, repr. 1964.

براون ، ادوارد ج . تاريخ أدبى لفارس ، ١٩٠٢-٢٤ ، أعيد طبعه فى ١٩٦٤ .

Caetani, Leone. *Annali dell' Islam milan* : Hoepli, 1905 ff.

كايتانى ، ليون . حوليات الاسلام . ميلانو ، ١٩٠٥ . وبعدها .

Carmichael, Joel. *The Shaping of the Arabs : A Study in Ethnic Identity* . New York : The Macmillan Company, 1967.

كارمايكل ، جويل . تشكيل العرب : دراسة فى الهوية الاثنية . نيويورك ، ١٩٦٧ .

Clive, John Macaulay : *The Shaping of the Historian*. New York : Knopf, 1973.

كلايف ، جون : ماكولى : تشكيل المؤرخ . نيويورك ، ١٩٧٣ .

Denton. R.C. *The Idea of History in the Ancient Near East*. New Haven . Yale University Press, 1966 .

دنتون ، ر.ك . فكرة التاريخ فى الشرق الأدنى القديم . نيوهافن ١٩٦٦ .

Freeman, Richard. *Repentance and Revolt : A Psychological Approach to History*. Rutherford, N. J. : Fairleigh Dickinson University Press, 1970.

فريمان ، ريتشارد . القوية والثورة : نهج سيكولوجى للتاريخ . روثرفورد ، ن.ج . ١٩٧٠ .

Fuck, Johan. *Muhammad Ibn Ishaq*. Frankfurt am Main, 1925.

- فوك ، يوهان • محمد بن اسحاق • فرانكفورت ام مين ، ١٩٢٥ •
- Gabrieli, Francesco. **Muhammad and the Conquests of Islam**, tr Virginia Luling and Rosamund Linell. London, 1968.
- جايريللى ، فرانشيسكو • محمد والفتوح الإسلامية ، ترجمة فرجينيا لولنج وروزاموند لينيل • لندن ، ١٩٦٨ •
- Geiger, Abraham, **Was hat Mohammad aus dem Judenthume aufgenommen ?** Bonn, 1833. 2nd rev. ed., Leipzig : M. W. Kaufmann, 1902.
- جايجر ، أبراهام • ما الذى أخذه محمد من اليهودية ؟ ، بون ، ١٨٣٣ • طبعة ثانية منقحة • لايبزج ، ١٩٠٢ •
- Goitein, S. D. **Jews and Arabs : Their contacts through the Ages**. New York : Schocken Books Inc., 1955.
- جويتاين س • د • اليهود والعرب : اتصالاتهم عبر العصور • نيويورك ، ١٩٥٥ •
- **A Mediterranean Society**, Vol. II Berkeley : University of California Press : 1971.
- من مجتمعات البحر المتوسط ، الجزء الثانى ، بركلى ، ١٩٧١ •
- Goldziher, Ignaz. **Muslim Studies** tr. C. R. Barber and S. M. Stern. 2 vols. Chicago : Aldine Publishing Co., 1967, 1971.
- جولدزيهر ، اجناس • دراسات اسلامية ، ترجمة ك • ر • باربر ، و س • م • سترن • جزءان • شيكاغو • ١٩٦٧ ، ١٩٧١ •
- Goode, Alexander David, « **The Jewish Exilarchate During the Arabic Period in Mesopotamia From 637 A.D. to 1258 A.D.** » Unpublish, ed Thesis, Johns Hopkins University, 1940.
- جود ، الكسندر دافيد ، رئاسة الجالوت اليهودية خلال الحكم العربى فيما بين النهرين من ٦٣٧ الى ١٢٥٨ ميلادية • رسالة دكتوراه ، لم تنشر ، مقدمة الى جامعة جون هوبكنز ، ١٩٤٠ •
- Graetz, Heinrich. **History of the Jews**. Philadelphia : The Jewish Publication Society of America, 1894.
- جراتز ، هينريش • تاريخ اليهود ، فلادافيا ١٨٩٤ •
- Grayzel, Solomon. **A History of the Jews**. Mentor Book. New American Library, 1968.
- جرايزل ، سلومون • تاريخ اليهود ، ١٩٦٨ •
- Grimme, H. **Mohammed. Munster** : Aschendorff, 1892-1895.

- جريم ، هـ . محمد . منستر ، ١٨٩٢ - ١٨٩٥ .
 Guillaume, A., *The Life of Muhammad* : A translation of Ibn Ishaq's
 Sirat Rasul Allah . London : Oxford University Press, 1970.
- غليوم ، ٠٩ حياة محمد : ترجمة لسيرة رسول الله لابن اسحاق . لندن ،
 ١٩٧٠ .
- *The Tradition of Islam*. Beirut : Khayats 1966, repr. of ed. of
 1924.
- سنة الاسلام . بيروت ، خياط ، ١٩٦٦ ، طبعة جديدة لكتاب
 صدر في ١٩٢٤ .
- Hamidullah, Muhammad. *The First written Constitution in the
 World* 2nd rev. ed. Lahore : Sh. Muhammad Ashraf, 1968.
- حميد ، محمد . أول دستور مكتوب في العالم . طبعة ثانية منقحة .
 لاهور ، ١٩٦٨ .
- *Muhammad Ibn Ishaq*. Karachi : Pakistan. Historical Society,
 1967.
- محمد ابن اسحاق . كراتشي . جمعية باكستان التاريخية ، ١٩٦٧ .
 Hilberg, Raul. ed. *Documents of Destruction : Germany and Jewry
 1933-1945*. Chicago : Quadrangle Books, 1971.
- هيلبرج ، راؤول . وثائق التدمير : ألمانيا واليهود ١٩٣٣ - ١٩٤٥ ،
 شيكاغو ، ١٩٧١ .
- Hirschberg, Joachim Wilhelm (Haim Zeev), *Israel in Arabic*. Tel Aviv :
 Mossad Bichick and Masada, 1946. (Hebrew).
- هيرشبرج ، يواكيم ويلهلم (حاييم زيف) ، اسرائيل في الجزيرة العربية .
 تل أبيب ، ١٩٤٦ (بالعبرية) .
- Horovitz, J., *Koranische Untersuchungen*. Berlin Leipzig 1926.
- هوروفيتز ، ج . دراسات قرآنية . برلين - لايبزج ، ١٩٢٦ .
- Josephus, *Works*. (4 vols) London : Loeb Classical Library, 1925-30.
- جوزيفوس . أعمال . (٤ أجزاء) لندن ، ١٩٢٥ - ٣٠ .
- Juynboll, G.H.A., *The Authenticity of Tradition Literature : Discus-
 sions in Modern Egypt*. Leiden : E. J. Brill, 1969.
- جوينبول ، ج . هـ . صحة الأحاديث : مناقشات في مصر الحديثة ،
 لايدن ، ١٩٦٩ .
- Khadduri, Majid and Liebesny, Herbert J., *Laws in the Middle-East*.
 Washington D.C. : Middle East Institute, 1955.

خدورى ، مجيد وليبسنى ، هريبرت ج . القانون فى الشرق الأوسط ،
واشنطن دى سى . معهد الشرق الأوسط ، ١٩٥٥ .

Lammens, H., *L'Arabie occidentale avant L'Hegire*. Beyrouth : Im-
primerie Catholique, 1928.

لامانس ، هـ . عرب الجزيرة العربية قبل الهجرة . بيروت : المطبعة
الكاثوليكية ، ١٩٢٨ .

— **Islam : Beliefs and Institutions**. tr. Sir E. Denison Ross. New
York : Dutton & Co., 1929.

— **الاسلام : معتقداته ومؤسساته** . ترجمة السير ا . دنيسون روس .
نيويورك ، ١٩٢٩ .

Leff, Gordon. **History and Social Theory**. University, Ala. : The
University of Alabama Press, 1969.

ليف ، غوردون . التاريخ والنظرية الاجتماعية . الاباما ، ١٩٦٩ .
Leszunsky, Rudolf, **Die Juden in Arabien Zur Zeit Mohammeds**.
Berlin. Mayer & Muller, 1910.

ليزنسكى ، رودولف . اليهود فى الجزيرة العربية فى زمن محمد . برلين ،
١٩١٠ .

Levy, Barbara. **A Legacy of Death**. Englewood Cliffs, N.J. : Prentice-
Hall, 1973.

ليفى ، باربارا . تراث الموت . نيوجرسى ، ١٩٧٣ .
Lewis, Bernard. **The Arabs in History**. London : Hutchinson & Co.,
1950.

لويس ، برنارد . العرب فى التاريخ ، لندن ١٩٥٠ .
— **History — Remembered, Recovered, Invented**. Princeton : Prince-
ton University Press, 1975.

— **التاريخ — تذكره واستعادته واصطناعه** . برنستون ، ١٩٧٥ .
Lewis, Bernard and Holt, P.M., ed. **Historians of the Middle East**.
London & New York : Oxford, University Press, 1962.

لويس ، برنارد وهولت ، ب . م . مؤرخو الشرق الأوسط . لندن ونيويورك
١٩٦٢ .

Lukacs, John **Historical Consiousness ; or the Remembered Past**.
New York : Harper and Row, 1968.

لوكاكس ، جون . الوعي التاريخي أو تذكر الماضي . نيويورك ، ١٩٦٨ .
Margoliouth, D.S. **The Early Development of Mohammedanism.**
London : Williams & Norgate, 1914.

مارجوليوت ، د.س . تطور الاسلام في فترته الاولى . لندن ١٩٤١ .
— **The Relations Between Arabs and Israelites prior to the Rise of Islam.** London : Oxford University Press, 1924.

— العلاقات بين العرب واليهود قبل ظهور الاسلام ، لندن ، ١٩٢٤ .
Margolis, Max L. and Marx, Alexander . A. **History of the Jewish People.** New York : Harper & Row, 1927.

مارجوليس ، ماكس ل . وماركس ، الكسندر . تاريخ الشعب اليهودي .
نيويورك ، ١٩٢٧ .
Muir, William. **The Life of Muhammad**, ed T.H. Weir. Edinburgh :
John Grant, 1912.

موير ، وليام . حياة محمد . ادنبره ، ١٩١٢ .
Nicholson, R. A., **A Literary History of the Arabs** : Cambridge
University Press, 1966. First Published, 1907.

نيكولسون ، ر.أ . تاريخ آداب العرب . كمبردج ، ١٩٦٦ . الطبعة
الأولى ، ١٩٠٧ .

Noldeke, Theodore. **Geschichte des Qorans.** Gottingen, 1860. and
second edition completed by Gergstrasser, F. Schwally and
O. Pretzl, 1909-1938.

نولدكه ، تيودور . تاريخ القرآن . جوتنجن ، ١٨٦٠ ، والطبعة الثانية
بزيادات من ج . برجستراسر ، وف . شوالى ، و . برتزل ، ١٩٠٩ .
١٩٣٨ .

O'Leary, De Lacy. **Arabia Before Muhammad.** London : Kegan Paul,
1927.

اوليرى ، دى لاسى ، الجزيرة العربية قبل محمد — لندن ، ١٩٢٧ .
— **Arabic Thought and its Place in History.** London : Routledge,
Kegan Paul, 1954.

— الفكر العربى ومكانه من التاريخ — لندن ، ١٩٥٤ .
Petersen, Erling Ladewig « Ali and Muawiya in Early Arabic Tradition.
Copenhagen : Munksgaard, 1964.

بترسن ، ارلنج لادويج ، على ومعاويه فى الكتابات العربية الاولى -
كوينهاجن - ١٩٦٤ .

Philby, H. St. J. *The Background of Islam*. Alexandria Whitehead,
Moris, 1947.

فيلبى هـ . س . ج . خلفية الاسلام - الاسكندرية ، ١٩٤٧ .
Raglan, Lord. *The Hero : A study in Tradition, Myth, and Drama*.
New York : Vintage Book, 1956.

راجلان ، لورد . البطل : دراسة فى الماثور والخرافة والدراما . نيويورك ،
١٩٥٦ .

Rivkin Ellis. *the Shaping of Jewish History*. New York : Charles
Scribner's Sons, 1971.

ريفكين ، اليس . تشكيل التاريخ اليهودى . نيويورك ، ١٩٧١ .
Rodinson, Maxime. *Mohammed*, tr. Anne Carter. New York : Pantheon
Books, 1971.

رودنسون ، مكسيم . محمد . ترجمة آن كارتر . نيويورك ، ١٩٧١ .
Schacht, Joseph. *The Origins of Muhammadan Jurisprudence* Oxford :
Clarendon, 1953.

شاخت ، جوزيف . اصول الفقه الاسلامى . أوكسفورد ، ١٩٥٣ .
Shaban, M. A. *Islamic History A.D 600-750 (A. H. 132) : A New
Interpretation*. Cambridge : Cambridge University Press, 1971.

شعبان ، م . م . التاريخ الاسلامى ٦٠٠ - ٧٥٠ م (١٣٢ هـ) تفسير جديد .
كمبريدج ، ١٩٧١ .

Shahid, Irfan. *The Martyrs of Najran : New Documents*. Bruxelles :
Societe des Bollandistes, 1971.

شاهد ، عرفان . شهداء فجران : وثائق جديدة ، بروكسل ، ١٩٧١ .
Smith, W. Robertson. *Kinship and Marriage in Early Arabia*. Boston :
Beacon Press, n.d., first published in 1903.

سميث ، و . روبرتسون . القرابة والزواج فى الجزيرة العربية القديمة .
يوسطون ، بدون تاريخ . الطبعة الاولى ١٩٠٣ .
Thomson, David. *The Aims of History*. London 1969.

تومسون ، دافيد . اهداف التاريخ . لندن ، ١٩٦٩ .
Torrey, Charles Cutler. *The Jewish Foundation of Islam*. Introduction
by Franz Rosenthal. New York : Ktav Publishing House, Inc.,
1967.

تورى ، تشارلز كتلر • الأساس اليهودى للإسلام • مقدمة بقلم
فرانز روزنتال • نيويورك ، ١٩٦٧ •

Usque, Samuel. **A Consolation for the Tribulations of Israel-Third Dialogue**, tr. Gershon T. Gelbart. New York : Gershon I. Gelbart Memorial Fund, 1964.

يوسكويه ، صمويل • عزاء عن بلايا اسرائيل • الحوار الثالث •
ترجمة جرشون • جلبارت • نيويورك ، ١٩٦٤ •

Von Grunebaum, G.E., ed. **Studies in Islamic Cultural History**.
Menasha, Wisconsin : American Anthropological Assn., 1954.

فون جرونباوم ، ج • ١ • دراسات فى التاريخ الثقافى الإسلامى • منشه ،
ويسكونسن ، ١٩٥٤ •

Watt W. Montgomery. **Islamic Political Thought**. Edinburgh : Edinburgh University Press, 1968.

واط ، و • مونجمرى • الفكر السياسى الإسلامى • ادنبره ١٩٦٨ •
— **Muhammad at Mecca**. Oxford : Clarendon Press, 1953.

— محمد فى مكة • أوكسفورد ، ١٩٥٣ •
— **Muhammad at Medina**. Oxford : Clarendon Press, 1956.

— محمد فى المدينة • أوكسفورد ، ١٩٥٦ •

Wellhausen, J. **Skizzen und Vorarbeiten**, 6 Vols. in 4 Berlin : G.
Reimer 1884. 1899.

ولهاوزن ، ج • خطوط عزيزة ومشروعات • ٦ أجزاء فى ٤ • برلين ،
١٨٨٤-١٨٩٩ •

Wensinck, A.J. **Mohammed en de Joden te Medina**. Leiden : E. G.
Brill, 1908.

ونسينك ، أ • ج • محمد واليهود فى المدينة • لايدن : ج • بريل ، ١٩٠٨ •

Wherry, the Rev. E.M. **A Comprehensive Commentary on the Quran** :
Comprising Sale's Translation and Preliminary Discourse, 4 Vols.
London : Kegan Paul, 1896.

هويرى ، القس المحترم أ • م • تعليق شامل على القرآن : يشمل ترجمة
وملاحظات مبدئية — ٤ مجلدات • لندن ، ١٨٩٦ •

Wolfenson, Israel, **Tarikh al Yahud fi Bilad al-Arab**. Cairo : Al-
I'timad Press, 1927. (Arabic)

ولفتسون ، اسرائيل • تاريخ اليهود فى بلاد العرب • القاهرة : مطبعة
الاغتماد ، ١٩٢٧ • (بالعربية)

ثالثا - مقالات

(بالترتيب الذى وردت به فى الأصل)

Al-Ali, Salef Ahmad. « **Studies in the Topography of Medina (During the First Century A.H.)** ». Islamic Culture. Vol. xxxv. April, 1961.

العللى ، صالح أحمد . « دراسات فى طبوغرافية المدينة (خلال القرن الأول الهجرى) » ، الثقافة الاسلامية . المجلد الخامس والثلاثون . أبريل ، ١٩٦١ .

Beteille, André. « **Race, Caste and Ethnic Identity** ». International Social Science Journal. Vol. XXIII. No 4, 1971.

بيتى ، أندريه . « الجنس والطائفة والهوية الاثنية » ، مجلة علم الاجتماع الدولية ، المجلد الثالث والعشرون ، رقم ٤ ، ١٩٧١ .

Duri, A. A., « **Al Zuhri** ». Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol. IX. 1957.

دورى ، أ. أ. : الزهرى « نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية » ، المجلد التاسع ، ١٩٥٧ .

Friedlaender, Israel. « **Jewish Arabic Studies** » The Jewish Quarterly Review » Vol. I (1910-11), pp. 183-215 and 481-517.

فريدلاندر ، إسرائيل . « الدراسات اليهودية العربية » ، المجلة اليهودية ربع السنوية ، المجلد الأول (١٩١٠ - ١١) صص ١٨٣-٢١٥ ، ٤٨١-٥١٦ .

Gil, Moshe. « **The Constitution of Medina : a reconsideration** » Israel Oriental Studies. (Tel. Aviv, 1974) vol. IV.

جيل ، موسى . « دستور المدينة : نظرة جديدة » ، الدراسات الشرقية الاسرائيلية . (تل أبيب ، ١٩٧٤) المجلد الرابع .

Haim, Sylvia G. « **Arabic Antisemitic Literature** » Jewish Social Studies, Vol. XVII. No. 4.

- حاييم ، سيلفيا ج . ، « الأدب العربي المعادى للسامية » . الدراسات الاجتماعية اليهودية . المجلد السابع عشر ، رقم ٤ .
- Horovitz, Joseph. « **The Earliest Biographies of the prophet and Their Authors** ». Islamic Culture, 1928. pp. 535-59, 22-50, 164-182, 495-625.
- هوروفتس ، جوزيف . «أقدم سير الرسول ومؤلفوها» . الثقافة الاسلامية - ١٩٢٨ صص ٥٩-٥٣ و ٢٢ - ٥٠ و ١٦٤ - ١٨٢ ، ٤٩٥ - ٦٢٥ .
- « **Judaeo-Arabic Relations in Pre-Islamic Times** » Islamic Culture Vol. III. 1929.
- « العلاقات بين اليهود والعرب فى الجاهلية » . الثقافة الاسلامية، المجلد الثالث ، ١٩٢٩ .
- Jones J.M.B. « **Ibn Ishaq and Al-Waqidi** » Bulletin of the School of Oriental and African Studies. XXII. 1959.
- جونز ، ج.م.ب . « ابن اسحاق والواقدي » . نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية . المجلد الثانى والعشرون ، ١٩٥٩ .
- « **The Chronology of the Maghzi — A Textual Survey** », Bulletin of the School of Oriental and African Studies. Vol. XIX. 1957.
- « تسلسل تواريخ المغازى » عرض للنصوص . « نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية » المجلد التاسع عشر ، ١٩٥٧ .
- Kister, M. J., « **Haddithu an bani Isra'ila Wa-la Haraja** » Irsael Oriental Studies, 1972.
- كستر ، م.ج . « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » . الدراسات الشرقية الاسرائيلية ، ١٩٧٢ .
- « **Al-Hira** », Arabica. Vol. XV. June 1968.
- « الحيرة » - أرابيكا - المجلد الخامس عشر . يونيو ١٩٦٨ .
- « **The Market of the Prophet** ». The Journal of the Economic and Social History of the Orient. Vol. VIII. December 1965.
- « سوق النبى » . مجلة التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق المجلد الثامن ، ديسمبر ١٩٦٥ .
- « **Mecca and Tamim** ». The Journal of the Economic and Social History of the Orient. November 1965.

— « مكة وتميم » • مجله التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق ،
نوفمبر ١٩٦٥ •

— « Notes on the Papyrus Text About Mohammad's Campaign
against the Al-Nadir ». Archiv Orientalni, Vol. 32, 1967.

— « ملاحظات على النص المحرر على ورق البردى عن غزوة محمد
لبنى النضير » • الأرشيف الشرقى ، المجلد ٣٢ ، ١٩٦٧ •

— « The Expedition to Bi'r Ma-una ». Arabic and Islamic Studies
in Honour of Hamilton A. R. Gibb ed. George Makdisi. Leiden,
1965.

— « غزوة بئر معونة » • الدراسات العربية والاسلامية لتكريم
هاملتون آر. جيب • أعده للنشر جورج مقدسى ، لايدن ،
١٩٦٥ •

Kuper, Leo. « Political Changes in Plural Societies : Problems in
Racial Pluralism ». International Social Science Journal Vol.
XXIII. No. 4, 1971.

كوبر ، ليو • « التغيرات السياسية فى المجتمعات التعددية • مشكلات
فى التعدد العنصرى ، مجلة علم الاجتماع الدولية ، المجلد الثالث
والعشرون ، رقم ٤ ، ١٩٧١ •

Lichtenstadter, Ilse. « Some References to Jews in Pre-Islamic Arabic
Literature ». Proceedings of the American Academy for Jewish
Research. Vol. X. 1940.

ليشتنستادتر ، إليس • « بعض الاشارات الى اليهود فى الأدب العربى
الجاهلى » • أعمال الأكاديمية الأمريكية للبحوث اليهودية ، المجلد
العاشر ، ١٩٤٠ •

Nemoy, Leon. « Jews and Arabs ». Review of S.D. Goitein's book of
the same name. The Jewish Quarterly Review. Vol. X Lvi, No. 4,
1956.

نيموى ، ليون « اليهود والعرب » • عرض لكتاب س. د. جويتاين بالاسم
ذاته • المجلة اليهودية ربع السنوية • المجلد السادس والأربعون ، رقم
٤ ، ١٩٥٦ •

Robson, James. « Ibn Ishaq's use of Isnad ». Bulletin of the John
Rylands Library. Vol. 38, 1955-56.

روبسون جيمس ، « استعمال ابن إسحاق للإسناد » • نشرة مكتبة جون
رايلاندز ، المجلد ٣٨ ، ١٩٥٥ - ٥٦ •

— « Tradition ». The Muslim World. Vol. XLI. 1957 January April-
and July.

- « الحديث » . العالم الاسلامى - المجلد الواحد والأربعون -
 ١٩٥٧ . يناير وأبريل ويوليو .
- Serjeant, R. B. « The Constitution of Medina ». Islamic Culture,
 Vol. VIII. 1964.
- سرجنت ر.ب « دستور المدينة » . الثقافة الاسلامية . المجلد الثامن -
 ١٩٦٤ .
- « Ukhdud ». Bulletin of the School of Oriental and African
 Studies. XXII (1959).
- « الأخدود » . نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية .
 المجلد الثانى والعشرون (١٩٥٩) .
- Smith Sydney. « Events in Arabia in the 6th Century A.D. », Bulletin
 the School of Oriental and African Studies. Vol. XVI (1954).
- سميث ، سيدنى . « أحداث فى الجزيرة العربية فى القرن السادس
 الميلادى » . نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية . المجلد
 السادس عشر (١٩٥٤) .
- Watt, W. Montgomery. « The Condemnation of the Jews of Banu
 Qurayzah », The Muslim World. Vol. XVII, 1952.
- واط ، و . مونجمرى . « الحكم الصادر على يهود بنى قريظة » . العالم
 الاسلامى . المجلد الثانى والأربعون ، ١٩٥٢ .

رابعاً - مراجع عامة

The Holy Bible. The Authorized (King James) Version.

الكتاب المقدس . نص (الملك جيمس) المعتمد .

Encyclopaedia Britannica 1967. (١) دوائر معارف :

دائرة المعارف البريطانية ١٩٦٧ .

Encyclopaedia of Islam. 1st Edition E 1 (1).

دائرة معارف الاسلام - الطبعة الاولى .

Encyclopaedia of Islam, New Edition E 1 (2).

دائرة معارف الاسلام - الطبعة الجديدة .
The Encyclopaedia of the Jewish Religion 1965.

دائرة معارف الديانة اليهودية ١٩٦٥ .
Encyclopaedia Jūdaica. Jerusalem 1971.

دائرة معارف « جودايكا » . القدس ١٩٧١ .
Encyclopaedia of Religion and Ethics 1908-27.

دائرة معارف الديانات والأخلاق ، ١٩٠٨-٧٧ .
International Encyclopaedia of the Social Sciences 1968.

دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية ١٩٦٨ .

(ب) معاجم :

ابن منظور . لسان العرب . بيروت ١٩٥٥ .
الأصفهاني ، راغب ، المفردات في غريب القرآن - القاهرة ، بدون
تاريخ .

Lane, Edward William. An Arabic-English lexicon. London and
Edinburgh : William & Norgate 1863-93.

لين ، ادوارد ، وليم . قاموس عربى - انجليزى ، لندن وادنبرة ، ١٨٦٣-
٩٣ .

ج - مرجع آخر :

حاجى خليفة (كاتب جلبى) كشف الظنون - ٧ مجلدات . طبعة
فلوجل Flugel ١٨٥٨-١٨٣٥ .

اقرأ فى هذه السلسلة

أحلام الإعلام وقصص أخرى	برتراند رسل
الإلكترونيات والحياة الحديثة	ى ٠ رادونسكايا
نقطة مقابل نقطة	الدس مكسلى
الجغرافيا فى مائة عام	ت ٠ و ٠ فريممان
الثقافة والمجتمع	رايموند وليامز
تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ ج)	ر ٠ ج ٠ فوريس
الأرض الغامضة	ليسترديل راي
الرواية الانجليزية	والثيرالن
المرشد الى فن المسرح	لويش فارجاس
آلهة مصر	فرانسوا دوماس
الإنسان المصرى على الشاشة	د ٠ قدرى حفى وآخرون
القاهرة مدينة الف ليلة وليلة	أولج فولكف
الهوية القومية فى السينما العربية	هاشم النحاس
مجموعات النقود	ديفيد وليام ماكداول
الموسيقى - تعبير نغمى - ومنطق	عزيز الشوان
عصر الرواية - مقال فى النوع الأدبى	د ٠ محسن جاسم الموسوى
ديلان توماس	اشراف س ٠ بى ٠ كوكس
الإنسان ذلك الكائن الفريد	جون لويس
الرواية الحديثة	جول ويست
المسرح المصرى المعاصر	د ٠ عبد المعطى شعراوى
على محمود طه	أنور المعداوى
القوة النفسية للأهرام	بيل شول وأدبنت
فن الترجمة	د ٠ صفاء خلوصى
تولستوى	رالف تى ماتلو
ستندال	فيكتور برومير

رسائل واحاديث من المنفى	فيكتوريو هوجو
الجزء والكل (محاورات فى مضممار	
الفيزياء الذرية)	فيرنز هيزنبرج
التراث الغامض ماركس والماركسيون	سبدنى هوك
فن الأدب الروائى عند تولستوى	ف . ع ادنيكوف
آدب الأطفال	هادى نعمان الهيتى
أحمد حسن الزيات	د . نعمة رحيم العزاوى
أعلام العرب فى الكيمياء	د . فاضل أحمد الطنائى
فكرة المسرح	جلال العشرى
الجحيم	هنرى باربوس
صنع القرار السياسى	السيد عليوة
التطور الحضارى للإنسان	جاكوب بزونوفسكى
هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال	د . روجر بيستروجان
تربية الدواجن	كاتى ثير
الموتى وعالمهم فى مصر القديمة	د . سبنسر
النحل والطب	د . ناعوم بيتروفيتش
سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى	جوزيف داهموس
سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء	
مصر ١٨٣٠ - ١٩١٤	د . لينوان تشامبرز رايت
كيف تعيش ٣٦٥ يوماً فى السنة	د . جون شندلر
الصحافة	بيير البير
اثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن	
التشكيلى	د . غبريال وهبة
الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية	
وبعدها	د . رمسيس عوض
حركة عدم الانحياز فى عالم متغير	د . محمد نعمان جلال
الفكر الإوروبى الحديث (٤ ج)	فرانكلين ل . باومر
الفن التشكيلى المعاصر فى الوطن العربى	
١٨٨٥ - ١٩٨٥	شوكت الربيعى
التثنية الأسرية والأبناء الصغار	د . محيى الدين أحمد حسين

ج ٠ دادلى أندرو	نظريات الفيلم الكبرى
جوزيف كونراد	مختارات من الأدب القصصى
د ٠ جوهان دورشز	الحياة فى الكون كيف نشأت واين توجد
طائفة من العلماء الأمريكىين	حرب الفضاء
د ٠ السيد عليوة	ادارة الصراعات الدولية
د ٠ مصطفى عنانى	الميكروكمبيوتر
صبرى الفضل	مختارات من الأدب اليابانى
فرانكلين ل ٠ ياومر	الفكر الأوروبى الحديث ٢ ج
جابريل باير	تاريخ ملكية الأراضى فى مصر الحديثة
انطونى دى كرسبى	اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة
دوايت سوين	كتابة السيناريو للسينما
زافيلسكى ف ٠ س	الزمن وقياسه
ابراهيم القرضاوى	أجهزة تكييف الهواء
بيتير رداى	الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى
جوزيف داموس	سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى
س ٠ م بورا	التجربة اليونانية
د ٠ عاصم محمد رزق	مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية
رونالد د ٠ سمبسون	العلم والطلاب والمدارس
ونورمان د ٠ أندرسون	
د ٠ أنور عبد الملك	الشارع المصرى والفكر
والت وتيمان روسكو	حوار حول التنمية الاقتصادية
فريد س هيس	تبسيط الكيمياء
جئون يوركهارت	العادات والتقاليد المصرية
آلان كاسبيار	التذوق السينمائى
سامى عبد المعطى	التخطيط السياحى
فريد هويل	البذور الكونية
شاندرا ويكراما ماسينج	
حسين حلمى المهندس	دراما الشاشة (٢ ج)
روى روبرتسون	الهيرويين والايدز
هاشم النحاس	تجيب محفوظ على الشاشة
دوركاس ماكلينتوك	صور افريقية

المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية	بيتر لورى
وظائف الأعضاء من الألف الى الياء	بوريس فيدروفيتش سيرجيف
الهندسة الوراثية	ويليام بينز
تربية أسماك الزينة	ديفيد الدرتون
الفلسفة وقضايا العصر (٣ ج)	جمعها : جون ر ٠ بورر وميلتون جولد ينجر أرنولد توينبى
الفكر التاريخى عند الاغريق	د ٠ صالح رضا
قضايا وملامح الفن التشكيلى	م ٠ هـ ٠ كنج وآخرون
التغذية فى البلدان النامية	جورج جاموف
بداية بلا نهاية	د ٠ السيد طه أبو سديرة
الحرف والصناعات فى مصر الاسلامية	جاليليو جاليليه
حوار حول النظامين الرئيسيين	اريك موريس وآلان هو
لكون	سيريل الدريد
الارهاب	آرثر كيستلر
اخناتون	توماس ١ ٠ هاريس
القبيلة الثالثة عشرة	مجموعة من الباحثين
التوافق النفسى	روى أرمز
الدائيل البيلوجرافى	ناجى متشيو
لغة الصورة	بول هاريسون
الثورة الاصلاحية فى اليابان	ميخائيل البى ، جيمس لفلوك
العالم الثالث غدا	فيكتور مورجان
الانقراض الكبير	اعداد محمد كمال اسماعيل
تاريخ النقود	الفردوسى الطوسى
التحليل والتوزيع الاوركستراالى	بيرتون بورت
الشاهنامة (٢ ج)	جاك كرابس جونيور
الحياة الكريمة (٢ ج)	
كتابة التاريخ فى مصر	

ادوارد ميرى
اختيار / د. فيليب عطية
اعداد / موني براخ وآخرون
آدامز فيليب
نادين جورديمر وآخرون
زيجمونت هبner
ستيفن أوزمنت
جوناثان ريلى سميث
توني بار
بول كولنر
موريس بيرر براير
الفريد ج. ٠ بتلر
رودريجو فارتيماس
فانس بكارد
اختيار/ د. رفيق الصبيان
بيتر نيكوللز
برتداند راصل
بيارد دودج
ريتشارد شاخات
ناصر خسرو علوى
نفتالى لويى
هربرت شيلر
اختيار / صبرى الفضل
أحمد محمد الشنوانى
اسحق عظيموف
لوريتو تود
اعداد/ سوريال عبد الملك
د. ابرار كريم الله
اعداد/ جابر محمد الجزائر
ه. ج. ٠ ولز

عن النقد السينمائى الأمريكى
ترانيم زرادشت
السينما العربية
دليل تنظيم المتاحف
سقوط المطر وقصص أخرى
جماليات فن الاخراج
التاريخ من شتى جوانبه (٣ ج)
الحملة الصليبية الاولى
التمثيل للسينما والتلفزيون
العثمانيون فى اوربا
صناع الخلود
الكنائس القبطية القديمة فى مصر (٢ ج)
رحلات فارتيماس
اتهم يصنعون البشر (٢ ج)
فى النقد السينمائى الفرنسى
السينما الخيالية
السلطة والفرد
الأزهر فى الف عام
رواد الفلسفة الحديثة
سفر نامة
مصر الرومانية
الاتصال والهيمنة الثقافية
مختارات من الآداب الآسيوية
كتب غيرت الفكر الانسانى (٣ ج)
الشموس المتفجرة
مدخل الى علم اللغة
حديث النهر
من هم التتار
ماستريخت
معالم تاريخ الانسانى (٤ ج)

ستيفن رانسيما
جوستاف جرونيياوم
ريتشارد ف ٠ بيرتون
أسمز متز
ارنولد جزل
بادى اونيمود
فيليب عطية
جلال عبد الفتاح
محمد زينهم
مارتن فان كريفلد
سوندارى
فرانسيس ج ٠ برجين
ج ٠ كارسيل
توماس ليهارت
الفين توفلر
ادوارد وبونو
كريستيان سالين
جوزيف ٠ م ٠ بوجز
بول وارن
جورج ستاينز
ويليام ه ٠ ماثيوز
جارى ب ٠ ناش
ستالين جين سولومون
عبد الرحمن الشيخ
عبد العزيز جويد
محمود سامى عطا الله
يانكو لافرين
ليوناردو دافنشى
جوزيف نيدهام

الحمالات الصليبية
حضارة الاسلام
رحلة بيرتون (٣ ج)
الحضارة الاسلامية
الطفل (٢ ج)
افريقيا الطريق الآخر
السحر والعلم والدين
الكون ذلك المجهول
تكنولوجيا فن الزجاج
حرب المستقبل
الفلسفة الجوهرية
الاعلام التطبيقي
تبسيط المفاهيم الهندسية
فن المايم والبانثومايم
تحول السلطة
التفكير المتجدد
السيناريو فى السينما الفرنسية
فن الفرجة على الأفلام
خفايا نظام النجم الأمريكى
بين تولستوى ودستوففسكى (٢ ج)
ما هى الجيولوجيا
الاحمر والبيض والاسود
انواع الفيلم الأمريكى
رحلة الأمير رودلف ٢ ج
رحلات ماركوبولو ٣ ج
الفيلم التسجيلي
الرومانتيكية والواقعية
نظرية التصوير
تاريخ العلم والحضارة فى الصين

تطلب كتب هذه السلسلة من :

- باعة للصحف .
- مكتبة للهيئة .
- المعرض الدائم للكتاب بمقر الهيئة .
- منافذ التوزيع في أماكن وفروع الثقافة الجماهيرية وهي
كما يلي :
- الوادى الجديد .. الداخلة والخارجة .
- البحيرة .
- المنيا .
- دمياط .
- فارسكور .
- القليوبية (ينها) .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

هذا الكتاب

.. نموذج حي للبحث التاريخي في أعلى مستوياته،
وقدرة كاملة حكيت دون تحيز ودون التزام مسبق.
وهذا الكتاب يساهم إسهاماً حقيقياً في تيسير
فهمنا لحدث من الأحداث الهامة في تاريخ الإسلام
واليهود وهو حدث اصطفت به العلاقات بين المجموعتين
المذكورتين منذ ذلك اليوم إلى الآن.

البروفسور ف. ر. تبرز
جامعة نيويورك

لعل هذه أول دراسة موضوعية (للموضوع)، يقوم
بها مسلم... والدكتور بركات أحمد يستحق التهنئة على
اضطلاعهم بهذه الدراسة

البروفسور نور الحسن
جامعة وليم